

# الفصل

مجلة ثقافية شهرية  
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 20 JANUARY 1979

العدد (٢٠) - صفر ١٣٩٩ هـ / يناير ١٩٧٩ م





# الفصل

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية  
تصدر عن  
دار الفیصل الثقافية

يناير ١٩٧٩

العدد ٩٠ (حزير ١٣٩٩ هـ)

## هَذَا العدد

ص	من كتاب هذا العدد	٤
٥	الحركة الثقافية في شهر	٥
١٨	إعلان حقوق الطفل	١٨
١٩	اتجاهات جديدة في علم النفس التربوي	١٩
٢٧	مفهوم الثقافة	٢٧
٣١	رموز على حاشية الأفق (قصيدة)	٣١
٣٢	الشيخة (من حياتهم)	٣٢
٣٥	فرسان .. جزائر اللؤلؤ (مدينة وتاريخ)	٣٥
٥١	السوق العربية المشتركة	٥١
٥٦	من أمثال العرب	٥٦
٥٧	من أمثال الشعوب	٥٧
٥٨	عقبة بن نافع، بطل الفتوح	٥٨
٦٣	قصيدة وقصة	٦٣
٦٤	همنجواي، صوت من أصوات العصر	٦٤
٧٠	هوامش على مصنف الرواية السورية	٧٠
٧٥	دور علماء المسلمين في نشأة علم النفس (ندوة الشهر)	٧٥
٧٩	نحو ثقافة عربية لأطفالنا	٧٩
٨٣	غزو الطبيعة (رحلة في كتاب) عرض وتقديم:	٨٣
٩١	المغاور، عجائب الطبيعة	٩١
١٠٢	لوحة وفنان	١٠٢
١٠٤	المنجزات العلمية وأثرها في حضارة أوروبا	١٠٤
١١٠	أغنية إلى تبوك «قصيدة»	١١٠
١١١	العلاقة المتقاربة المتعارضة بين الصحافة والأدب! (لقاء مع)	١١١
١١٦	المجمع اللغوي يعد ستين عاما	١١٦
١٢٢	سمعت أصوات الديكة (في بلاد الله)	١٢٢
١٢٧	فن الخزف المعاصر	١٢٧
١٣٠	مخلوقات غريبة بمجالات كهربية مثيرة	١٣٠
١٣٤	لغة الفن الحديث وإنسان العصر	١٣٤
١٣٨	يا متاع الغرور (قصيدة)	١٣٨
١٣٩	البرج (قصة) اندريه روشان	١٣٩
١٤١	الثور العاشر (قصة)	١٤١
١٤٧	الأرض، والزرع، وأحلام الجياح	١٤٧
١٥٣	دائرة المعارف	١٥٣
١٥٦	مناقشات وتعليقات	١٥٦
١٥٨	مع الأصدقاء	١٥٨
١٦٠	مسابقة مجلة الفيصل	١٦٠



★★ فرسان .. وجزرها الجميلة التي تشكل أرخبيلًا ساحراً، وما يحيط بها من شواطئ للراحة، والاستمتاع بجمال الطبيعة، إنها جزء من ثروة المملكة العربية السعودية . (ص ٣٥)



★★ غزو الطبيعة ..  
والمسائل التكنولوجية من  
المواضيع التي تلقى عناية  
كبيرة في هذا العصر لارتباطه  
بحياة الإنسان، وتأثيره على  
هذه الحياة نفسياً،  
اجتماعياً، واقتصادياً  
وسلوياً .. وكتاب «غزو  
الطبيعة» تأليف فوريس  
واحد من الكتب التي ناقشت  
هذا الموضوع . (ص ٨٣)



★★ المغاور ..  
ماهيها .. كيف تتكون ..  
ما هي أشهر المغاور في  
العالم .. وأثرها في الحياة  
اقتصادياً، واجتماعياً،  
وسياحياً . (ص ٩١)





- ★ من الرعيل الأول لكلية الآداب جامعة القاهرة .
- ★ شغل مناصب مدير إدارة الترجمة بوزارة المعارف ، مراقب الشؤون الخارجية بمصلحة الاستعلامات ، فدير عام الثقافة بوزارة الثقافة ، قرئيس مجلس إدارة الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ★ أسهم في إصدار كتب كثيرة في الثقافة العامة وفي إحياء التراث العربي وفي المسرح والموسيقى والنقد والمجلات .
- ★ دُرس في معهد التربية العالي وكلية الآداب بجامعة القاهرة وكلية الآداب بجامعة عين شمس ، كما دُرس في الأكاديمية في معهد الدراسات المسرحية ومعهد التذوق الفني .
- ★ عضو في لجنة ترجمة ومراجعة مسرحيات شكسبير تحت إشراف الدكتور طه حسين .
- ★ رئيس تحرير النسخة العربية من دائرة المعارف الإسلامية وله كتب وترجمات .
- ★ عمله الحالي ، المستشار الثقافي لدار المعارف .



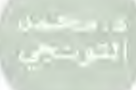
- ★ ولد بمكة المكرمة عام ١٣٦٤ هـ .
- ★ حصل على شهادة الليسانس من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة عام ١٣٨٦ هـ .
- ★ حصل على الدكتوراه من بريطانيا عام ١٣٩٢ هـ .
- ★ عمل وكيلًا لكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز .
- ★ يقوم حاليًا بتدريس التاريخ الإسلامي والحضارة في كلية الآداب .



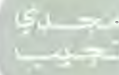
- ★ من مواليد حلب ١٩٣٦ م - سورية .
- ★ مهندس زراعي .
- ★ يكتب القصة القصيرة والطويلة والمسرحية والنقد الأدبي
- ★ من أبرز أعماله القصصية : (تقصص - دماء في الصبح الاغبر - شتاء البحر اليابس - زمن الهجرات القصيرة - الطين - موت الخبزون .)
- ★ ومن أبرز أعماله المسرحية : (الأيام التي ننساها - الصراط .)



- ★ من مواليد مدينة تعز - اليمن عام ١٣٥٥ هـ .
- ★ نشأ وتعلم في تعز والحوث .
- ★ شغل منصب المستشار السياسي لرئاسة الجمهورية في بلاده .
- ★ له مجموعة من البحوث والمقالات الأدبية والسياسية ، والقصائد الشعرية .



- ★ من مواليد حلب - سورية عام ١٩٣٣ م .
- ★ دكتوراه في الأدب المقارن ، ودكتوراه في الأدب العباسي .
- ★ يجيد الإنجليزية ، والفارسية والعبرية .
- ★ عمل في التدريس في جامعات سورية ، وبنغازي ، والجامعة الإسلامية بالدار البيضاء في المغرب .
- ★ عمل محاضراً في جامعة طهران - دهل .
- ★ يعمل حالياً أستاذاً للأدب الجاهلي ، والفارسية ، ورئيس تحرير الوسيلة الجامعية .
- ★ له عدد من الكتب المطبوعة تحقيقاً ، وتأليفاً .



- ★ كتب العديد من الأشعار لمسرح الأطفال .. والإذاعة والتلفزيون .. والعديد من «السيناريوهات» لمجلات الأطفال في المنطقة العربية .
- ★ عضو الجمعية الفنية بباريس للفنانين ، المؤلفين والموسيقيين .
- ★ له عدد من السداوين الشعرية المطبوعة .. ومؤلفات للأطفال .
- ★ يعمل حالياً : المخرج الفني لمجلة «الفصل» .

- ★ من مواليد القاهرة
- ★ شاعر .. رسام .
- ★ عمل سكرتيراً لتحرير مجلة الإذاعة والتلفزيون القاهرة ومشرقاً فنياً لمجلة المصور .
- ★ كتب العديد من الدراسات حول الموسيقى .. والأدب الشعبي .. والفن التشكيلي .
- ★ قام بتصميم العديد من أغلفة الكتب .. وكتب الأطفال .
- ★ من أدخلوا فن «الكولاج» في الصحافة المصرية .





\* \* من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق \* \*

- مجلس علمي للبحث والدراسات العلمية .
- معرض للمدينة المنحوتة في الصخر .
- ندوة اتحاد مجامع اللغة العربية .
- المؤتمر العربي للطب النفسي .
- مهرجان قومي عربي في عام ١٩٧٩ م .
- بعثات لغزو الصحراء والدلتا والتنقيب عن الآثار .

- أجمل ملصق بمناسبة عام الطفل .
- تطور الكتابة الخطية للقرآن الكريم .
- (٣١٠) آلاف جنيه قيمة صفحة من كتاب
- مؤتمر لتحديد بدايات الشهور العربية .
- إعادة الكنوز والتحف الفنية إلى مواطنها الأصلية .



مجلة الفيصل - ص ٦



## كلمة

### عام الطفل الدولي (١٩٧٩م)

وأخيراً أصبح للطفل عاماً دولياً !!  
قرار اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة، وجعلت عام ١٩٧٩م، عاماً للطفل يمكن من خلاله أن توجه إليه الأنظار، وتحفل به المؤسسات الخاصة بالطفل كالمدرسة .. وغيره من المؤسسات الأخرى التي ترعى الطفولة، ويتم بشؤونها، وتحرس على قضاياها.  
هنا يبرز سؤال ملح .. وقضية الطفل قد أصبحت واحدة من القضايا العالمية التي تخصص لها المناسبات :

- ماذا أعدت الدول العربية للطفل والطفولة في بلدانها؟
- من خلال هذا السؤال تبنق مجموعة من الأسئلة الأخرى :
- أين مؤسسات الطفل في العالم العربي .. وما هي الخدمات التي تقدمها للطفل؟
- كم عدد المؤسسات التي تعنى بالطفل في كل بلد عربي؟
- كيف يعيش الطفل العربي .. في المنزل .. والمدرسة .. والمجتمع؟
- ما نوعية الرعاية الصحية والنفسية التي يحظى بها الطفل العربي لمواجهة مستقبله، ومستقبل بلاده، وأمه؟
- كم عدد الأطفال الذين ترعاهن الخادعات في أوطان العالم العربي .. وفي المقابل كم عدد الأطفال الذين يقضون أوقات هومهم، ولعبهم في الشوارع والطرق؟
- ما هي البرامج التعليمية .. والإذاعية .. والتلفزيونية التي تقدم للطفل العربي؟
- أي نوع من المجلات .. والكتب المطروحة أمام هذا الطفل؟
- هل تقوم البرامج التعليمية .. والإذاعية .. والتلفزيونية .. وكذلك الكتب .. والمجلات الموجهة للطفل العربي على فلسفة خاصة تنبع من تراث وقيم وعقيدة هذا الطفل؟
- ما هو الدور الذي تقوم به المجلات الأجنبية المترجمة إلى العربية في تكوين نفسية الطفل العربي، وتنمية تفكيره .. سلباً وإيجاباً؟
- ماذا قدمت المكتبة العربية المعاصرة للطفولة العربية؟
- نتوقف عند هذا الحد من الأسئلة على كثرتها .. لأن قضية الطفل في العالم العربي واحدة من القضايا المطروحة على جدول أعمال لم ينظر فيه بعد.
- والقضية على خطورتها تظل موضع خلاف واختلاف مثلها مثل غيرها من القضايا .. فكل بلد عربي له مناهجه، وفلسفته، ورأيه الخاص في هذه القضية .. ويتفاهم الأمر ليصل إلى المنزل .. والمدرسة .. والمجتمع .. وقد يتطور فيذكر اختلاف الآبوين على كيفية تربية أطفالهم .. وهذه هي مأساة الطفل العربي !!!

حقيقة نود أن نقولها إن مستقبل الأمة العربية مرتبط أشد الارتباط بتربية الأطفال، فيقدر ما نرعى الأطفال بقدر ما نرسم الخطوط العريضة للمستقبل الذي نشده.  
فالمستقبل ليس في التصنيع الآلي فحسب، بل في صناعة الأطفال .. وصياغة تفكيرهم .. وصيانة أرواحهم، وأنفسهم.

صناعة المستقبل تبدأ بصناعة الطفل !!!  
والطفولة المشوهة تخلق المستقبل المشوه !!!

لقد قررنا في هذه المجلة أن نجعل من عام الطفل الدولي مناسبة لطرح قضية الطفل العربي .. ومناقشة جوانبها العديدة والمتعددة لنضع المؤسسات الخاصة بالطفل أمام مسؤوليتها الجسيمة .. وهي مسؤولية تقع في الدرجة الأولى على عاتق الدول العربية الحريصة على بناء مستقبل شعوبها، وأمتها.  
إن ما نقدمه من دراسات، وما نطرحه من مشاكل في هذه المجلة بهذه المناسبة هو واجب نبيل من واجباتنا تجاه أمتنا وبلادنا العربية والإسلامية تطلعاً إلى مستقبل يسكنه جيل من السعادة .. والقادة .. والعلماء .. والأدباء .. والمفكرين .. والساسة .. والمختبرين بعيد هذه الأمة دورها القيادي في مجالات العلوم والمعارف الإنسانية .. والله الموفق .

المجلة

### أفلام وثائقية عن آثار المملكة

تمت موافقة سمو الأمير خالد بن فهد، وكيل وزارة المعارف للشؤون التعليمية والإدارية ونائب رئيس المجلس الأعلى للآثار، على قيام شركة «باركر» الإنجليزية المتخصصة في إنتاج الأفلام، بأن تبدأ العمل في إنتاج ستة أفلام سينمائية، وثائقية عن الآثار في المملكة .. وسوف يقوم بالتصوير، بعثة من فنيين أربعة من قبل الشركة، وسيساعد في ذلك، مندوبون عن إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة .

### أقسام جديدة .. بالجامعات

قرر المجلس الأعلى لجامعة الرياض، إنشاء ستة أقسام جديدة بكلية الطب، بجامعة الرياض، للتشريح ووظائف الأعضاء والأمراض، ويشمل الأحياء الدقيقة والطفيليات والجراحة بأنواعها. كما وافق المجلس، على إنشاء قسم للاحياء بكلية العلوم .

### \* كتب جديدة \*

● «التحقيق الجنائي ومهام المحقق في جريمة القتل» من الكتب القيمة التي صدرت حديثاً، تأليف المقدم عبد الوهاب محمد بدر الدين، والمجلة سوف ترحب على تقديمه للقارئ. على صفحاتها في أعدادها القادمة .

● «المعمم والقبهان» المجلد الخامس عشر، من تأليف الشاعر محمد حسن فقسي .

● «رسائل إلى القاصد المطوية» ديوان شعري جديد للشاعر طاهر زعشري .

● «الزعر الغابات المشمسة» المجموعة القصصية الفائزة في مسابقة القصة القصيرة التي نظمها نادي الرياض الأدبي، سوف تصدر قريباً .

● «المعمل رقم ٦» رواية علمية، تأليف الدكتور فاضل مشالي، الأستاذ بقسم الكيمياء بكلية التربية، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .. وتعتبر إضافة جديدة إلى الروايات العلمية التي تنبأ فيها كاتبها بالعديد من الاكتشافات العلمية، والتي تحقق أغلبها في هذا العصر .

● «المختصر في نشر النور والزهرة .. في تاريخ علماء مكة منذ القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري» تأليف المرحوم الشيخ عبد الله أبو الخير مرداد، أحد علماء مكة المكرمة، وقد قام بتصحيح الكتاب واختصاره ومراجعته، محمد سعيد العامودي .. وأحمد علي .. وهما من الكتاب الباحثين في المملكة، الكتاب صدر عن نادي الطائفة الأدبي، بدراسة الباحث عبيد القدوس الأنصاري .

● «همسات في أذن الليل» ديوان للشاعر محمد العيد الخطراوي .

● «مقالات في الأدب» مجموعة من المقالات والبحوث الأدبية، اشترك في تأليفها عدد من الأدباء، والأدبيات السعوديات .

● «مكة في عصر ما قبل الإسلام» دراسة للسيد أحمد أبو الفضل، الناشر داره الملك عبد العزيز، بالرياض .

## مهرجانات

### مهرجان ابن عساكر

يم الآن بحث الفريتيات اللازمة وكيفية تقديم بحوث ودراسات عن المؤرخ العربي «ابن عساكر»، لتفديتها والقائها في المهرجان الذي دعا إليه المجلس الأعلى في سورية .. والذي يقام بالقاهرة في شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٩م .. كما تقرر طبع أهم ما كتب عن المؤرخ العربي ومؤلفاته، حديثاً وقديماً .

### موسم مسرحي حافل

بدأت مديرية المسارح في وزارة الثقافة، بإعداد خطة للموسم المسرحي، حيث تقدم فيه المسرحيات التالية : مسرحية «الأقنعة»، تأليف علي عقله عرسان، و«راشومون»، تأليف أكوتا جواو و«دون كيشوت»، اقتباس بمدوح عدوان، و«الملك هو أنا»، تأليف عبد الله ونوس، وهي مسرحية معادة من الموسم الماضي و«عرس الدم»، تأليف الإسباني لوركا .  
وسوف يقوم المسرح القومي بجولة على عدد من المحافظات السورية لعرض هذه المسرحيات .

### المعرض السنوي التشكيلي

مائة لوحة تشكيلية من إنتاج أربعة وسبعين فناناً وفنانة، أقيم لهم معرضاً بنقابة الفنون الجميلة، حيث تقيم النقابة في خريف كل عام .. وقد قامت بافتتاح المعرض الدكتور «نجاح المطار» وزير الثقافة السورية .



العربي . المعروف أن فؤاد الشايب توفي عام ١٩٦٩ م ، حيث كان يعمل في ذلك الوقت مديراً للإعلام العربي .. ومندوباً للجامعة العربية .

- «السيد» مسرحية ، من تأليف عبد الفتاح الرواس القلمجي .
- «إسماء في القصة السورية» دراسة من إعداد محسن يوسف .
- «دراسة في الرواية» ، تأليف فائق الحمد .
- «وسام من الياشين» مجموعة قصص قصيرة للأطفال ، تأليف محمد قرانيا ، إصدار اتحاد الكتاب في دمشق .

- «الذهب الأزرق» الديوان الأول ، للشاعر عدنان قيطاز .
- «صخب طيور مشاكسة» الديوان الثاني ، للشاعر أسعد الجبوري .. المجموعة الأولى كانت بعنوان «ذبحت الوردة» هل ذبحت الحلم ؟ .
- «تلك البلاد» مجموعة قصائد ، للشاعر صلاح فائق .
- «حديقة الحيوان .. في لزوميات أبي العلاء» ، تأليف الياس سعد غالي .
- «شاعرات .. وشعراء سوريون بالفرنسية» ، تأليف الناقد السوري سعد صائب .. الكتاب عن الشعراء السوريين الذين كتبوا أشعارهم بالفرنسية ، مع تقديم نماذج منها .
- «صور من النضال الوطني في سورية» تأليف الكاتب السابق سعيد أسحق ، تقديم عيسى فتوح .

## الرواية

### «رباعيات الأفغاني» اختفت مجوته !

توفي الشاعر محمود الأفغاني ، الملقب بشاعر شباب فلسطين ، وقد صدر عدد جريدة الدستور ، صباح وفاة الشاعر خالياً من زاوية «رباعيات الأفغاني» ، التي دأبت الجريدة على نشرها يومياً منذ سنة ١٩٧٠ م . ولد الشاعر الأفغاني في يافا سنة ١٩٢٥ م ، لوالد عَم في اللغة والدين . وقد حرص والد الشاعر الفقيد أن يتفقه ابنه بالعلوم الدينية واللغوية ، ويتقن اللغة التركية والفارسية . كما امتازت ثقافة الشاعر الفقيد بالدراسة على يد أساتذة الدين الإسلامي واللغة العربية .

### مهرجان ثقافي للصغار

أقام «مركز هيا الثقافي» مهرجاناً حافلاً للصغار قمت فيه مسرحية ناجحة للأطفال ، وأنشودة عام الطفل ، غناها جوق عيان للأطفال ، كما تضمن المهرجان معرضاً لكتب الصغار ومعرضاً آخر لرسومهم . دام المهرجان أسبوعاً . وهذا هو الموسم الثاني للأطفال خلال عام ، كان الأول ، في الربيع الماضي برعاية جمعية أصدقاء الطفل .

### ندوة اتحاد مجامع اللغة العربية

تحت رعاية جلالة الملك حسين ، افتتح اتحاد اللغة العربية «ندوة عمان» . وقد شارك فيها رؤساء المجامع اللغوية العربية ، وعدد من أعضاء تلك المجامع . وكان موضوع الندوة ،

## حدث وفيل عبد الشهم

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

- ٢٣ يناير ١٩٥٢ وفاة الدكتور زكي مبارك . (طالع شخصية الشهر)
- ٢٤ يناير ١٨٠٠ توقيع اتفاقية العرش الخاصة بجلاء الفرنسيين عن مصر .
- ٢٧ يناير ١٩٠٠ مولد الدكتور حسين فوزي .



★ زكي مبارك ★

- ١٠ يناير ٩٠٥ انتهاء حكم الدولة الطولونية في مصر .
- ١٣ يناير ١٩٦٤ انعقاد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الأول بمقر جامعة الدول العربية في القاهرة .
- ١٥ يناير ١٩٧٥ يوم الطفل العربي .
- ١٨٧٢ مولد أحمد لطفي السيد .

- أول يناير ١٩٥٦ استقلال السودان .
- ٤ يناير ١٨٩٤ مولد المؤرخ محمد شفيق غربال .
- ٧ يناير ١٩٠٥ مولد الأدب يحيى حقي .
- ٩ يناير ١٩٧٧ انعقاد مؤتمر وزراء خارجية دول المواجهة والدعم في مدينة الرياض .

« معالجة ضعف اللغة العربية بين الناطقين بها »، عرضت في الندوة عدة أوراق عمل ،  
نوقشت جميعاً لتخرج الندوة بجملة توصيات أهمها :

- تعريب التعليم العلمي الجامعي .
- رفع مستوى تدريس اللغة العربية في المدارس والمعاهد .
- رفع المستوى اللغوي في وسائل الإعلام المختلفة ، والاقتصار على الفصحى لغة للحوار في المسرحيات والمسلسلات .

#### معرض للمدينة المنحوتة في الصخر

جامعة يازل السويسرية تقيم معرضاً بمناسبة مرور ١٥٠ عاماً على زيارة العالم  
السويسري الأثري «بركهات» . وهو أول أوروبي في العصور الحديثة يزور مدينة البتراء ،  
الأثرية . وجدير بالذكر أن مدينة البتراء / سلع ، كانت عاصمة الأنباط العرب الشماليين ، فيما  
كانت مدائن صالح / هجرة ، عاصمة الأنباط العرب الجنوبيين . وكلتا المدينتين منحوتة في  
الصخر .

وسوف يشارك الأردن في هذا المعرض .

#### \* كتب جديدة \*

- « الخروج من جزيرة الضباب »، للشاعر علي الفزاع .
- « الحب عبر المنشورات السرية »، للشاعر خالد محادين .
- « أحلام السنايل »، للشاعر علي الزعبي .
- « معك أستطيع اغتيال الزمن »، للشاعرة رجاء أبو غزالة ، من الشعر المنثور .
- « أدب الأطفال ومكتباتهم »، هيفاء شرايحة . أول كتاب من نوعه يصدر في  
الأردن ، وهو من الكتب التربوية التي تصدر بمناسبة عام الطفل العالمي .
- « كتابات في اللغة »، لسميح أبو مغلي . مجموعة مقالات في اللغة والنقد اللغوي .
- « المجتمع الأردني » دراسة اجتماعية تربوية ، للدكتور شبيب أبو جابر . دراسة لواقع  
الريف في الأردن .
- « التحدي النووي »، اللواء الركن المتقاعد يوسف كموش . يتحدث المؤلف عن  
الموضوع بالنسبة للشرق الأوسط .



#### بعثات لغزو الصحراء .. والدلتا والتنقيب عن الآثار

منطقة « بقر اقيس »، التي كانت أكبر تجمع لليونانيين خلال العصور القديمة ، أصبحت  
أرضها تعج بالبعثات المتفنية عن الآثار .. تلك البعثات التي منحها هيئة الآثار المصرية حسن  
التنقيب ، ويصل عدد هذه البعثات إلى ٣٥ بعثة ، تنتشر في الصحراء المصرية ، منها ٢٥ بعثة ،  
مستولى التنقيب عن الآثار اليونانية والرومانية ، والعشر بعثات الباقية ، سيكون مجاها التنقيب عن  
الآثار الإسلامية .

أما في الوجه البحري ، حيث كانت الدلتا ، هي المعبر الأساسي للحضارة الآسيوية في عصر  
ما قبل التاريخ .. والتي اتصلت واختلطت بالحضارة المصرية عن طريق شاطئ البحر الأبيض

المتوسط ، فسوف يتم إرسال ١٠ بعثات ، إلى هناك بعد تجميع المعلومات المختلفة .  
البعثات تمثل أميركا وفرنسا والنمسا وكندا .

#### كلية .. للدعوة الإسلامية

كلية جديدة ، بدأت الدراسات بها لأول مرة هذا العام .  
الكلية اسمها « كلية الدعوة الإسلامية » .. تضم مائة طالب .. يشرف عليها الدكتور  
موسى لاشين ، بجانب عمله كمعيد لكلية أصول الدين .

#### العرض .. لأعضاء النقابة فقط !

معرض الفن التشكيلي الذي سيقام في فبراير ( شباط ) ١٩٧٩ م ، بقصر  
المانسترلي ، بالروضة ، سوف يطير بعد ذلك إلى العواصم الأوروبية .  
هذا المعرض سيشارك فيه فقط ، من هم أعضاء في نقابة التشكيليين ، وهذا ما صرح به  
النقيب عباس شهدي .  
العرض يستمر شهراً كاملاً .. ويضم الأعمال الفنية في التصوير والنحت .. والخزف .

#### مؤتمر عربي للطب النفسي

« المؤتمر العربي الأول للطب النفسي » ، افتتح ، بحضور ٤٠٠ عالم ، من مختلف  
البلدان والجنسيات ، حيث يناقش في اجتماعاته ٥٤ بحثاً ، كلها تتناول « الطب النفسي » في مختلف  
المجالات .  
من بين المتفاعلين بأبحاثهم ، الدكتور أسامة الراضي مدير مستشفى الطائف  
للأمراض النفسية .

#### أول اتحاد للبيولوجيين

الدكتور عبد العزيز سلجان ، رئيس جامعة عين شمس ، بدأ بدراسة وتنظيم الانضمام  
للجمعيات العلمية والمهنية البيولوجية ، وقد تقرر تكوين اتحاد للبيولوجيين المصريين ،  
وهو الأول من نوعه في مصر .

#### \* كتب جديدة \*

- « الانفجار السكاني »، تأليف روبرت لافون ، ترجمة السيد نبية الأصفهاني .
- « الفن ومذاهبه في الشعر العربي »، تأليف الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة  
العاشرة ، الناشر دار المعارف .
- « الأوراق السرية للصحافة والأحزاب »، تأليف علي المغربي ، الطبعة الثانية ،  
الناشر دار العربي .
- « طه حسين يتكلم »، تأليف سامح كريمة .
- « امرأة العزيز »، مسرحية من تأليف د . سمير سرحان .
- « في انتظار ما لا يجيء »، ديوان جديد للشاعر فاروق شوشة .
- « المهنة » مجموعة من المسرحيات القصصية ، تأليف كامل الكفراوي .
- « الحلم .. والأسوار » مجموعة شعرية ، للشاعر السوري أحمد شامية ، والشاعر

### شخصية الشهر

#### زكي مبارك

( ١٨٩٥ - ١٩٥٢ م )

- اشتغل بالتدريس في الجامعة المصرية ، ودار المعلمين العالية ببغداد ..  
ومفتشاً بالمدارس المصرية .
- من أبحاثه : « حب ابن أبي ربيعة وشعره » و« التصوف الإسلامي  
في الأدب والأخلاق » و« عبقرية الشريف الرضي » .
- من أشعاره : ديوان « زكي مبارك » ١٩٣٣ م ، و« ألحان الخلود »  
١٩٤٧ م .
- من كتاباته الذاتية : « البدائع » و« ليلي المريضة في العراق » .



الأول، محمد مهر الدين .. أما الجائزة الثانية، فقد فاز بها زياد مجيد حيدر .  
المعرض، نظمته جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين .

#### معرض للفن الفوتوغرافي

أقامت الجمعية العراقية للتصوير الفوتوغرافي، معرضاً شخصياً، للفنان نور الدين حسين،  
حيث يعرض ٤٠ صورة، تعكس بعض النواحي الفنية في استخدام «الفوتوغراف» .

#### مهرجان قومي عربي في عام ١٩٧٩ م

مهرجان للفن القومي العربي، تشارك فيه المنظمات والاتحادات والمؤسسات الفنية في كافة  
الوطن العربي .

المؤتمر تحضر له العراق، ليتم في مطلع العام ١٩٧٩ م، وسوف يحتوي على معارض  
للفن التشكيلي، وعروض غنائية ومسرحية وموسيقية، وسوف يسبق هذا المهرجان، مهرجان  
لمعارض الملصق السياسي، «البوستر»، كما تقدم أيضاً أفلام عن قضية فلسطين .

#### \* كتب جديدة \*

- «كيف كتب الأخضر بن يوسف قصيدته الجديدة» مجموعة شعرية، للشاعر  
سعدى يوسف .. وهو يعتبر واحد من الشعراء المجددين ضمن مسيرة الحركة الشعرية الحديثة .
- «دور التكنولوجيا السياسية في تخلف الدول» تأليف د. محمد رجب  
النجار .
- «أنا والأسوار» ديوان جديد للشاعرة بشرى البستاني، عن «مشورات نلركر  
الثقافي الاجتماعي» بجامعة الموصل .

#### المغرب :

#### ذكرى ٣٣ عاماً

نظم مركز الإعلام التابع للأمم المتحدة بالرباط، أسبوعاً ثقافياً، لعرض الوثائق  
والطوابع، التي تعكس نشاط المنظمة ووكالاتها الخاصة، وكان ذلك بمناسبة مرور ٣٣  
عاماً، على تأسيس المنظمة .

#### الأدب المغربي .. بالانجليزية !

الدكتور صالح جواد الطعمة، الباحث العراقي .. وأستاذ الدراسات العربية في  
جامعة أديباتا بالولايات المتحدة، قام بزيارة للمغرب، وذلك لتحضير بحث عن الأدب المغربي،

## لقطة



\* النفل في الدول النامية \*



\* النفل في الدول النامية \*

المصري حسين علي محمد، الناشر سلسلة «كتابات الغد» .

- «بقايا كل شيء» تأليف أنيس منصور، الناشر المكتب المصري الحديث .
- «يوم في حياة رجل مفصول» تأليف عباس أحمد، الناشر مؤسسة روز اليوسف .
- «شوقي أمير الشعراء .. لماذا ؟» تأليف فتحي سعيد، الناشر سلسلة  
«كتابات» .
- «على ضفاف الجحيم» مجموعة شعرية للشاعر د. محمد العلافي، الناشر دار  
أتون، كما يصدر عن نفس الدار، «دهاليزي» للشاعر حلمي سالم .. و«الأخضر» للشاعر  
أحمد ريان .

- «طاغور .. شاعر الحب والحكم» تأليف علي شلش، الناشر دار المعارف .
- «انغام الأمل والوفاء» رواية من تأليف سعيد عبد الكريم .
- «ما وراء النهر» رواية تأليف، الدكتور طه حسين، الناشر دار المعارف .
- «وجوه قصصية قديمة وجديدة» تأليف علاء الدين وحيد .
- «أدب الرحلات عند العرب» .. تأليف د. حسين محمد حسين، صدر  
عن الهيئة العامة للكتاب .
- «الطب النفسي» تأليف الدكتور عادل صادق الأستاذ المساعد بكلية طب عين  
شمس .

- «محكمة في منتصف الليل» رواية للأديب محمد جلال .
- «يمحي حقي وعالمه القصصي» دراسة نقدية للدكتور نعيم عطية .
- «عصر القروء» أحدث كتب الدكتور مصطفى محمود .
- «دليل السينما العربية» دراسة احصائية ونقدية للناقد السينمائي سمير فريد .
- «حلم فتاة» مجموعة قصصية مختارة، عن اليونان الحديثة، تأليف د. نعيم عطية .
- «نظرية الظروف الاستثنائية» تأليف د. أحمد مدحت علي، المستشار بمجلس  
الدولة .

- «أثر القصة في التكوين النفسي للطفل» تأليف د. نادرة وهذان، خبيرة  
الإعلام بمنظمة اليونسيف، يصدر بمناسبة عام الطفل، عن الهيئة العامة للكتاب .
- «وراء العشق» و«أفراح العتبة» و«عصر الحب» ثلاث روايات جديدة،  
تأليف نجيب محفوظ .

#### اليمن :

#### مدينة أثرية .. في أشكال دائرية

تم اكتشاف مدينة أثرية شمال شرقي مدينة «مارب» ، يبلغ طول هذه المدينة المكتشفة حوالي  
خمين كيلو متراً .. والناظر إلى أبنيتها من الخارج، يراها مصصمة على أشكال دائرية ..  
 والمعروف أن الجمهورية العربية اليمنية، لا تزال مليئة بالكثوز والآثار المختلفة .  
نتيجة الحضارات المختلفة التي مرت بها اليمن كحضارة سبأ، ومعين، وحير .

#### \* كتب جديدة \*

- «قضايا يمنية» تأليف عبد الله البردوني .
- «عمنا صالح» رواية من تأليف محمد أحمد عبد المولى . كما صدرت له أيضاً  
«الأرض يا سلمى» عن دار العودة ببيروت .

#### العراق :

#### ملصقات عن نحو الأمية

أنيت مسابقة حول الملصق الفني، وموضوعه «نحو الأمية والتعليم الإلزامي» وذلك  
ضمن الحملة الوطنية الشاملة نحو الأمية، وقد شارك في هذا المعرض ٢٠ فناناً، وفاز بالجائزة

وأثناء إقامته قام بزيارة المكتبات المغربية، التي تحتفظ بكتب التراث والمخطوطات، سوف ينشر البحث باللغة الانجليزية.

#### معرض كتب متنقل

تحت رعاية وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، افتتح معرض للكتاب العراقي، الذي ينظمه المركز الثقافي العراقي بالرباط، وسوف ينتقل المعرض في عدد من المدن المغربية.

#### المعرض السابع عشر للأطباء العرب

أقيم المؤتمر السابع عشر لاتحاد الأطباء العرب، في الرباط، وقد شارك في المؤتمر أكثر من ألف طبيب وطبيبة، يمثلون تسعة عشرة دولة عربية، إضافة إلى عدد من المنظمات العلمية الدولية المتخصصة.

المؤتمر نظمته نقابة أطباء المغرب، وقد توفش فيه عدد من الموضوعات، أهمها مكافحة السرطان على مستوى الوطن العربي، والتعاون الطبي والدوائي، وممارسة الطب الشرعي فيها.

#### معارض تشكيلية

في قاعة «باب الرواح» أقام رسام غساري، معرضاً لأعمال «الكرافيك»، كما أقام الفنان المغربي أحمد اليعقوبي، بقاعة «لوسافو»، كما يستعد الفنان بنكون، لإقامة معرض مشترك مع الفنانة الأميركية كاترين غروتكوب.

#### عضوية شرف

«عبد الله كنون» العلامة المغرب، منحه مجمع اللغة العربية الأردني عضوية الشرف.

#### لقاء ثقافي

«الثقافة المغربية» ومفهوم المعاصرة، لقاء ثقافي قامت بتنظيمه الأمانة العامة للجامعة الوطنية للمجموعات الثقافية بالمغرب.

اللقاء كان بقاعة الشبيبة والرياضة بالرباط. وقد اشترك فيه : محمد العربي الخطابي، عبد الكريم خطاب، الدكتور عبد الله العروي، ادريس الكتاني، وغيرهم من المفكرين والكتاب والأدباء البارزين.

#### \* كتب جديدة \*

● «اليتيم» رواية من تأليف عبد الله العروي، عن دار النشر المغربية، في السدار البيضاء.

● «موحاً الأحق» رواية من تأليف الطاهر بن جلون، الناشر دار لوسوي بباريس.

● «المغرب عبر التاريخ» تأليف إبراهيم حركات.

## على السنتهم

● ● لا أعرف شيئاً اسمه أدب الشيخ، أو أدب الشباب .. أو حتى أدب المرأة، لأن الأدب الرفيع، هو الأدب الرفيع المطبوع.

#### أحمد السباعي السعودية

● ● إن الخلق الثقافي جهد حر .. ولهذا أقول إن كان لنا في يوم ما أن نحاسب أنفسنا في الميدان الثقافي، فينبغي أن نحاسب المثقفين من رجال الأدب والفنون.

#### الشاذلي القليبي تونس

● ● إن الحضارة في مجتمع الربع الأخير من القرن العشرين، تضع الطفل أمام منجزات هائلة .. والأدب المحلي مقصر في استيعاب هذه الحضارة ونقلها إلى الطفل .. ثم إن اللغة التي تخاطب بها الطفل، إلى أي مدى هي اللغة المناسبة له.

#### عادل أبو شنب سورية

● «الحركة التعاونية في المغرب» باللغة الفرنسية، تأليف الدكتورة فاطمة الزهراء .. قام بترجمته الدكتور صلاح الدين هارون.

● «في المذاهب الاقتصادية»، «الحرية»، «الاختار من شعر علال الفاسي»، ثلاثة كتب من تأليف علال الفاسي.

● «ارتياحات في الأدب المغربي الجديد»، تأليف الإسباني بدرو ماتيت موتنايث، كما صدر له أيضاً، «مقالات هامشية في الاستعراش».

● «ذكرى معركة الوادي»، تأليف عبد المجيد بنجلون الكتاب يخلد ذكرى معركة وادي المخازن، بمناسبة مرور أربعين سنة عليها.

● «عيننا والتراب الأخضر» مجموعة شعرية للشاعر أحمد غنار الهادي.

## مستقبل

#### اكتشاف مبنى تاريخي في نابلس

تم اكتشاف مبنى تاريخي في حارة «القربون» بنابلس، يعود إلى العهد الروماني .. كما تم اكتشاف مقبرة أثرية في «جنين»، تعود إلى العصر البرونزي المتوسط .. ولا تزال دائرة الآثار العامة تتابع حفرياتها في مناطق نابلس.

#### جائزة لوتس العالمية

الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي، الملقب بـ «أبو سلمى»، فاز هذا العام بجائزة «لوتس العالمية» .. وذلك بمناسبة صدور أعماله الكاملة في بيروت. الجائزة أيضاً فاز بها الأديب السوري الراحل الدكتور سامي الدرويش. من الشعراء العرب في لجنة التحكيم الشاعر محمود درويش.

#### معرض مشترك

في القدس المحتلة، أقام الفنانون الفلسطينيون معرضاً تشكيمياً، في نادي الخريجين العرب .. حيث شارك فيه سليمان منصور، فيرا تماري، نبيل عسائي، عصام بدر، إبراهيم سايا، كل المغني .. وسميرة بدران .. وقد ضم المعرض ٢٧ لوحة، وبعض القطع الخزفية.

#### لتشجيع التأليف .. والنشر

في جامعة «بيرزيت» تشكلت لجنة لمركز الأبحاث، مهمتها تنشيط عملية التأليف والنشر للأدباء في الأرض المحتلة، تضم اللجنة : محمد البطراوي، أسعد الأسعد، خليل توما، سحر خليفة، زكي العيلة، محمد أيوب، وعلي الخليلي.

● ● هناك آلاف الكلمات ذات الأصل العربي، وقد أصبح معظمها معروفاً، ثلث المعجم الإسباني عربي، وسبعون بالمائة من المعجم الفارسي كله عربي، وثلاثة آلاف كلمة في المعجم البرتغالي عربية .. ونسبة كبيرة في القاموس الفرنسي والإنجليزي أيضاً. ولكن ذلك غير معروف على نطاق واسع.

إن علماء الاشتقاق الغربيين إذا كانوا غير مغرضين، فيقولون إن أصل معظم هذه الكلمات مجهول .. وعندما نتبع أصل هذه الكلمات، نكتشف أنه أصل عربي.

#### عبد العزيز بنعبد الله المغرب

● ● إن الحضارة الراهنة، شرقية كانت أم غربية، ليست سلبية في كل سماتها، بل إن لها جانباً إيجابياً لا بد من قبوله واستيعابه، فالعلم محايد، إذ لا يوجد علم شرقي ولا علم غربي .. إن الحقائق العلمية واحدة.

#### مصطفى محمود مصر





## الباتيك ، أحدث صيحة في عالم الفن التشكيلي !

فن «الباتيك» ، الذي انتشر مؤخراً في أشكال عديدة ، منها الرسوم على الملابس ، دون أن يتأثر بغسيلها أو كبتها .

هذا الفن ، أقيم له معرض بالكويت ، والفنان هو الإيطالي فيولا دارماو ، وقد خصص ربع هذا المعرض ، لصالح الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين .

### \* كتب جديدة \*

- «الريشة الساخرة» للرسام والكاتب الكويتي عيد السلام مقبول .
- «أحمد الصافي الشجني شاعراً .. وساخراً» تأليف عيد الله الشيتي ، مدير تحرير مجلة النهضة الكويتية .
- «باللغة العربية والإنجليزية» صدر كتاب عن «تحييلات أطفالنا للقرن الحادي والعشرين» ، الكتاب بالألوان ، ويضم عشرين لوحة فيها تحيلهم للقرن المقبل . الكتاب صدر بمناسبة عام الطفل .. أصدرته جمعية النهضة الأسرية .
- قام بتحليل اللوحات الدكتور سعد عبد الرحمن ، رئيس قسم علم النفس بجامعة الكويت .
- «شذا الأيام» تأليف اقبال الغربلي .
- «عودة إلى أم القرى» تأليف موفق بن المرجة ، تقديم يعقوب الغنيم ، وكيل وزارة التربية .



## نشرة وثائقية لأديب راحل

محمد الحليوي ، الأديب التونسي الراحل ، أقيمت له أمسية أدبية للتعريف بأدبه .. ودوره الكبير في الحياة الثقافية .

كانت الأمسية بإشراف اللجنة الثقافية القومية .. التي تولت أيضاً إقامة معرض وثائقي مصور عن حياة الأديب الراحل ، كما تم طبع نشرة «وثائقية» مصورة عن حياته .

## مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب

عشرون يوماً ، تم مناقشتها لعدد (٧٠٠) اختصاصي ، يمثلون ١٢ قطراً عربياً ، وذلك في مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب ، كان موضوع المؤتمر دور الصيادلة العرب في تطوير العلوم الطبية والصيدلة .

والمؤتمر هو السادس ، وقد عقد في تونس لأول مرة .

### \* كتب جديدة \*

- «انطباعات عن تونس» مجموعة شعرية ، للشاعر التمساوي ، هوغو شوفسكي ، حيث يرسم بقلمه لوحات حب مشرقة للحياة في تونس .
- «الثقافة رهان حضاري» تأليف الشاذلي القليبي ، عن الدار التونسية للنشر .
- «فهرس اتنو- سوسولوجي» عن البلاد التونسية ، وضعه الأب لويس مدير معهد الآداب العربية .
- «مباحث في علم الكلام والفلسفة» تأليف الدكتور علي الشابي ، إصدار دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، في تونس .
- «المعرب الصوتي» تأليف إبراهيم بن مراد ، إصدار الدار العربية للكتاب .
- «همسات صاحبة إلى مواطنة ليبية» رواية ، للكاتبة سيد قذاف الدم ، إصدار الدار العربية للكتاب .
- «من الرجل المهاجر» مجموعة قصصية ، تأليف محمد الحبيب السالمي ، مستخدماً في أسلوب معالجته القصصية ، لغة القبيلة والريف التونسي .. مهاجراً من خلال شخصياته الخرافات والأساطير .
- «زقونود فرويد» تأليف محمد الديلمي ، الأستاذ بالمعاهد الثانوية ، ويقسم الفلسفة بالجامعة التونسية ، وهو ضمن سلسلة المعارف التي تصدرها دار الوساطة .
- «أبحاث في الأدب والتاريخ» تأليف أحمد الطويل .



### \* كتب جديدة \*

- «الكتابات الأولى الحديثة لمثقفين البحرين» تأليف مبارك الحاطر .

## معرض الكتاب العربي الثاني

٣٠ ألف كتاب ، معظمها من الدول العربية ، تم عرضها في المعرض الثاني للكتاب العربي ، هذه الكتب تم استيرادها في السنوات الأخيرة ، افتتح المعرض في «بيت الكرامة» .. وأثناء فترة المعرض ، تمت لقاءات ثقافية بين عدد من الأدباء ، حيث تداولوا فيها القضايا الأدبية والفنية .

### \* كتب جديدة \*

- «التغيير الاجتماعي والتوافق النفسي عن السكان العرب في إسرائيل» تأليف الدكتور شريف كناعنة ، رئيس وائدة علم الاجتماع وعلم الإنسان ، في جامعة «بيرزيت» ، صدر الكتاب عن مكتب وثائق الجامعة .
- «جليليات» ديوان جديد ، للشاعر نايف سليم ، صدر عن منشورات الصدافة ، بمدينة الناصرة .
- «الرجوع» ديوان ، للشاعر هارون هاشم رشيد .. تناول في أشعاره صمود الحق الفلسطيني .. وعن الشهيدة دلال المغربي .
- «.. وكان ولا بد أن ينزل المطر» ، «محكمة الكبار» ، «وذئاب المدينة» ، ثلاث مجموعات مسرحية للكاتبة المسرحية محمد كمال جبر ، صدرت عن دار مسرحيات الكتاب بالقدس المحتلة .
- «الموت .. والعشق» ديوان ، للشاعرة ليلى علوش .
- «اللاز» رواية ، تأليف الكاتب الجزائري الطاهر وطار ، وهي الطبعة الثانية ، التي قامت بإصدارها دار صلاح الدين بالقدس ، لتوزيعها داخل الأراضي المحتلة .
- «لن يفهمني غير الزيتون» مجموعة قصائد شعرية ، للشاعر عز الدين المناصرة .
- «ستون عاماً على الحركة القومية الفلسطينية» ، تأليف الدكتور إميل توما .



### \* كتب جديدة \*

- «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» طبعة جديدة ، إصدار الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، وذلك بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاة مؤلف الكتاب ، الفيلسوف العربي «ابن رشد» .. قام الدكتور أبو عمران الشيخ ، وبدوي جللول ، بمراجعة الكتاب وتقديم له .
- «عرس يغل» رواية من تأليف الروائي المسرحي الطاهر وطار .. الذي يعتبر أحد الكتاب الجزائريين ، الذين يكتبون مؤلفاتهم بالعربية .



### \* كتب جديدة \*

- «المعليشية» كتاب نقدي اجتماعي ، تأليف د . جهاد نعمان .
- «جبران الفيلسوف» تأليف د . غسان خالد . الطبعة الثانية ، والجدير بالذكر أن هذا الكتاب حصل به الدكتور غسان على درجة الماجستير في الفلسفة بدرجة جيد جداً .
- «ليستيقظ الأستاذة» تأليف رياض فاخوري ، وهو من الكتب النقدية .
- «دفتر شعر» ديوان ، للشاعر جوزف أبي ضاهر .
- «دراسات في النقد» كتاب يتناول بالنقد ، الشعر الحديث ، تأليف الياس خوري .
- «لبنان .. أزمة وحلول» تأليف هشام قبلاان .
- «المصافير تبحث عن وطن» مجموعة قصصية للأطفال ، تأليف ياسين رفاعة ، قام برسم لوحاتها عدنان الشريف .

● «مصر لبنان في مشاريع» تأليف الدكتور محمد المجذوب ، أستاذ كلية الحقوق بالجامعة اللبنانية ، الكتاب صدر ضمن سلسلة «زمني علمي» ، عن منشورات عويدات .

● «موجز تاريخ العراق الحديث» ١٩٢١ - ١٩٥٨ م ، تأليف حليم أحمد ، عن دار ابن خلدون ببيروت .

## الأطفال في العالم !!

حين وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٥٩ م، على إعلان حقوق الطفل كانت تدرك أبعاد مفهوم ومعاني « الطفولة » الإنسانية ، وحاجتها إلى الرعاية الاجتماعية ، والعناية الصحية .

فالطفولة هي مستقبل الإنسانية كلها .. والعناية بها تعني أن هذا المستقبل سوف يقوم على سواعد الأطفال .. فالخوف على الطفولة معناه الخوف على مستقبل البشرية ، وسلامته من الأمراض الجسمية ، والنفسية ، وبالتالي سلامته من الحروب ، والجرائم ، والفساد .

فإذا كانت مجتمعات اليوم تعاني القلق ، والضياء ، والانعزاف فإن مرد ذلك إلى أن طفولة هذه المجتمعات قد عانت كثيراً ، وشقت أكثر في الماضي .

عانت الفقر والجوع ، وشقت بالتشرد والتسول واليه من جراء الحروب الطاحنة التي ذهبت بالآباء ، والأمهات .

وحيث أدركت الدول خطورة الأوضاع التي تمر بها الطفولة سارعت في إنشاء الملاجئ ، ولأيتام ، ودور الرعاية الاجتماعية أملاً في القضاء على مظاهر التشرد ، واليه ، والتسول . لكن هذه الملاجئ ، لم تستطع أن تقوم بدور الأمومة ، ولم تقدر على تعويض هذه الطفولة حسان المنزل ، ودفعه .. وما زال العالم يحصد ما خلفه يؤس الأطفال ، وشقايتهم .

وإذا كان جوهر وثيقة إعلان حقوق الطفل تنص على « أن البشرية مدينة للطفل بأفضل ما لديها » ، فهل استطاعت البشرية أن تقدم للطفل بعض أفضل ما لديها من إمكانات الحياة والرعاية ؟

سؤال يدين عالم اليوم بكل ما أوتي من ثروات طائلة ، وما حققه من تقدم في الوسائل التكنولوجية !!

والغريب في الأمر أنه رغم الصرخات الإنسانية الداعية إلى حماية الطفولة « دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي ، أو أي رأي آخر ، أو الأصل أو الثروة أو الميلاد ، أو أي وضع آخر » .. الغريب في الأمر أنه رغم كل هذا ما زال كثير من أطفال شعوب العالم - وخاصة شعوب الدول النامية - يعانون الجوع ، والفاقة والخسران ، والتشرد على مرأى ومسمع شعوب الدول المتقدمة التي تحفظ للتسلح النووي ، وتجري تجاربها المندرة بالثلوث والموت !!

وإذا عرفنا من إحصائيات « اليونيسف » لعام ١٩٧٦ م ، أن عدد أطفال الدول النامية حتى سن ١٥ قد بلغ عام ١٩٧٠ م ( ١١٠٨ ملايين طفل ) مقابل ( ٣١٢ مليون طفل ) في الدول المتقدمة . وأن هذه الأرقام سوف ترتفع في عام ١٩٨٠ لتصل في الدول النامية إلى ( ١٣٩١ مليون طفل ) مقابل ( ٣٣١ مليون طفل ) في الدول المتقدمة .

وهذا يعني أن عدد الأطفال في الدول النامية سوف يزيد في عام ١٩٨٠ م ، زيادة قدرها ( ١٠٦٠ مليون طفل ) عن أطفال الدول المتقدمة .

إذا عرفنا ذلك فإننا ندرك حقيقة مرة هي أن الدول المتقدمة تسعى بما حققته من تطور تكنولوجي تهدد به العالم إلى تحطيم الدول النامية ، والقضاء على مستقبلها المثل في أطفالها . فالدول المتقدمة تسرق قوت الأطفال في الدول النامية لتوسيع صناعاتها ، وتحجم وسائل الحرب والدمار .

فماذا يعني اختيار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٩ م ليكون عاماً دولياً للطفل ؟ هل يعني لفت أنظار الأسرة العالمية « لتجديد اهتمامها بالوضع الحالي للأطفال ومستقبلهم » ؟ أم يعني إدانة الدول المتقدمة في ما تعانيه الطفولة ، ويقاسيه الأطفال في الدول النامية . وخاصة أطفال فلسطين العربية .. وأطفال آسيا وإفريقيا عامة ؟ الأسئلة كثيرة .. والقضية هي « لعبة » الدول المتقدمة !!

علوي طه الصافي

## جائزة « الآثار » لـ « طباطبائي » !

« محمد عيظ طباطبائي » من الشخصيات التي تخصصت في الأدب الإيراني .. ظل طوال عمره منقياً عن التراث ، ملقياً الضوء عليه في الكثير من مؤلفاته .

ولهذا منحه الدولة جائزة الآثار الوطنية الإيرانية ، قدمها له جعفر شريف اسامي رئيس الوزراء .

## دعوة لعالم عربي .. في آخر هذا العام !؟

العلامة حسن بن مطهر الحلي ، أحد أركان الفقه الإسلامي ، تمر على وفاته ستمئة وخمسين عاماً ، المجلس الأعلى للثقافة والفن دعا إلى إقامة مؤتمر بمناسبة ذكره في أواخر هذا العام ، حيث تناول المحاضرات ، دراسات عن حياته وفقهه والعصر الذي عاش فيه .

## \* كتب جديدة \*

- « التراب » مجموعة قصائد للشاعر « لليلانلو » .
- « القادة الكبار والمسؤوليات الجسام » باللغة الفارسية ، عن دار « محمد للطباعة والنشر » .. دراسة علمية عن سلطة الوجدان .
- « أصول علم الاجتماع » ، تأليف : عبد الحسين نوشين .
- « ما الفلسفة ! » - الطبعة الثانية - عن « دار خوارزمي » للطباعة والنشر .. كتاب يتناول الفلسفة في القرن العشرين ، تأليف : « متو جهريزركمهر » باللغة الفارسية .
- « سبيل معرفة المنطق والعلم » ، تأليف : محمد تقي برومند .
- « مصير البشرية » ، تأليف « لكت دوتوني » ، ترجمه عن الفارسية عبد الله انتظام ، كانت الطبعة الأولى منه منذ ٢٨ عاماً .
- « واجب الآداب » ، تأليف : أبو الحسن نجفي .
- « اصفهان » ، تأليف الدكتور لطف الله هنرفر .
- « الطريق الجديد » ، تأليف : حسين كاظم زادة .

## الاعلان العالمي لحقوق الحيوان !!!

كما أن هناك إعلاناً عالمياً لحقوق الانسان ... ، وحقوق الطفل ... ، فقد أصبح للحيوان حقوقاً أيضاً ، فقد صدر عن مقر اليونسكو بباريس « الاعلان العالمي لحقوق الحيوان » .. وقد أعدته الرابطة الدولية لحقوق الحيوان والتي تركز فيه على : « كل حيوان عامل له الحق بتقضية تعويضية وبالراحة » . « وينبغي عدم استغلال أي حيوان للترفيه عن الانسان » .. « ولكل حيوان الحق بالعيش في بيئته الخاصة » .. « وأي حرمان له من الحرية ، يخالف حقه هذا » .

## هجوم على المتاحف العربية

شنت السيدة « ماد بونس » ، أمينة القسم الإسلامي بمتحف اللوفر ، حملة شديدة على المتاحف العربية لأنها لا تمد قسمها بالأعمال الإسلامية .

المعروف أن السيدة جوردار ، المواطنة الفرنسية ، قدمت إلى القسم الإسلامي بعض الأعمال الفنية من مقتنياتها الخاصة .. وقد كان هذا هو السبب في تصريح السيدة « ماد بونس » على المتاحف العربية .





\* أحدث الكنب \*

**\* أحدث الكتب \***

● **انتاركتيكا** ، فارة المستقبل ، تأليف المصور : **اليوت بورتر** ، الذي عرف عنه براعته في تصوير المناظر الأرضية .. والمناطق المجهولة .. المؤلف كان قد ذهب إلى الفارة المتجمدة في

● روائي وكاتب مسرحي انجليزي . من مواليد باريس ، وقد سجل تجاربه الأدبية عندما كان يدرس الطب في روايته الأولى « ليزا » ١٨٩٧ م .

● روايته «الرق البشري» ١٩١٥م، كتب جزءاً من حياته فيها.

● أشهر أعماله الروائية : « حد موسى » ١٩٤٤ م ، « القمر وست بنسات » ١٩١٥ م ، وهي تتناول حياة الرسام الشهير بول جوجان .

- من أشهر مسرحياته : « الدائرة » و « الخطاب » ، و « الزوجة الوفية » .
- من أهم مؤلفاته النقدية : « مقدمة للأدب الإنجليزي والأميركي الحديث » .

● يعتبر واحداً من قادة الأدب الواقعي .

«حياتي في عام ٢٠٠٠»!

المسابقة يبدأ الاشتراك فيها من أول يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ م ... وقد اختير شعارها : (حياتي في عام ٢٠٠٠) . وسوف تمل الجوائز للفائزين في الخامس عشر من مايو (أيار) في العام المقبل .

## كيف تطورت الكتابة اليابانية !

● صدر كتاب جديد عن **أندريه مالرو**، الكاتب، الفيلسوف، الذي كان وزيراً للثقافة، تأليف **بالفيسكي**... حيث تناول فيه حياته الشخصية، والتركيز على المسألة التي ظلت تشغله طوال حياته وهي تساؤله الدائم عن قيمة الحضارة الغربية أمام الحضارات الأخرى وعلى الأخص، الحضارات الشرقية.

● «ساعود متاخراً هذا المساء» رواية، تأليف: هوكيت برول، حيث تررى فيها تفاصيل حياة أسرة فلسطينية بسيطة.. فازت هذه الرواية بجائزة وزارة التعليم الفرنسية.

● «مشكلة الموت وضعف الانسان» ، للروائي : باسكان جردان .

● (لوحة العناصر) مجموعة شعرية للشاعر البولوني الأصل، شارل دوبز نسلي.

● «من السويس إلى العقبة»، تأليف: بيير ديستريا.

● حوار الحضارات، ، تأليف: روجيه جارودي .

● «مرسون لا تخفي»، رواية بوليسية. تأليف: نيكول برنهام وميراي كاردو.

● تاريخ الحركات النسوية الفرنسية ، تأليف : جان رابو .

● **الإسلام وعلم الاجتماع الديني** ، تأليف : جان بول شاري ، وهو دراسة نقيد بأن الإسلام من النواحي الاجتماعية استطاع أن يترك معالته على الإنسان والبيئة .. وأنه استطاع أن يغير المفاهيم التي كانت سائدة في ذلك العصر الجاهل .

● المرأة الأسطورة.. والمرأة المضللة، تأليف: كلود الزون.

● الرجل الجديد ، تأليف : انيك جيل .

● **المسلمون** ، تأليف : **لويس جاردييه** ، وهو من الأشخاص المتخصصين في الفكر والحضارة الإسلامية .

● ربايعيات الخيام ، ترجمة : شارل غرولوا .

● **أزمة المثقفين .. تقليدية . أم تاريخية ،** ، تأليف الكاتب المغربي : عبد الله العروي ، قام بالترجمة العربية (ذوقان قرطوط) .

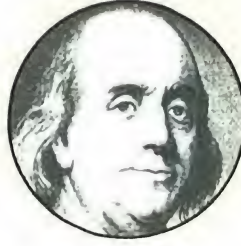
● محبة اب،، تأليف : فرانسوا سونكان .

● اجدار جميع الفصول ،، تأليف : برنار داکوستا .

مناسبة عام الطفل ، أقيمت مسابقة للأطفال ، وذلك لاختيار أجمل « أفيش » - ملصق - يعبر عن هذه المناسبة . . وقد وقع اختيار الأمم المتحدة على الملصق الذي قامت بتصميمه الفتاة « أندريا فينيوك سميث » وعمرها خمسة عشر عاماً . . حيث فازت بالجائزة الأولى . المسابقة ، كانت في حدود إمارة « موناكو » .



★ موزارت ★



★ بنيامين فرانكلين ★

### تطور الكتابة الخطية للقرآن الكريم

فيلم تسجيلي، مدته عشرون دقيقة عن القرآن الكريم.. وهو أول فيلم من هذا النوع.. وقد عالج الموضوع من خلال نماذج الخطية.. وتطور كتابة القرآن الكريم بالخط الكوفي.. ثم بأنواع الخطوط الأخرى.. إلى أن يصل إلى الخطوط الحديثة.. الفيلم يعرض حالياً في لندن... وسوف يتم توزيعه على وسائل الاعلام في اغلب دول العالم.

### عمره أقدم من قصر اللوفر!

احتفلت بريطانيا بمرور ألف سنة على انشاء برجها الشهير: «برج لندن»، فهو يعتبر أقدم قصر في العالم، يقع على مساحة ٤٠ ألف متر.. وبداخله ٢٠ حصناً كبيراً.. وعدد من السجون ذات البوابات الضخمة الرهيبة، كما يعد هذا البرج، أقدم من قصر اللوفر في باريس.

### ★ أحدث الكتب ★

- «ذكريات من الكونغو»، تأليف الأديب البولندي: جوزيف كوتراد.. الكتاب يحكي سيرة المؤلف وتجربته الشخصية في الفترة التي عمل فيها بحاراً وضابطاً في الأسطول التجاري الإنجليزي لمدة تزيد على العشر سنوات.
- «قصص مصرية قصيرة»، اختيرت لاعطاء فكرة عن تطور فن القصة المصرية خلال السنوات العشر الأخيرة.. ضم الكتاب سبع عشرة قصة لكُتّاب مختلفين.
- «دائرة المعارف البريطانية»، تصدر في عام ١٩٨١م الطبعة الأولى منها باللغة العربية.. وبعد ذلك تصدر كل عام، يشرف على الترجمة والإصدار الدكتور سمير سرحان.
- «العامل الانساني»، تأليف الروائي الإنجليزي غراهام جرين.

القطب الجنوبي، بدعوة من منظمة العلوم الدولية.

- «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي الحس المشائيل»، هذا العنوان الطويل لرواية طبعت للمرة الثالثة، الأولى كانت بحيفا، والثانية في بيروت، أما الطبعة الثالثة فنصدرت في أميركا باللغة الإنجليزية، سوف يقوم بترجمتها الكاتب اللبناني حليم بركات.
- المؤلف هو: «اميل جيبسي» من أبرز كتّاب الأرض المحتلة.
- «نهاية امبراطورية»، تأليف: ستانلي ووكر.

### سويشانا

### (٣١٠) آلاف جنيه قيمة صفحة من كتاب

في المزداد العلني الذي أقيم مؤخراً في «شاد بيري»، عرضت صفحة من «كتاب الملوك» الذي يعود تاريخه إلى عام ١٦٠٢م... الصفحة عبارة عن واحدة من اللوحات التي نزين الكتاب، بالأسلوب الفارسي القديم في فن التصوير.. وقد بلغ ثمنها ٣١٠,٠٠٠ جنيه استرليني، وهو أغلى ثمن للوحة ورقية شرقية بيعت في مزاد عالمي حتى الآن.

«كتاب الملوك»... هو من تأليف العلامة «علي جان بن حيدر تولي الحراوي».

### (٤٥) ألف جنيه ثمناً للوحة

بيعت ٣٢ لوحة من رسوم العصر الفيكتوري بمبلغ ٤٩٠,٠٠٠ دولار أميركي، خلال ٢٥ دقيقة من العرض الذي أقيم في مزاد «سويشي».

كان أغلى ثمن، هو ما دفعته جمعية الفنون الجميلة البريطانية ثمناً للوحة زيتية، رسمت في حوالي عام ١٨٤٨م.. للرسم الساخر: «ادوارد لير».

الثن الذي دفعته الجمعية هو: ٤٥,٠٠٠ جنيه استرليني.

### حدث في مثل هذا الشهر

١٨ يناير  
١٦٨٩ مولد الكاتب والفيلسوف الفرنسي مونتسكيو.  
١٩٣٦ وفاة الأديب الإنجليزي كيلنج.

١٩ يناير  
١٧٣٦ مولد جيمس وات مخترع آلة تكثيف البخار.  
١٧٩٨ مولد الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت.

٢٢ يناير  
١٥٦١ مولد الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون.

٢٥ يناير  
١٨٧٤ مولد الأديب الإنجليزي سومرست موم (طالع شخصية عالمية)

٢٦ يناير  
١٨٨٧ بدء العمل في تنفيذ برج إيفل في باريس.

٢٧ يناير  
١٧٥٦ مولد الموسيقار موزارت.  
١٩٢٦ أول تجربة لاختراع التلفزيون قام بها جون بيرد في معمله بسومو (لندن).

٢٨ يناير  
١٩٣٩ وفاة الأديب الإيرلندي وليم بثلريتس.

٣٠ يناير  
١٩٤٨ وفاة أوربيل مخترع الطائرة.



★ فرنسيس بيكون ★

١٠ يناير  
١٩٢٠ نشأة عصبة الأمم رسمياً.

١١ يناير  
١٨٤٢ مولد الفيلسوف الأمريكي ويليام جيبس.  
١٩٢٨ وفاة الأديب الإنجليزي توماس هاردي.

١٣ يناير  
١٩٤١ وفاة الروائي الإيرلندي جيمس جويس.

١٥ يناير  
١٦٢٢ مولد الشاعر المسرحي الفرنسي موليير.  
١٧٥٩ افتتاح المتحف البريطاني.

١٦ يناير  
١٥٩٩ وفاة الشاعر الإنجليزي ادmond سنسر.  
١٧٩٤ وفاة المؤرخ الإنجليزي ادوارد جيبون.  
١٩٢٠ أول اجتماع مجلس عصبة الأمم في باريس.

١٧ يناير  
١٧٠٦ مولد السياسي والأديب والعالم الأمريكي بنيامين فرانكلين.  
١٨٢٠ مولد الأديبة الإنجليزية آن برونتي.

أول يناير  
١٩٥٨ قيام السوق الأوروبية المشتركة.

٢ يناير  
١٨٣١ وفاة المؤرخ الألماني بارتولد نيبور.  
١٨٩٥ مولد المستشرق الإنجليزي هاملتون جيب.

٣ يناير  
١٠٦٠ ق.م. مولد الخطيب والكاتب الروماني شيشرون.

٤ يناير  
١٩٤١ وفاة الفيلسوف الفرنسي برجسون.  
١٩٦٠ وفاة الكتّاب الفرنسي الير كامبي.

٥ يناير  
١٩٦٥ وفاة الشاعر الإنجليزي ت. س. اليبوت.

٥ يناير  
١٩٢١ مولد الكاتب السويسري فردريك دورغات.  
١٩٢٢ وفاة الرحالة البريطاني ارست شاكلتون.

٦ يناير  
١٩٥٧ قدم ليزهاور مشروع «الفراغ في الشرق الأوسط» إلى الكونغرس الأمريكي.

٨ يناير  
١٤١٢ مولد جان دارك.  
١٨٩٦ وفاة الشاعر الفرنسي بول فرلين.  
١٩١٨ تكوين عصبة الأمم في أعقاب الحرب العالمية الأولى.



«جورج ناتالي»، عميد جامعة سانتيسيليا بإيطاليا، وذلك من أجل اختبار الأبحاث التي ستم مناقشتها في المهرجان.

## شخصيات

### مؤتمر لتحديد بدايات الشهور العربية

كلف مؤتمر تحديد الأهلة الذي عقد باستانبول، بترشيح المملكة العربية السعودية لتحديد مواعيد بدايات الشهور العربية وإعلانها لدول العالم الإسلامي، وذلك للتوصل إلى مبدأ توحيد بدايات الشهور العربية في كافة البلدان الإسلامية، بما يحقق وحدة المسلمين وعدم اختلافهم في مواقيت أداء الفرائض.. المؤتمر عقد بدعوة من الحكومة التركية.

## أخبار

### \* أحدث الكتب \*

● «إلين» و«إلوا»، روايتان جديدتان من تأليف، الكاتب الراحل: شارل فردينان، وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على وفاته.

### \* كتب جديدة \*

● «المشب الذي لا يموت»، للكاتب التركي كمال ياشار.

## أخبار

### \* أحدث الكتب \*

● عن شخصية «شارلمان»، ملك الفرنجة، صدر كتاب جديد، وذلك بمناسبة مرور ١٢٠٠ عام على غزوه للأندلس عام ٧٧٨ ميلادية.

الجدير بالذكر، أن المعركة التي دارت بين «شارلمان» والعرب، تكبد فيها خسائر فادحة. والكتاب الجديد، يلقي الضوء على حياة «شارلمان» التي أثرت كثيراً في الأجيال المتعاقبة، حيث ظهر هذا التأثير من خلال الروايات والأساطير التي كتبت.. ومن أهمها ملحمة «رولان».. إلا أن شخصية «شارلمان» البراقة، فقدت ذلك البريق بعد عصر النهضة.

## أخبار

### أيها الأطفال.. اكتشفوا أوروبا

نظمت مسابقة لرسم الأطفال عن طريق اتحاد صناديق التوفير - رايف ايزن - . وكان شعار المسابقة: يا أطفال أوروبا، «اكتشفوا أوروبا»!.. وقد اشترك في المسابقة خمسة ملايين طفل من إحدى عشرة دولة أوروبية.

الطريف أن أحد الأطفال تصور في رسمه «لقيم» وكتب تحته: «هذه روح أوروبا»!

### كل ثلاث سنوات

مؤتمر دولي للفنون التشكيلية، يعقد مرة كل ثلاث سنوات، حيث تشارك فيه خمسون دولة.

اليونسكو تنظم هذا المؤتمر، الذي سيناقش فيه أكثر من ثلاثين فناً من جنسيات مختلفة، موضوع علاقة الفن التشكيلي بالحياة.. ويتكبد اتجاهات الرأي العام.

### \* كتب جديدة \*

● «نيتشه.. وشقيقته البرابيث»، تأليف: هـ. بيسرز، الكتاب يوضح الدور الذي لعبته شقيقة الفيلسوف في المحافظة على بروز اسمه.

## أخبار

### \* كتب جديدة \*

● «المعتزلة واثريهم في ثراء التفكير الجدلي»، تأليف: جو ماريو، استاذ الدراسات الشرقية والإسلامية بنيودلهي.

## أخبار

### مهرجان لموسيقى الأطفال

يقام في مدينة «سيدني»، في أوائل أغسطس (آب) القادم، مهرجان «كودالي» العالمي للموسيقى، وذلك لوضع الخطوط العريضة للموسيقى، التي يجب أن توجه للطفل.. ويحيى هذا المهرجان، ضمن الاحتفالات باليوم العالمي للطفل، وقد طلبت اللجنة المشرفة على المهرجان من الدول المشتركة، تقديم البحوث المختلفة في موسيقى الطفل، وذلك لعرضها على البروفيسور «جاك شاييه» وهو رئيس المجلس الدولي للموسيقى بباريس، وأيضاً، عرضها على

أطفال العالم (حتى ٥ سنة)			
الدول النامية	الدول المتقدمة	توزيع أطفال العالم (حتى ٥ سنة)	أخبار
١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢
١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢
١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢	١٩٨٠ ١٩٩١ ١٩٩٢

## عن القوال الجيد

● ● إذا كنا نستطيع أن نحشد طاقات هذه الدولة الكبرى لحماية أي حيوان صغير .. فبكل تأكيد يستطيع نظامنا أن يحمي أغلى ثرواتنا الوطنية .. ألا وهي الأطفال .

جين يونج

رئيسة اللجنة القومية لعام الطفل - أمريكا

● ● إن الحقيقة المجردة ليست فناً ..

التعبير هو الفن .

البرتو مورافيا

إيطاليا

● ● إن المسألة ، مسألة شاعر .. أو لا شاعر ! ..

وإن معظم كتاب الشعر الملتزم هم سياسيون أكثر من كونهم شعراء ..

الناقد : «آلان بوسكيه»

فرنسا

● ● إنني مقتنع بأن الضحك ، هو أكثر الأمور جدية في هذه الحياة .

ويلهيلم رايبه

ناقد

● ● إن من يسلبني مالي ، يبوء بشيء حقير .

لقد كان ملكي وسيكون ملكاً لشخص آخر .. ولكن الأهم من ذلك ، أن

الذي يسلبني شرفي ، يجردني مما لا فائدة بدونه .. ويتركني حقاً في أشد حالات البؤس .. والفقر ؟

وليم شكسبير

بريطانيا



★ آلان بوسكيه ★

.. وفاز بالميدالية الفضية

«محمد شوري» ، الفنان التشكيلي المغربي ، فاز بالجائزة الثانية وهي عبارة عن ميدالية فضية ، وذلك في المعرض الذي أقيم في مدينة «موسكرون» البلجيكية .. وكان محمد شوري ضمن ٢٠٠ فنان بلجيكي وفرنسي وألماني .. حيث عرضت ، ٥٠٠ لوحة في هذا المعرض .

المليونير ، الضاحك الحزين

الكاتب البلجيكي «جاكي بريل» ، توفي بعد ٤٩ عاماً ، تاركاً خلفه مجموعة من الأشعار الغنائية والحزينة والضحكة ، وقد كان يكتب أشعاره بالفرنسية ، والجدير بالذكر أن هذا الكاتب ، كان ابن رجل صناعة ثري ، إلا أنه ظل متواضعاً في حياته وسلوكه .. معتمداً على نفسه ، حتى أصبح في النهاية مليونيراً ..

الآلات الموسيقية .. تكاد تنقرض !

المجلس الدولي للموسيقى ، التابع لمنظمة اليونسكو ، قرر إصدار كتاب عن الآلات الموسيقية التقليدية .. وعن أشهر عازفيها على مر العصور .

وسوف يقام في أول ديسمبر (كانون الأول) المؤتمر الأول من نوعه ، حيث يبحث انشاء متحف خاص لتلك الآلات التي أصبحت مهددة بالانقراض .

## كاريكاتير

● ولد في ١٤ فبراير/شباط عام ١٩٣٦م بمدينة «نيم» الفرنسية .

● نشر رسوماته الكاريكاتيرية الأولى عام ١٩٦٤م .

● عمل في أغلب المجلات الفرنسية وأبرزها «باري ماتش» و«فرانس سوار» و«الفيجارو» .

● أصدر كتاباً بعنوان «أرض أرض» جمع فيه أبرز رسوماته .

● ورسومات «بارب» تميل إلى أسلوب «الكلمات المتقاطعة»

سواء من الناحية الشكلية والتشكيلية أو من الناحية الفكرية

والسلوكية .. فهو يستخدم الرسومات بدلاً من الكلمات ،

ويعمد إلى الغموض الذي يجعل من فنه الغامزاً ، ومع هذا لا

يحاول أن يساعد على حل تلك الألغاز بأي تعليقات من عنده .

● وخير دليل على هذا الغموض المتعمد وذلك الأسلوب المتشابه هو الرسم المنشور هنا .. لماذا يقصد به ، وما هو مغزاه ؟!

● وقبل أن نحيرنا الإجابة على هذا التساؤل ، تجدر بنا الإشارة إلى

أن الفن لا ينبغي أن يكون مقروءاً بالضرورة ، لأنه يعتمد على

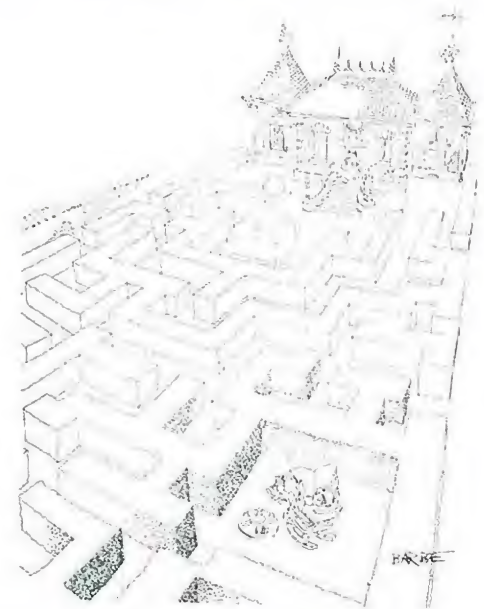
نقل الأحاسيس والشاعر يبحث يفسرها كل متلق على حسب

إدراكه وثقافته ووعيه وحالته النفسية أيضاً .. وربما كانت كل

تلك المعايير في اعتبار ذلك الفنان «بارب» .. أو بعضها .



بارب  
BARBE







# إعلان حقوق الطفل



« النص الكامل لإعلان حقوق الطفل الذي تبنته الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٩ م ».

## الديباجة

بما أن الشعوب والأمم المتحدة قد أكدت من جديد في الميثاق إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان وكرامة الفرد وقدره ودفع الرقي الاجتماعي قداماً ورفع مستوى الحياة في جو أوسع من الحرية .  
بما أن الأمم المتحدة ، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، قد أكدت أن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في ذلك الإعلان دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر .

بما أن الطفل ، بسبب قصوره من ناحية النضج البدني والعقلي ، في حاجة إلى أسباب خاصة للحماية والرعاية تشمل الحماية الشرعية اللازمة قبل ولادته وبعدها .

حيث إن أسباب هذه الوفاة قد وردت في إعلان جنيف الخاص بحقوق الطفل الصادر في عام ١٩٢٤ م والذي أقره الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وفي النظم الأساسية للوكالات المتخصصة والميثاق الدولية التي تعنى برعاية الأطفال .  
وبما أن لزاماً على الجنس البشري أن يمنح الطفل خير ما عنده .

لذا فإن الجمعية العمومية تصدر هذا « الإعلان لحقوق الطفل » بهدف جعل الطفل ينعم بطفولة هنيئة ويتمتع بالحقوق والحريات الواردة في الإعلان لحريه ولمصلحة المجتمع ، وتبني بالآباء والأمهات وبالرجال والنساء والأفراد وبالهيئات التي تعنى طوعية برعاية الطفولة وبالسلطات المحلية والحكومات ، أن تعترف بهذه الحقوق وتعمل على مزاومتها بإجراءات تشريعية وغيرها على أن يتم ذلك وفقاً للمبادئ التالية :

## المبدأ الأول

يجب أن يتمتع الطفل بكافة الحقوق الواردة في هذا الإعلان . يحق لكل الأطفال التمتع بهذه الحقوق ، دون أي استثناء أو تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر ، أو الأصل الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر له أو لأسرته .

## المبدأ الثاني

يجب أن يكون للطفل حق التمتع بحماية خاصة وأن تتاح له الفرص والوسائل ، وفقاً لأحكام القانون وغير ذلك ، لكي ينشأ من النواحي البدنية والروحية والاجتماعية على غرار طبيعي وفي ظروف تسمح بالحرية والكرامة وفي سبيل تنفيذ أحكام القانون في هذا الشأن يجب أن يكون الاعتبار الأعظم لمصالح الطفل .

## المبدأ الثالث

ويجب أيضاً أن يكون للطفل منذ ولادته الحق في أن يعرف باسمه وبجنسية معينة .

## المبدأ الرابع

يجب أن يتاح للطفل التمتع بمزايا الأمن الاجتماعي وأن يكون له الحق في أن ينشأ وينمو في صحة وعافية . وتحقيقاً لهذا الهدف يجب أن تمنح الرعاية والحماية له ولأمه قبل ولادته وبعدها .  
وينبغي أن يكون للطفل الحق في التغذية الكافية والمأوى والرياضة والعناية الطبية .

## المبدأ الخامس

يطلب توفير العلاج الخاص والتربية والرعاية التي تقتضيها حالة الطفل المصاب بعجز بسبب إحدى العاهات .

## المبدأ السادس

ولكي تكون للطفل شخصية كاملة متناسقة يجب أن يحظى قدر الإمكان بأساغة والتفهم كما يجب أن ينمو تحت رعاية والديه ومسؤوليتهم ، وعلى كل حال في جو من الحنان يكفل له الأمن من الناحيتين المادية والأدبية . ويجب ألا يفصل الطفل عن والديه في مسهل حياته إلا في حالات استثنائية . وعلى المجتمع والسلطات العامة أن تكفل المعونة الكافية للأطفال المحرومين من رعاية الأسرة ولأولئك الذين ليست لديهم وسائل رغد العيش . وما يجدر تحقيقه أن تتولى الدولة والهيئات المختصة الأخرى بذل المعونة المالية التي تكفل إعالة أبناء الأسر الكبيرة العدد .

## المبدأ السابع

للطفل الحق في الحصول على وسائل التعليم الإلزامي المجاني . على الأقل في المرحلة الابتدائية . كما يجب أن تتيح له هذه الوسائل ما يرفع مستوى ثقافته العامة ويمكنه من أن ينمي قدراته وحسن تقديره للأمور وشعوره بالمسؤولية الأدبية والاجتماعية لكي يصبح عضواً مفيداً في المجتمع .

ويجب أن يكون تحقيق خبر مصالح الطفل المبدأ الذي يسير على هديه أولئك الذين يتولون تعليمه وارشاده على أن تقع أكبر تبعه في هذا الشأن على عاتق والديه .

ومن الواجب أن تتاح للطفل فرصة للتفرغ عن نفسه باللعب والرياضة اللذين يجب أن يستهدفا نفس الغاية التي يرمي التعليم والتربية إلى بلوغها . وعلى المجتمع والذين يتولون السلطات العامة ، أن يعملوا على إتاحة الاستمتاع الكامل بهذا الحق للطفل .

## المبدأ الثامن

ويجب أيضاً أن يكون للطفل المقام الأول في الحصول على الوقاية والاعانة في حالة وقوع الكوارث .

## المبدأ التاسع

يجب ضمان الوقاية للطفل من كافة ضروب الامهال والفسوة والاستغلال . وينبغي أيضاً ألا يكون معرضاً للتجار به بأية وسيلة من الوسائل .

ومن الواجب ألا يبدأ استخدام الطفل قبل بلوغه سناً مناسبة كما يجب ألا يسمح له بأي حال من الأحوال أن يتولى حرفة أو عملاً قد يضر بصحته أو يعرقل وسائل تعليمه أو يعترض طرق نموه من الناحية البدنية أو الخلقية أو العقلية .

## المبدأ العاشر

يجب أن تتاح للطفل وسائل الوقاية من الأفعال والتدابير التي قد تبت في نفسه أي نوع من التمييز من الناحيتين العنصرية أو الدينية وأن تتسم تنشئته بروح التفاهم والتسامح والصداقة بين كافة الشعوب وكذلك بمحبة السلام والأخوة الشاملة وأن يشعر شعوراً قوياً بأن من واجبه أن يكرس كل ما يملك من طاقة ومواهب لخدمة إخوانه في الإنسانية .



# اتجاهات جديدة في علم النفس التربوي لدى الأطفال

بقلم: د. عبد الفتاح الديدي



بمناسبة

عام

الطفل



● لقد تعاون كل من علم النفس لدى الأطفال ، وعلم نفس النمو وعلم النفس التناسلي في إرساء قواعد علم التربية في مدارس الأطفال بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل .

●● على الرغم من الاعتقاد بأن العامل الأساسي في نظرية الطفل الأخلاقية مرجعها إلى الخلفية المنزلية ، فقد استطاعت المدارس أن تقنع نفسها بقدرتها على التأثير في النمو الأخلاقي لدى الأطفال .

●●● الهدف من التربية إيجاد الوسائل التي تكفل حرية الطفل في ممارسة الحياة الواقعية مع بناء هذا الواقع الخارجي نفسه ، باستكمال قدرات الطفل على مواجهة هذا الواقع .



\* اللوحة للفنانة الصغيرة «ماري تولون» من إسبانيا عمرها ١٢ عاماً .. رسمت هذه الشجرة وكأنها ذراع لها خمس أصابع ، حلقة في الفضاء ، متصورة مدينة هائلة .. تعلم في هدوء صامت \*



● **الطريقة الأولى** التي اتبعتها تلك المدارس الأوروبية هي محاولة تقديم إرشادات واعطاء تعليمات أخلاقية صريحة إلى تلاميذها مع استخدام مناهج السؤال والجواب والمواظب الأخلاقية من أجل توصيل أخلاقيات المجتمع إلى عالم الأوامر والنواهي الذي يعيش فيه الصغار . واستمرت هذه الطريقة في اتباع خطة إملاء هذه الأخلاقيات من خلال السلطة المدرسية وأسلوب القهر اعتماداً على المراقبة المشددة لسلوك الأطفال .

● **أما الطريقة الثانية** فكانت تعتمد على الأسلوب غير المباشر في توجيه الأطفال اعتماداً على المواقف والمناسبات التي تتجدد فيها الحاجة إلى اتباع هذا الأسلوب . فكان المربي ينتظر المناسبة التي يوجه فيها ملاحظاته إلى تلاميذه على نحو غير مباشر كأن الموضوع غير مقصود وكأن الكلام يقال لاعتبارات عامة .

وعلى الرغم من الاعتقاد بأن العامل الأساسي في نظرية الطفل الأخلاقية مرجعها إلى الخلفية المنزلية استطاعت المدارس عندئذ أن تتقنع نفسها بأنها قادرة من جانبها على التأثير على النمو الأخلاقي عند الأطفال . ولا شك في أن المدرسة بتجربتها اليومية المتكررة وإدارتها وتنظيمها وما تفرضه من قيم ومبادئ وما تدفع التلاميذ إلى ممارسته من أشكال السلوك ، تخلق عاملاً شديداً التأثير على تطور ونمو اتجاهات التلاميذ . ولا نلث بالتالي أن نرى تجاوزاً محققاً بين هيئة التدريس والتلاميذ من حيث الاعتقادات ومن حيث المثل العليا الأخلاقية والأهداف السلوكية . فالنظام والقنود التي يمارسها كل من المدرسين والتلاميذ وتحديد الأهداف العامة للحياة مع استخدام وسائل الترغيب والترهيب وممارسة ذلك عملياً في الفصول وفي ساعات الألعاب ... كل هذا يؤدي إلى التأثير على المفهوم الأخلاقي وعلى السلوك العام للتلاميذ داخل المدرسة وخارجها ، وغني عن القول إن الكثيرين وجدوا راحة في اتباع الطريقة الأولى أو الثانية فاكتفوا بأبها واقتنعوا تماماً بأنه لم تعد هناك حاجة إلى غير ذلك من المناهج التربوية .

### ادخال المناهج المعاصرة في التربية

ونحن نعرف أن التربية تستمد مناهجها وأسسها التربوية من النتائج التي تحققها علوم النفس الخاصة بالطفولة في مختلف حقولها وميادينها واتجاهاتها . ولا نضيف جديداً إذا قلنا إن كل اكتشاف في مجال علم النفس يؤدي إلى تطور مماثل وإلى أثر ملموس في مجالات التربية .

وعندما طغت موجة المقاييس النفسية في النصف الأول من هذا القرن ، تأثرت علوم التربية بذلك تأثراً كبيراً ، وصارت تنافس علم النفس في تطبيق المقاييس على القدرات وعلى الخصائص الأخلاقية وأنواع السلوك . واستمرت على هذا النحو في استخدام المقاييس حتى اليوم في المدارس التي تستهدي بالمقاييس الآن من أجل اكتشاف خصائص ومميزات محددة لكل طفل ، ومن أجل تحديد وضعية الطفل بين أقرانه تحديداً علمياً قاطعاً يسمح بأن يكون التعامل التربوي تعاملًا مبنياً على استقراءات

أصبحت التربية اليوم علماً بالمعنى المحدد لكلمة العلم . وارتبط مصير الأطفال في المدارس بكل ما نقدمه لهذا العلم من جهود وبكل ما يترتب على أبحاثنا من ثمرات من أجل تأصيل هذا العلم وتثبيته . واهتم علم التربية بتحديد الخطوات التي يمر بها الطفل في تطوره مع تزايد نموه على نحو ثابت مؤكد يضمن تعامل رجال التربية مع حقائق علمية لا دخل للظنون أو العادات في تعديلها وتبديلها .



ففي علم التربية الحالي يتعامل رجال التربية مع وقائع علمية موضوعية مبنية على تحديدات تماثل ما نراه في العلوم الطبيعية والظواهر الكيماوية . وتنشأ هذه الظواهر العلمية نتيجة لتقديرات دقيقة لحالات التلاميذ وحسابات مؤكدة لنشاطهم السلوكي ودراسات واعية لكل مراحل تطورهم ونموهم منذ ساعة الصفر ، أي ساعة الولادة حتى سن الخامسة عشرة وما بعدها .

وصارت المدرسة اليوم مؤسسة تحدد من جانبها كل الخصائص والمميزات والقدرات التي يتمتع بها الطفل ، وتوجد وسائل يحاول المربون أن يطبقوها منهجياً من أجل التعرف العلمي على قدرات واتجاهات كل طفل . فيضعون المقاييس اللازمة التي يتعرفون بها على ذكاء الطفل ومستوى تفكيره ومدى استجابته الوجدانية للظواهر المحيطة وقدرته على الاستيعاب وممارسته للحياة الاجتماعية مع زملائه الأطفال ، وإقباله على اللعب أو على المذاكرة ، ومدى الانتباه الذي يعطيه لكل موقف من المواقف . ويحدد المربون في المدرسة كل خصائص الطفل في سجل خاص بكل طفل . ويعمدون في نفس الوقت إلى وصف البيئة المنزلية التي يعيش فيها الطفل حياته البيئية ويقضي فيها أوقاته خارج المدرسة . ويعملون هذا كله في دقة وفي سرية واهتمام بالغ بحيث يصبح الطفل في النهاية جملة من التصرفات المحسوبة ومقداراً نوعياً من السلوك المحدد سلفاً وحزمة من الأفعال المعروفة وفقاً لشئى المناسبات التي يجتازها .

وتعاون كل من علم نفس الطفل وعلم نفس النمو وعلم النفس الناسلي في إرساء قواعد علم التربية في مدارس الأطفال بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل . وصار من الواجب في هذه الأيام نقل هذه التجربة التربوية الجديدة إلى مدارسنا . وأثرى علم النفس الحديث علوم التربية بشئى التجارب والاتجاهات لتستجيب لحاجات المدارس والمجتمعات في أوضاعنا الحاضرة .

وكانت المدارس إلى عهد غير بعيد تحاول تحديد السلوك الأخلاقي وتنميته عند التلاميذ عن طريقين ... أعني أنها اتبعت خطتين في محاولتها لتعيين النمو الأخلاقي عند تلاميذها .

وذهبت بعض المدارس إلى حد إعطاء بعض الشروح للاختلاف المائل في العمليات الذهنية الخاصة بكل جنس على حدة . وفي هذه الحالة يختار المدرسون المواد التي تساعد على تكوين القدرات المختلفة وعلى تشجيع الامتياز والتقدير والحكم . وذهبت بعض المدارس الأخرى إلى حد محاولة ترغيب الأطفال في تنمية موقفهم الأخلاقي الشخصي عن طريق التفكير النقدي حول بعض المسائل الأخلاقية . واهتمت بعض المدارس أيضاً بما نسميه الالتزام النظامي الذاتي في حياة الإنسان بأكملها وفرض الطفل بنفسه ومن تلقاء ذاته النظام على نفسه حتى يتمكن الأطفال من إبراز نوع الحياة التي يفضلها كل منهم والتي يمضي في حياته على غمطها .

وصرفت بعض المدارس اهتمامها إلى محاولة استخلاص أفكار الأطفال أنفسهم والسعي إلى التعرف على ما يركزون عليه اهتمامهم عند مناقشة المشاكل التي يثيرها الأطفال . وذهب بعضهم إلى حد القول بضرورة تضمين دروس التربية الأخلاقية موضوعات تؤثر تأثيراً مباشراً على معاش الأطفال . أي إنهم ذهبوا إلى القول بضرورة احتواء دروس التربية الأخلاقية على مشاكل معينة تجري عادة في إطار التجربة الخاصة بالأطفال . وأراد بعضهم مناقشة الصعوبات وأنواع الفشل الفردية التي يلاقها هؤلاء الأطفال على أن تنحصر هذه الدروس في جدول المسائل الأخلاقية الفردية التي يثيرها التلاميذ عند وجودهم في الفصول وعلى أن ترتبط إلى حد ما بالمسائل الصحية والظروف البدنية العضوية الشخصية .

### علم النفس الناسلي وأثاره التربوية

ومن أبرز العلماء الذين اهتموا بوضع صيغة تربوية كاملة كلاباريد في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ثم من بعده تلميذه العالم الكبير الأستاذ جان بياجيه المولود سنة ١٨٩٦ م ، رئيس معهد جان جاك روسو حالياً في جنيف بسويسرا . وعاش كلاباريد متخصصاً في علم نفس الطفل وألف كتابه المشهور في هذا الفرع من التخصص . وأسس هذا العالم مبادئ علم النفس وأصول التربية في إطار المفهوم الوظيفي الذي كان له أبعد الآثار على علم النفس الحديث . وتلمذ عليه بياجيه واشتغل معه بعلم النفس الوظيفي ثم استقل باتجاه جديد في علم النفس الناسلي . وكان كلاباريد قد بذل جهداً كبيراً في مجال القياسات والفروق الفردية للأطفال . ولكن بياجيه عدل عن هذا الموقف واتجه اتجاهاً مختلفاً وإن بقيت جذوره وظيفية .

فلم يلبث بياجيه أن افترق عن أستاذه في الثلاثينات من هذا القرن وأقام علم نفس الطفل الجديد تحت اسم علم النفس الناسلي . ويفضل بعض الأساتذة تسمية هذا العلم باسم علم النفس التكويني في البلاد العربية ، ولكن كلمة الناسلية في رأينا هي أقرب شيء إلى الاسم الصحيح الذي يطلق على هذه المدرسة الجديدة .

والناسلية نسبة إلى الناسلات ومفردها ناسلة وهي ما يعرف باسم الجينات . والاسم الأجنبي للناسلية هو « الجينيتيك » ، وليس هذا الاسم في اللغة الفرنسية منسوباً إلى « جينين » بمعنى تكوين ، لأن النسبة



★ اللوحة للفنانة الصغيرة « جازيل سينوكي » ١٣ عاماً من الجزائر ، وقد رسمت الشجرة على هيئة فناء كالوردة ، وقد هذبل شعرها في رقة وبساطة ★

واستبيانات تؤدي إلى تحويل علم التربية إلى علم ثابت وطيد . وبطبيعة الحال ساعدت هذه المقاييس الخاصة بالفروق الفردية على إضافة معلومات جديدة عن التلاميذ وعلى استحداث وسائل تربوية يتعامل فيها المدرس مع عدد من المعطيات المحددة بالنسبة لكل طفل . فأصبح من السهل تحديد موقع كل طفل واكتشاف أبعاده السلوكية وربط عمليات تفكيره بعضها ببعض ومعرفة أحلام كل واحد منهم وخلق سياق موحد لكل شخصية من الشخصيات التي يتمتع بها الأطفال بحيث تكون الاستجابة على قدر المؤثر وبمحيث يكون التوجيه ملتزماً بكل ما يعرفه المدرس عن التلاميذ .

وفي مجال الأخلاق بالذات أصبح التركيز على نمو الشخصية مع تأكيد وتشجيع بعض الخصائص الفردية والشخصية المميزة عند كل طفل على حدة . وفي بعض الدروس يهتم المدرس بدراسة الشخصية الفردية . ويعمد عندئذ إلى تعزيز علم النفس الخاص بالشخصية من أجل معاونة الصغار على معرفة أنفسهم وإدراك ملكاتهم . ويقوم بتحليل ومناقشة الانفعالات الإنسانية حتى يساعد الأطفال على فهم ما تنطوي عليه ملامح النضج العاطفي والاكتمال الوجداني .





★ اللوحة للفنان الطفل «ستيفن بيمور» من كندا، العمر ٥ سنوات .  
نلاحظ في رسمه للشجرة، أنه تمثيلها على شكل وجه .. والعينين، إحداهما «طائر» .. والثانية «تفاحة» .. واللون الأخضر يسيطر على مساحة اللوحة، إحساس من الفنان الصغير بالأمان والخير ★



التي تستوقف انتباهه ... ويمارس أيضاً عمليات ملاحظة الأشياء ومتابعتها فضلاً عن أنه يتعلم تآزر حركات العين واليدين والساقين من أجل الإمساك بالشئ المطلوب، والفضل هنا في التأثير عليه يرجع إلى عوامل الوراثة ووجود الوالدين - والوالدة بالذات - حوله . فهذا هو ما يخلق تأثيراً واضحاً على قدراته في المرحلة الحسية الحركية حتى سن السنتين كما أن هذا هو ما يساعد على إعدادها وصقلها . ولكن المهم هنا هو أن التلقين لا يفيد شيئاً على الإطلاق في تعجيل المراحل الانتقالية التي يمر بها المعارف التي يكتسبها .

هذا فضلاً عن أن الطفل يستجمع شتاته بعد سن النستين في عمليات التآزر والتثليل والتعديل وفقاً لمخططات مجملية وراثية بحيث يواجه العالم الخارجي في متطلباته . ويتفق علماء النفس جميعاً من كافة الاتجاهات مع بياجيه في أن سن السادسة أو السابعة هي سن ظهور المنطق عند الطفل . ولذلك يسمى بياجيه ما قبل تلك السن باسم مرحلة ما قبل المنطق أو ما قبل الفاعلية عند الطفل ويسمى ما

إلى جينيز هي جينيتيك وليست جينيتيك . أما هذه الأخيرة فهي منسوبة إلى الجينات مباشرة، وهي الناسلات باللغة العربية كما أقرها المجمع اللغوي بالقاهرة . وعلم الجينيتيك أو الناسلية، اسم مستقل لعلم يوصف به علم الوراثة من حيث انتقال الخصائص في الناسلات مع فاعليتها طولاً وعرضاً كأكسيمات أو مخططات مجملية متآزرة تفرض نفسها فرضاً على أجيال متوالية أو على جيل واحد بكل ما تتصف به من الخصائص والمزايا والسمات .

ويتبين هذا الفاصل الدقيق بين علم النفس الناسلي وما عده من علوم النفس الخاصة بالنمو أو الارتقاء أو التكوين من تحديد موقفه الأساسي حيال حياة الرضيع . فالرضيع من وجهة نظر علم النفس الناسلي يكتسب معرفته بالعالم الخارجي خلال أفعاله الخاصة وليس عن طريق التعلم أو التلقين من جانب من يعيشون حوله . فهو يتابع الأشياء المتحركة والأشياء الساكنة والأشياء التي تصدر عنها أصوات الأشخاص المارين من حوله والأجسام التي يصادفها أثناء جبهه وزحفه على الأرض والخطوط والأشكال





العائلة ، واستغابة عباد الله وانتقادهم بحقد ومرارة ، شأن المحبطين  
الفاشلين في الحياة .

وما كان أسوأ ظن الشيخة . ففي كثير من الحالات كانت تفسر  
تصرفات الآخرين تفسيراً غريباً . ولم تكن تسمح لواحدة من بنات  
العائلة بإقامة أية صداقة مع القريبات أو زميلات الدراسة أو بنات  
الجيران ، فالشيطان في رأيها قابع هناك دائماً - بين كل اثنين - وهكذا  
كانت تطرد من المنزل كل صديقة مدرسة أو رفيقة جيرة .

وحين كنت أقوم بتقديم خدمة لها أو شراء ما تحتاج إليه من السوق ،  
كنت أفعل ذلك بلهفة لأكسب محبتها أو رضى تلك « البعبع » عني ؛  
ولكنها ما كانت لتجود علي حتى بابتسامة أو نظرة فيها طراوة وحنو ،  
فكانت تقف دائماً كجدار يكسوه الصقيع ، لا تنبت عليه عشبة خضراء .  
وكنت أقارن في نفسي بينها وبين جدتي لأمي ؛ ما أبعد الفرق ! هنا الدفء  
والرقة والنعومة ، أما الشيخة فكانت صحراء ، لا شجرة فيها ولا ينبوع  
ماء ؛ كانت قاسية نصبت نفسها على عرش غير منظور .

كانت متكبرة متعالية ، تملكها غطرسة طبقية عمياء وبلا عقل . هي  
المتدنية ، والتي تؤمها النسوة الساذجات وبصحبتهم أطفالهن المرضى ،  
وبأيديهم أباريق الماء لتتلو الشيخة آيات القرآن على رؤوس الأطفال  
ولتنفث أنفاسها « الطاهرة » داخل الأبريق كما تحل في الماء البركة  
الشافية ، هذه نظرة ممجوجة يملؤها الترفع والتعالي : نحن فوق ، أنتم

كانت تملك في طفولتي رغبة في مراقبة المصلين وحركاتهم . وكثيراً  
ما وقفت بباب (جامع البيك) المواجه لدارنا في السوق القديم أرنو إلى  
جماعة المصلين ، فأرى تفاوتاً في تعابير الوجوه وفي طريقة أداء الصلاة .  
فهناك المسرع المتعجل الذي يبدو وكأنه لا يفكر بما يقوم به ؛ وهناك المتأن  
الخاشع والمتدمج فيما يفعل بروحه وبقلبه . وكانت مراقبة الحركات  
تستهويني إلى حد بعيد ، وكنت أتمنى دائماً لو أعرف لماذا يقوم بها المصلون  
في تعبيرهم عن إيمانهم وتحشعهم الديني . ولم أعرف إلا بعد زمن طويل  
أن كل طقوس العبادات وشعائرها منذ الوثنية البدائية تتخذ الصفة  
المسرحية في التعبير عن الاحساس الديني ، فكان الإنسان يملك ميلاً  
فطرياً إلى الأجواء الغامضة ذات التأثير .

أما الشيخة فكان أداؤها لفريضة الصلاة يحمل طابع المبالغة  
والتصنع . كان هناك دائماً شيء مصطنع وغير حقيقي في « مسرحية »  
أدائها للصلاة . وكانت تعترها أحياناً حالات من الدروشة ، فتشرع تهتز  
هزات عنيفة ، وتحرك رأسها بعنف يمناً شمالاً مع تردد اسم الله :  
الله .. الله .. الله .. الخ ، تلفظه بعجلة وبلا توقف ، ويأخذ الزيد  
يتراكم على طرفي فمها كلما أمعنت في حركات الدروشة . وكان معنى هذا  
أن روح الله حلت فيها . ويحدث أحياناً أن تحل فيها الروح وهي في  
جلسة عادية مع النسوة الزائرات .

أما أوقاتها الأخرى فكانت مكرسة لإصدار الأوامر والنواهي على نساء



بالنسبة لهذا الموقف متأثرة لا شعورياً بأمي ؛ فقد كانت تستهجن التعالي الطبق ، وتنتقد غطرسة الشيخة حتى لا نصيبنا عدواها . وكانت هي نفسها تنتمي إلى عائلة متوسطة الحال . كانت تقول بكل بساطة : كلنا من خلق رب واحد ، وكلنا مصيرنا إلى التراب . إن الشيخة قاسية القلب ، فالإنسان لا ينبغي أن يهين كرامة إنسان آخر مهما كانت منزلته الاجتماعية ، ومن القسوة التي يعاقب عليها الله إيذاء شعور الفقير . كانت أمي تحدثنا بعفوية وبساطة عن ديمقراطية الموت الذي يساوي بين كل الناس . كما علمتنا بطريقة غير مباشرة المعنى الحقيقي لكلمة (إنسان) وما يحمله هذا المعنى من شمول أخوي .

وكنت بدوري أستغرب كيف يمكن أن يتخذ إنسان ، ناهيك بشيخة متدينة ، مثل تلك المواقف القاسية . وحين كبرت أدركت نفاق الشيخة الديني ، فما استطاع الدين أن يشذب أحاسيسها ومشاعرها إلى جانب أميتها الأبجدية .

وكانت عندها مقاييس الحلال والحرام واللائق وغير اللائق عجيبة غريبة ، كان هذا يبلبل عقلي الصغير ويشوش صفاء طفولتي وبساطتها . كان الغناء بهجتي وفرحي . فكنت إذا خلوت بنفسي أرفع صوتي أحياناً بأغنية أحبا لعبد الوهاب أو أم كلثوم : (كم بعثنا مع النسيم سلاماً للحبيب الجميل حيث ..) وتدخل الشيخة كالزوبعة : اخربي .. اغلقي فمك .. لم يبق إلا أن تصبحي «جنكية» في تحت (هند) و (سارينا) !.. وينكسر صوتي فجأة ، وتعلق الأغنية في الهواء مبتورة ناقصة .

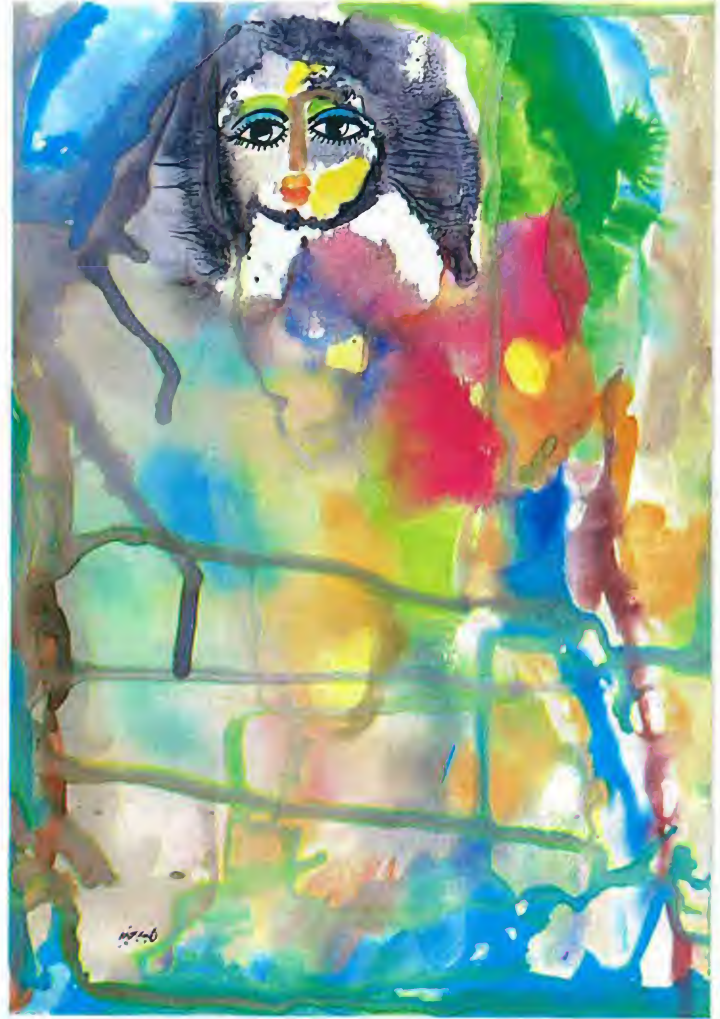
أما (هند) و (سارينا) فكانتا مغنيتين محترفتين في نابلس ، وكلمة جنكية تطلق عادة على المغنية المحترفة ، وهي مشتقة من كلمة «الجنك» الاسم الفارسي لآلة موسيقية تشبه السنطور . ولو اخترقت الشيخة أعماقي في تلك الأيام لوقع بصرها على أمنية قابعة هناك تحمل تطلعي إلى أن أصبح يوماً جنكية .

ذات يوم ، وأنا في بداية مسيرتي الشعرية ، دخلت الشيخة غرفتنا ، أو لأقل «غرفة البنات» كما كان يطلق عليها ، أو «البيت القبلي» . فقد كان لكل غرفة اسم خاص في الدار . دخلت الشيخة لتفاجأ بشقيقي الكبير أحمد يساعدي في توضيح بعض القواعد العروضية . وقفت صامته فوق رأسي ، ثم قالت لأحمد بلهجة مرّة عاتبة : حتى أنت؟! ثم أضافت : كلما طلع للبنت قرن اكسره ! ومازحها أحمد بكلمة عابرة ثم انصرف إلي من جديد .

(حتى أنت؟! ) ، تعبير مفاجع برجاجة عقل أحمد ، الوحيد الذي كانت تؤثره من دوننا بالهبة ، أما إبراهيم فما أحبته قط ، وكان في نظرها خارجاً على تقاليد العائلة ، متحرراً من قيودها الصارمة . لقد كانت الشيخة من ضمن أولئك الذين لعبوا دورهم في حياتي ثم أوغلوا في مطاوي الزمن !

## فدوى طوقان

نابلس - الضفة الغربية



تحت ... هكذا أراد الله ! .

في تلك الأيام كانت هذه النظرة مألوفة لدى الناس ، وكانت الطبقية قدراً من صنع الله ، وحكماً من أحكامه لا يرد . كنت أسمع دائماً هذه الكلمة المقيته : سيدي .. سي .. أمرك سيدي .. أمرك سي . يتقبلونها ولا يتمردون عليها . وإذا كنا نرفض اليوم قول أرسطو : « إن العبد يشبه الحيوان » ، فما كان قوله هذا في زمنه ممجوجاً ولا مرفوضاً ، فقد كان أرسطو منساقاً مع الأفكار السائدة في عصره ، أفكار المجتمع الأثني العبودي .

في مناسبة من مناسبات الأفراح في البيت قالت امرأة للشيخة : شرفينا يا ستي بزيارة لنا ، نحن نزورك دائماً ولا تزوروننا . وحدجتها الشيخة بعينين جليديتين ، ثم قالت بغطرستها المعهودة : اسمعي ، دائماً وأبداً تزوروننا ولا نزورك ، فما معنى الخروج اليوم على هذه القاعدة ؟ وماذا جرى للعالم ؟ هل انقلبت الأشياء رأساً على عقب ؟!

وانكسفت المرأة ، وغاص قلبي في جوفي رحمة بها ، ومضيت أهرول إلى أمي أحكي لها كيف كسفت الشيخة تلك المرأة المسكينة ، كنت صغيرة ، لا أدرك معنى الانسحاق الإنساني وقسوته ، ولكني كنت أعاف هذه المواقف غريزياً وتلقائياً ، فقد كنت شديدة الحساسية ، ولعلي كنت



الخاص بالطفل . وسواء كان العمل ذا نتيجة سلبية أو إيجابية فالمهم هو ربط هذا العمل بخطة خاصة بتجربة ذات علاقة بأي أعمال مستقبلية . وهناك خاصية أخرى ذات أهمية قصوى في علاقة المعلم بالتلميذ والتلميذ بالمعلم ، وفي تنشئة الروح الاجتماعية داخل إطار برنامج مفتوح ، وهي استعمال الاستدلال المنطقي . فهي تقوم مقام الوظائف القادرة على إنشاء وتأسيس أفكار الهوية والمحافظة في العمل المدرسي داخل الفصل . وتنطبق الاستدلالات المنطقية هنا على مجموعة من الأنشطة العقلية التي تتضمن استباق الآثار التي تترتب على بعض أنماط من سلوك الطفل . وتتضمن صور أخرى من الارشاد محاولة إبراز عدم التوفيق في نوع من السلوك . وعندئذ يفحص المعلم مع التلميذ ادراكه للموقف ومعياره للسلوك عن طريق التحليل المنطقي مع تقديم التوقعات المعقولة بالنسبة لكل واحد في النسق الاجتماعي . وهنا يتدخل عامل التقوية والتعزيز في اهتمامات المعلم نحو التلميذ وأسلوب عنايته به . وباستخدام جداول وكشوف التجارب السابقة يسعى المعلم لظهور الفروق بين العديد من العناصر بحيث يعين الأطفال باستمرار على اكتشاف الوقائع التي يجمع بينها عنصر الهوية والتي تنتظم في إطار الهوية وفي إطار عوامل المحافظة على الكيان الاجتماعي . ويتم تعميم هذه الجداول والكشوف الخاصة بالتجارب في أساسها اعتماداً على اللغة .

ويتطلب استخدام المنطق توجيهها وارشادها من جانب المعلم في وضع المشاكل التي تسمح بإبراز التفكير الاستقرائي بكل ما يتمتع به من إقامة الفروض واستخلاص النتائج ومتابعة علاقات السببية ودراسة أوجه الاحتمال . ولكن تنمية الإحساس بالالزام المنطقي في إطار السياق الاجتماعي تتطلب في جوهرها علاقة قائمة على التبادل بين المعلم وبين التلميذ . وبدون هذه العلاقة يصعب إنشاء الاحتكاك الاجتماعي المطلوب من أجل اشعار التلميذ في تجربته بالخلفية المنطقية التي تكمن وراء الاتصالات والترابطات الاجتماعية .

ويبدو من موقف يياجيه أن التعليم في نظره يتطلب الفهم والاستيعاب ، وبذلك يكون الهدف من التربية في نظره ، إيجاد الوسائل التي تكفل حرية الطفل في ممارسة الحياة الواقعية مع بناء هذا الواقع الخارجي نفسه . فهذا البناء لا يتم إلا باستكمال قدرات الطفل في مواجهة العالم الخارجي وتوسيع رقعة إحساسه بالمنطق الكامن وراء كل الأحداث .



★ اللوحة للفنانة الطفلة فاطمة بن مذكور ، من تونس - العمر ١٢ عاماً . . وقد رسمت الشجرة على شكل عروس تزينها الزخارف الكثيرة ، القريبة من زخارف البيئة الشعبية ★

تحليل هذه العملية بلغة الفاعلية أي بلغة المرحلة التالية لظهور المنطق المركب من محسوسات . والنقطة الأولى هي التقوية والتعزيز والنقطة الثانية هي التنمية لقدرة الطفل بحيث تصبح ذات تأثير في علاقاته القائمة على التبادل خلال استعماله للمنطق .

والفكرة الأساسية هنا هي التعليم خلال المشاركة الإيجابية مع تأكيد استقلال الطفل وحرية ، ويتدخل ارشاد المدرس هنا كعنصر لازم وضروري من أجل تنمية هذا المناخ الخاص بالتعليم . ويلعب هذا الارشاد من جانب المعلم دوراً جوهرياً في العملية المميزة التي يمر بها الطفل وبالتالي في عملية الارتباط بالأهداف وتعيين الأغراض .

مثال ذلك إذا سأل التلميذ المعلم رأيه في أحد أعماله المتكاملة لا ينبغي أن تكون إجابة المعلم متضمنة لأي حكم من أحكام القيمة . ويتجه المعلم بدلا من ذلك إلى سؤال التلميذ معاودة النظر في هذا العمل الذي أمته ويسأله : كيف فعلت ذلك ؟ أو يسأله : هل تستطيع أن تشرح لي ذلك ؟ فإذا طلب التلميذ من المعلم أن يصدر حكماً من أحكام القيمة أجابه المعلم بمعاودة الاستفسار منه عن مشاعره مثل : ما الذي تشعر به حيال هذا العمل ؟ والمهم هو ألا يحاول المعلم كشف الموقف





# مفهوم الثقافة



بقام: ابراهيم خورشيد

● إن كلمة ثقافة تدل على المزاج المركب من الخصائص والعقائد والمأثورات ، وغير ذلك من الخصائص التي تميز جماعة من الجماعات من حيث السلالة أو الدين أو الاجتماع ومن ذلك قولنا : « أمة لها ثقافات كثيرة »

الثقافة كلمة ، أجل كلمة واحدة ، لكن مدلولها واسع عميق يشمل معاني كثيرة وقبا متعددة اختلف الكتاب والعلماء في تحديدها وما زالوا يختلفون ، ذلك أنها أصبحت في مفهومها الحديث كالحياة الحديثة متشابكة الأسباب متداخلة المسالك ، تترج عناصرها امتزاجا يصعب على المرء تحديده وتحليله .

## الثقافة في اللغة

وأصل الكلمة في اللغات الأوروبية الكبرى لاتيني هو Cultus وقد ظهر هذا اللفظ أول ما ظهر في العصر الذهبي للغة اللاتينية ، ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده ، وكان معناه وقتئذ « التقديس » أو العبادة Cultura degli idoli .

والمعنى الأول لكلمة ثقافة في اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية هو زراعة الأرض أو حرثها ، ثم اتسع هذا المعنى وأصبح يدل على تعهد نبات أو حيوان أو محصول بالرعاية حتى ينمو ويتركز ، ثم اتسع أكثر وأكثر ، فدل على التنمية بالتعليم والدرس والتنوير وتهذيب الذوق بالتدريب العقلي والجسماني ، ويدخل في ذلك أيضاً تهذيب السلوك .

ومن مدلولات كلمة ثقافة أيضاً في هذه اللغات : أن تنحصر للمرء خبرة وذوق في الفنون الجميلة والمعارف الإنسانية ومناحي العلم العامة ، ولا يدخل في ذلك المعرفة أو البراعة اللتان يختص بهما أرباب المهن والفنون والمحترفون .

ثم إن كلمة ثقافة تدل على المزاج المركب من الخصائص والعقائد والمأثورات وغير ذلك من الخصائص التي تميز جماعة من الجماعات من حيث السلالة أو الدين أو الاجتماع ، ومن ذلك قولنا : أمة لها ثقافات كثيرة .

ومن معاني الثقافة أيضاً الحضارة ، وإن كان المحدثون يفرقون بين مدلول الكلمتين تفرقة دقيقة يصعب تحديدها . وهذا شأن مثل هذه المصطلحات التي يعز على المرء أن يجد لها تعريفاً جامعاً مانعاً . ولا أدل على ذلك من أن الناقد الإنكليزي « كليف بل » في كتابه المتع عن الحضارة لم يجد وسيلة لتحديد معانيها خيراً من تعريفها بالسلوب ، فبدأ باستبعاد ما لا يدخل في الحضارة .

أما كلمة ثقافة في اللغة العربية ، فإن نشأتها تختلف كل الاختلاف عن نشأتها في اللغات الأوروبية الكبرى ، ذلك أنها كلمة محدثة في هذه اللغة ، بل هي فيما أعلم ، لم تستحدث لتدل على مفهومها عند الأوروبيين إلا منذ سنوات معدودات فحسب .

فقد جاء في لسان العرب : ثَقِفَ الشيء : حَذَقَهُ ، وَثَقِفَ الشيء : سرعة التعلم ، وَثَقِفَتْه إِذَا ظَفِرَتْ بِهِ ، وَثَقِفَ الرجل ثقافة : أَي صار حاذقاً خفيفاً .

ورود في المعجم الوسيط الذي أصدره المجمع اللغوي :

ثَقِفَ ثَقْفًا : صار حاذقاً فطناً فهو ثَقْفٌ .

وَتَقِفَ العلم والصناعة : حَذَقَهَا .

وَتَقِفَ الشيء : أَقام الموعِج منه وسواه .

وَتَقِفَ الإنسان : أَذَبَهُ وَهَذَبَهُ وَعَلَّمَهُ .



وتتقف مطاوع تَقَفُّه ، ويقال تتقف على فلان ، وفي مدرسة كذا .  
والثقافة : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها ( محدثة ) .

وفهم من هذا أن لفظ « ثقافة » في اللغة العربية قد اصطلح عليه للدلالة على المعنى المراد به في اللغات الأوروبية ، لأن من معانيه الأصلية : ثقَّف الشيء : أقام المعوج منه وسواه ، ومن ثم استعمل على سبيل المجاز بمعنى التهذيب وهو عماد الكلمة في هذه اللغات .

### مفهوم الثقافة عند العرب

ويسوقنا ذلك إلى البحث عن الكلمة العربية التي كانت تدل عند العرب على مفهوم الثقافة عند الغربيين . وإني لأرى أن هذه الكلمة هي الأدب ، ودليلي على ذلك : أن الأدب لفظ كان يدل في الجاهلية وفي الإسلام على الخلق النبيل الكريم ، وما يتركه من أثر في الحياة الخاصة والعامة . وفي المأثور : « كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين » ، ولللفظ الأدب أيضاً معنى مجازي زيادة على هذا المعنى العلمي نشأ عندما طمح العرب إلى المعرفة ، وأخذت حياتهم الاجتماعية تنصلق يوماً بعد يوم على أسلوب حياة الفرس ، وبدأت حركة التأليف الأدبي تزدهر في القرنين الثاني والثالث للهجرة . والأدب بمعناه المجازي يدل على جملة المعارف التي تسمو بالذهن وتبدو أكثر صلاحية في تحسين العلاقات الاجتماعية ، وخاصة اللغة ، والشعر ، وما يتصل به ، وأخبار العرب ( خزانة الأدب للبغداد ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ) .

ولعل من الخير أن نتوسع هنا في نشأة كلمة أدب عند العرب وتطور مدلولها ، فنقول : إن تاريخ هذه الكلمة أقوى من تاريخ كلمة « علم » وكلمة « دين » في الدلالة على تطور الثقافة العربية من الجاهلية إلى يومنا هذا .

ويجوز لنا أن نقول : إنها ، في أقدم مدلولاتها ، مرادفة لكلمة « سئة » بمعنى « العادة » وغط السلوك الموروث ، « والعرف » يتلقاها المرء من أجداده ومن غيرهم من الناس الذين ينظر إليهم نظرتهم إلى القدوة الصالحة قياساً على سئة النبي ﷺ التي كانت هداية لامته ونبراساً .

وقد اختلف العلماء في اشتقاق هذه الكلمة ، فبعض العلماء يقولون : إن الجمع آداب مشتق من الدأب بمعنى العرف أو العادة ، ثم اشتق المفرد « أدب » من الجمع آداب ، ويطلق هذا القول أقدم مدلولات الكلمة .

ويذهب بعضهم إلى أنها مشتقة من الأصل « أدب » بمعنى « العجب » أو « المدعاة » أو « المأدية » .

ومهما يكن من شيء فإن أقدم مدلول للكلمة هو : العادة ، والثلث العلمي للسلوك ، ويتضمن ذلك صفتين : الصفة الأولى : أن تكون العادة والنمط عمودين ، والصفة الثانية : أن يكونا موروثين عن الأجداد والأسلاف .

ثم تطور هذا المعنى الأولي للكلمة ، وقد أبرز هذا التطور مضمونه الخلق والعمل ، فأصبح الأدب يدل على : « سمو النفس ، وطيب النشأة ، والتقدم ، ورقة الحاشية » متمشياً في ذلك مع ما حدث من تهذيب الإسلام لأخلاق البدو وعاداتهم ، واتصالهم بثقافات الأعاجم في القرنين الأولين للهجرة .

ومن ثم كان الأدب في مستهل العصر العباسي بهذا المعنى مرادفاً للفظ اللاتيني urbanitas أي التمدن ورقة الحاشية والتهذيب ، وهي صفات أهل الحضرة التي تميزهم عن البدو . وظلت كلمة أدب محتفظة بهذا المعنى الخلقي والاجتماعي طوال عهد الحضارة الإسلامية كله إبان القرون الوسطى ومن قبيل ذلك استعمال كلمة أدب بمعنى أدب الطعام والشراب واللباس ، وأدب الصحبة ( مثل رسالة أدب النديم لكشاجم ) وأدب البحث ( وثمة عدة رسائل في ذلك عنوانها :

« آداب البحث » و « آداب الدرس » و « أدب العالم والمتعلم » .. الخ ) .  
على أن الأدب قد اكتسب منذ القرن الأول للهجرة معنى عقلياً بالإضافة إلى

هذا المعنى الخلقي والاجتماعي ، وقد ارتبط هذا المعنى في أول الأمر بالمعنى الأول ، ثم أخذ يتميز عنه شيئاً فشيئاً ، ذلك أنه أصبح يدل على مجموع المعارف التي تجعل المرء متمدناً ، والثقافة الدنيوية ( تميزاً لها عن العلم ، أو قل العلم الديني الذي يقوم على القرآن والحديث والفقه ) التي تعتمد في المحل الأول على الشعر ، وفن الخطابة ، والمأثورات التاريخية والقبلية للعرب القدماء ، ويدخل في ذلك أيضاً العلوم المتصلة بها وهي : البلاغة ، والنحو ، وفقه اللغة ، والعروض . ومن ثم فإن هذا التصور الإنساني للأدب كان في أول أمره تصوراً قومياً بمعنى اللفظ الضيق .

فالأدب الكامل في العصر الأموي ، كان هو الذي يبرع في معرفة الشعراء القدماء وأيام العرب ، وفي ميدان الشعر والتاريخ القديم للثقافة العربية ، ولكن اتصال العرب بالثقافات الأجنبية وسع مفهوم الأدب ، وأحال التمدن العربي إلى تمدن عام لا تلحق به صفة تخصصه ، وهناك أخذ الأدب يشمل المعرفة بأدب الأعاجم ، كالفرس والهنود واليونان المتأخرين ، الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية منذ صدر العهد العباسي ، ولذلك أصبح أدب القرن الثالث الهجري ( القرن التاسع الميلادي ) والمثال الكامل له هو الجاحظ ، لا يقتصر علمه على الشعر والنثر العربيين والحكم والأمثال وأنساب الجاهليين ومأثوراتهم ، وعلى معرفة العرب بعد الإسلام ، بل يجاوز ذلك إلى أفق أبعد وأوسع فيشمل علم العالم الفارسي بكل ما فيه من ملاحم وحكم وروايات ، كما يشمل علم العالم الهندي بأساطيره ، والعالم الإغريقي بفلسفته العلمية ، وخاصة علمي الأخلاق والاقتصاد .

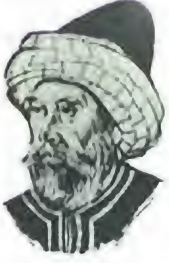
ويتبين من ذلك أنه قد ظهرت في القرن الثالث الهجري كتب الأدب العظيمة التي تميزت بالمعرفة المحيطة المتنوعة الممتعة ، ونحن لا نستطيع أن نصفها بالعلم الخالص ، ولو أنها تتناول موضوعات علمية قوامها في المحل الأول : الإنسان وصفاته وانفعالاته ، والبيئة التي يعيش فيها ، والثقافة المادية والروحية التي أبدعها . وفي نطاق ذلك نحا الجاحظ وأتباعه ( مثل أبي حيان التوحيدي والتنوخي وغيرهما ) هذا المنحى ، ووسعوا التراث الذي خلفه للمجتمع الإسلامي في القرن السابق كاتب عربي موهوب فارسي الأصل هو ابن المقفع بنقله آثار الأعاجم التاريخية والأدبية ( مثل كتاب خدائي نامه ، وكتاب كليله ودمنة ) وتأليفه كتابين مبتكرين في الأخلاق والتهذيب هما ( الأدب الكبير والأدب الصغير ) ، وإن كانت نسبة الكتاب الأخير له مشكوكاً فيها .

ويتضمن لفظ الأدب أحياناً ، بالإضافة إلى المعارف الخالصة صفات اجتماعية مثل المهارة في الرياضة وغيرها من الألعاب الرشيق ، وجعلها ألعاب دخيلة .

ويتبين أثر الفرس في الأدب من القول المأثور عن الوزير الحسن بن سهل المتوفى عام ٢٧٦ هـ ( ٨٥٠ - ٨٥١ م ) : « الآداب عشرة ، ثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن ، فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج ، وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية ، وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس ، وأما الواحدة التي أربت عليهن فقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس » ( الحصري : زهر الآداب ، ج ١ ، ص ١٤٢ ) .

على أن ذلك التصور الواسع المركب للأدب في مدلوله : الإنسانية أو الثقافة ، انكشف في العصر العباسي وضاق نطاقه . ذلك أنه تبدل من المعنى العام ، وهو « الثقافة العامة الواجبة » المطلوبة من أي رجل بلغ مستوى رفيعاً من المعرفة والتهذيب ، إلى معنى خاص هو : « المعرفة الواجب توفرها في مناصب بعينها ووظائف اجتماعية بذاتها » ، فأصبح يقال « أدب الكاتب » أي الثقافة التي يجب أن تتوفر في شاغل هذا المنصب ( أنظر كتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة ) ، و « أدب » أو « آداب الوزراء » أي مجموع المعارف الخاصة والتجارب





★ ابن الفتح ★

●● إن لفظ "ثقافة" في اللغة العربية ، قد اُصطلح عليه للدلالة على المعنى المراد به في اللغات الأوروبية ، لأن من معانيه الأصلية : ثقف الشيء : أقام المعوج منه وسواه ومن ثم استعمل على سبيل المجاز بمعنى التهذيب وهو عماد الكلمة في هذه اللغات .

استجابة معظم أفراد هذا المجتمع ، تكون على نسق واحد . مثال ذلك : أننا درجنا في المجتمع الذي نعيش فيه على أن نأكل ثلاث وجبات في اليوم ، وجبة الإفطار ، وجبة الغداء ، وجبة العشاء ، ومن يشذ عن ذلك ، يعد غريباً في بابهِ ، وهذا الاجماع في السلوك والرأي ، يعد نمطاً ثقافياً . والثقافة ككل ، هي مجموع الأنماط التي من هذا القبيل ، وهي تتفاوت في انتظامها تفاوتاً يختلف مقداره .

على أن المعاني الشائعة لكلمة ثقافة ، تدعو إلى الخلط والالتباس ، وشاهد ذلك : أننا نسمع كثيراً أن شخصاً ينعت بأنه « مثقف » ، وأن فعلاً يوصف بأنه فعل « ثقافي » ، ويتضمن هذا أن شخصاً آخر غير مثقف ، وأن فعلاً آخر « غير ثقافي » ، أي إن الثقافة في مفهوم الناس العام ، تقوم على التقويم . فبعض الأفعال تعد في نظر المجتمع صالحة محمودة ، وبعضها طالحة مردودة .

#### المفهوم الاجتماعي لكلمة ثقافة

الثقافة ، هي الأنماط الدائمة التغير للسلوك المكتسب ، ونتائج هذا السلوك ( يدخل في ذلك النزعات والقيم والمعرفة والأشياء المادية ) يشترك فيها أفراد المجتمع وتنتشر بينهم :

##### ١ - السلوك المكتسب :

وتفسيراً لذلك نقول : إن الجوع مثلاً ينشأ من حاجات فسيولوجية لجهازنا الهضمي تدفعنا إلى أن نسد هذه الحاجات ، والجوع عند هذا الحد ليس ثقافة ، لكن الطريقة التي نأكل بها ، وأنواع الطعام الذي نستهلكه ، والوسائل التي نستخدمها للحصول على القوة ، تعد كلها من الثقافة .

والسلوك بمعنى الكلمة الاصطلاحي يشمل السلوك المحمود ، والسلوك المذموم عند الجماعة . وليس كل سلوك مكتسباً ، وإن كان معظمه كذلك . فانت إذا ذهبت إلى السينما ، أو التزمت دورك في الحصول على تذكرتك أو قبلت يد أهلك ، فإن كل ذلك سلوك لا مناص من أن تكتسبه . وأنت إذا أحسست بالغضب لأمر من الأمور ، أو قلقت على صحتك ، أو شعرت بالكراهية نحو عدو ، فإن كل ذلك أيضاً ، سلوك لا بد من اكتسابه .

وغاية ما في الأمر ، أن بعض السلوك تدرك أنه يجب عليك أن تكتسبه وبعضه الآخر كحبك والديك لا تفتن إلى أنه يجب عليك أن تكتسبه .

(١) شواهد على أن الثقافة تكتسب : الواقع أننا نجد أحياناً في المجتمع الذي نعيش فيه ، أن من العسير ، أن نقنع أنفسنا بأن العادات التي نمارسها تكتسب حقاً ، ذلك أنها تبدو لنا على نحو جلي : إنها جزء من طبيعتنا بما يحملنا في بعض الأحوال إلى الظن بأنها موروثية بمعنى الكلمة البيولوجي . بيد أن المعلومات التي بين أيدينا ، تدل على أن عادات الإنسان لم يرثها على هذا النحو البيولوجي ، ومن ذلك أننا إذا جننا بتوأمين وتركنا أحدهما يعيش في بيئة ونقلنا الآخر إلى بيئة أخرى أجنبية عنه ، لشب الثاني على ثقافة هذه البيئة الأجنبية . وأقوى من ذلك دلالة عند علماء علم الإنسان تنوع ثقافات الإنسان . ذلك أن الثقافات التي نجدنا في الجماعات المختلفة في نطاق جنس واحد

السليمة التي لا مناص من توفرها فيمن يشغل منصب الوزير . ومن قبيل ذلك أيضاً : أدب القاضي .

بيد أن فكرة الأدب انتهت إلى التجرد من ذلك المفهوم الإنساني الواسع الذي كان لها في العصر الذهبي للخلافة ، وانحصرت في أفق ضيق أقرب إلى المفهوم البلاغي ، وهو الشعر والنثر الفني والقصص وال نوادر . وهذا هو نوع الأدب الذي برع فيه الحريري بما أثر عنه من تضلع في انتقاء اللفظ والمحسنات اللفظية والأسلوب التقليدي . وغدا الأدب أدب تخصص أكاديمي بعد أن كان مدلوله واسعاً يشمل المعارف الإنسانية التي يتصف بها الشخص المتمدن ، وظل هذا حاله طوال عصر اضمحلال الأدب العربي وضعف الروح العربية ، حتى قيام النهضة الحديثة .

أما في العصر الحديث فقد أصبح الجمع « آداب » مرادفاً للأدب بمفهوم الكلمة الخاص ، وشاهد ذلك كتاب جورج زيدان : تاريخ الادب العربية ثم رد أعلام الكتاب العرب لكلمة أدب منذ عهد قريب مدلولها الإنساني الواسع الأول الذي كانت تدل عليه في عز الخلافة العباسية .

#### الثقافة عند علماء الإنسان

الثقافة في مفهومها عند علماء الإنسان وأعماله ، اكتشاف حديث . فلم يسبق في تاريخ الإنسان ، أن اتصل الناس من مختلف الثقافات بعضهم ببعض ذلك الاتصال الوثيق الذي نشهده اليوم ، فبدأ عصر الاستكشافات الذي استتله الملاحون البرتغاليون في القرن الخامس عشر ، أخذت الكشف تنوال فتجلت لنا قارات باكملها لم تكن نعرف من أمرها شيئاً ، وعرفنا أقواماً ذوي ثقافات مختلفة ، ثقافات لم تكن لتتخيلها أو نسمع بها ، واستمرت هذه الاستكشافات أربعة قرون ، فزادت في معرفتنا بكل جانب من جوانب الطبيعة زيادة عجيبة لا يتصورها العقل ، وحفزت هذه الذخيرة الحاشدة المتنوعة من المعرفة الناس إلى ارتياد ميادين البحث العلمي والدراسات المتخصصة على اختلاف أنواعها لتصنيف تلك المعلومات وتنسيقها بما ييسر استخدامها والافادة منها .

وكان عدد ما كشف من الثقافات مذهلاً حتى أن ميردوك قد قدر عددها بما يقرب من ثلاثة آلاف ثقافة متميزة بخصائص معينة ، ونحن إذا راعينا القصد في تقدير هذا العدد متمشين مع ما يديه علماء الإنسان وأعماله من غيرة في هذا السبيل ، استطعنا أن نقول إن ما كشف من ثقافات هذه القرون بلغ في المتوسط ثلاث ثقافات أو أربعاً كل عام .

ونخلص من هذا ، إلى أن الظاهرة التي نسميها « ثقافة » هي الكشف الأساسي في العلوم الاجتماعية بمعناها الحديث ، ونخص بالذكر من هذه العلوم : علم الإنسان الاجتماعي ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم الاجتماع ، فالثقافة ركن ركين في فهم الإنسان وفهم الجماعات ، وجل الأفكار التي نجدنا في العلوم الاجتماعية الأخرى تنبع منها أو تعتمد عليها .

وحسبنا الآن أن نعرف الثقافة ، بأنها أسلوب الحياة في مجتمع ما ، ويشمل هذا الأسلوب تفصيلات لا تحصى من السلوك الإنساني ، وكلها تمثل الاستجابة (الأفعال) المألوفة المتوقعة لأفراد أي مجتمع حيال موقف معين . ويلاحظ أن

# ●●● ثمة صفة جوهرية لأمحيل عنها تلحق بالثقافة، وهي أنها تتغير تغييراً لا ينتهي، وليس بصحيح أن هنالك ثقافات ثابتة لا تتغير، وكل ما هنالك أن بعض المجتمعات تتغير ثقافتها ببطء فيخيل للمرء حين يقيسها بثقافات المجتمعات الأخرى أنها لا تتغير.

تختلف فيما بينها اختلافاً عظيماً، وكذلك لا نجد وحدة بين أنماط الثقافة التي يمارسها شعب واحد. ولم يبق أسامنا إذن إلا فرضان لا ثالث لهما: الأول أن الثقافة تهبط على المجتمع على نحو خفي لا ندركه، والثاني أنها تكتسب. وليس بين أيدينا شواهد تؤيد الفرض الأول، أما الفرض الثاني فثمة شواهد كثيرة تؤيده.

(ب) المعرفة الواعية والمعرفة اللاواعية: يستعمل هذان المصطلحان أحياناً للتفرقة بين المعرفة التي يحصلها المرء عن قصد، والمعرفة التي تتأق له خلال حياته. وقد أظهر التقدم الحديث في علم النفس وغيره من العلوم الاجتماعية، الأثر الجوهري الذي تحدثه فينا المعرفة اللاواعية، ذلك أن هذه المعرفة تعمل عملها فينا بطرق دقيقة مختلفة لا نحس بها.

(ج) السلوك السافر والسلوك الخفي: لاشك أن بعض السلوك سافر واضح كمشاهدة لعبة كرة القدم، أو الأكل بالشوكة والسكين، وبعضه الآخر أقل وضوحاً كالشعور بالعداء نحو شخص، أو تدبر أمر المستقبل، والإيمان بوجود العفريت، وكلا السلوكين يمكن بطبيعة الحال أن يكونا مكتسبين.

## ٢ - نمط السلوك المكتسب:

تضمن تعريفنا للثقافة، أن سلوك الناس المكتسب، يجري على غمط، وليس سلوك المرء قائم من العناصر، لأن ثمة صلة تربط بين هذه العناصر، ذلك أنني إذا سألتك: لم تقرأ هذا الكتاب في هذه اللحظة؟ فإن تعليلك لذلك مهما يكن من أمره، يتصل بعنصر آخر من عناصر سلوكك في مجموعته، فقد تجيب بأنك تقرأه لتعرف ما هي الجغرافيا، إذا كان الكتاب يتناول هذا العلم، أو أنك تؤدي بذلك حاجة فرضها عليك منهج لا بد لك من تحصيله. ولو تدبرت الأمر برهة للاحظت أنك تحب الكتاب أو تكرهه، ولو أعمنت النظر لكان من المحتمل أن تدرك السبب في أنك تحبه أو تكرهه، ونخرج من ذلك، بأن القراءة، والسبب في القراءة، ونوازعك نحو القراءة ومشاعرك حيالها، وغير ذلك من أنواع السلوك الكثيرة، كلها متشابكة في صلاتها بعضها ببعض.

وثمة طريقة أخرى يجري عليها نمط السلوك وهي الصلة بين سلوك الناس حين يتصل بعضهم ببعض. ذلك أن أنواع السلوك المكتسب الذي تقوم عليه حياة كل فرد تكمله أنواع السلوك في حياة شخص آخر، مثال ذلك: سلوك الزوج وزوجته، والصلة المتبادلة بين الوالدين والطفل، وصلة المعلم بتلميذه، واعتاد الرئيس والموظف على الآخر في العمل.. كل هذه الأنواع من السلوك وغيرها مما يحيط به الحصر، تكون أسلوب الحياة في المجتمع.

## ٣ - ونتائج هذا السلوك:

أما وأن الفرد يعيش بين غيره من الناس فإنه يكتسب منهم كثيراً من أنواع السلوك، ويتعلم منهم أيضاً ما يجب وما يكره، وفكرته عن الخطأ والصواب وما إلى ذلك. وكلما يتساءل المرء كيف استقر في مفهوم المجتمع أن هذا الفعل خطأ، وذلك الفعل صواب. ذلك أن الفرد منا يكتسب سلوكه من غيره من الناس، وهؤلاء أيضاً يكتسبون من غيرهم. ويستمر هذا في التسلسل حتى يرتد بنا إلى الأصل في

هذا السلوك. والغالب أن هذا الأصل يرجع إلى فرد ابتدعه. وثمة معنى آخر يبين كيف أن المعارف الثقافية هي نتائج للسلوك، ذلك أن الفرد وهو يسلك سلوكاً معيناً، ويمارس الأفعال التي تقوم عليها حياته تطراً عليه تغيرات، فيكتسب مثلاً القدرة على العوم، أو يشعر بالكراهية نحو شخص غيره، أو يحس بانعطاف حيال شخص آخر. وهذه الصفات التي تتعلق بوجوده صفات حقيقية يمكن أن يظهرها في أي وقت، وهي قد نمت من سلوكه السابق.

ونخلص من هذا إلى أن السلوك الإنساني في كلتا الحالتين، نتيجة لسلوك سابق، وأن تجارب غيره من الناس، قد انطبعت فيه، وهو ينمو ويشد عوده، وأن كثيراً من خلاله وقدراته قد نبتت من أنواع سلوك الإنسان من قبل.

(١) ... ويدخل في ذلك النوازع والقيم والمعرفة: إن ثمة خطأ شائعاً يقع فيه كثير من الناس، حين يذهبون إلى أن أفكارهم ونزعاتهم، هي أفكارهم ونزعاتهم هم أنفسهم: أي إنهم قد تفردوا بها لأنها ثمرة تجاربهم الشخصية. والحق أننا يجب ألا نبالي في تقدير انفراد الفرد منا في أفكاره ونوازع: ذلك أن المرء لا يلاحظ ذلك إلا حين يجد أفكاره ونوازع، تختلف عن أفكار غيره ونوازع، لكنه إذا أعمن في النظر لوجد أنه يشارك الكثير جداً من أفراد مجتمعه ذوي الثقافة الواحدة في هذه الأفكار.

ويصدق ذلك أيضاً على المعرفة، فإنك حين تقول إن حاصل ضرب ألف جنيه في ألف هو مليون جنيه، فإنك لم تحص بنفسك هذه الجنيئات، وإنما اعتمدت على معرفة غيرك التي نستطيع أن نسميها علم الحساب.

(ب) الأشياء المادية: طبيعي أن الناس حين يسلكون سلوكاً معيناً، فإن ذلك يؤدي بهم إلى استحداث أشياء مادية. وقد أنتج سلوك الإنسان أدوات مادية تطورت من حجر «الظران» إلى العبارات الشاهقة، والقلاع الطائرة، وغير ذلك من اختراعات الحديثة. وتطلب إنتاج هذه الأدوات مهارات مختلفة اكتسبها الإنسان شيئاً فشيئاً خلال العصور، وقد اكتسب الإنسان إلى ذلك كيف يحتفظ بمعارفه، ثم نظم هذه المعارف وكمّلها بمعارف غيره من الناس. ومن السخف أن نقول إن هذه الأدوات قد صنعتها الطبيعة، وإنما الحق أن نقول إن الإنسان قد أبدعها بفضل ما أوتي من عقل راجح وذكاء وقاد.

## ٤ - ... يشترك فيها أفراد المجتمع:

ولا ريب في أن أنماط السلوك المكتسب، ونتائج هذا السلوك ليست ملكاً لشخص واحد، أو أشخاص قلائل، إنما هي ملك لفريق كبير من الناس. مثال ذلك: أننا نجد ملايين من الناس يدينون بالإسلام، ويتكلمون اللغة العربية، وليس المقصود هنا: أن هؤلاء جميعاً يشتركون في ثقافة واحدة اشتراكاً كاملاً، صحيح أنهم جميعاً يدينون بالإسلام مثلاً، لكن بعضهم على مذهب الشيعة، وبعضهم الآخر على مذهب الخوارج، وبعضهم على مذهب المعتزلة. وحسبنا أن نقول إنهم يشتركون في ثقافة واحدة اشتراكاً يكفي للحكم على أفكارهم ونوازعهم وعقائدهم وما إلى ذلك مما يدخل في مفهوم الثقافة بوجه عام.



## ٥ - ... وتنتشر بينهم :

هذه الأساليب الثقافية التي ناقشناها يكتسبها أشخاص من أشخاص . وكثير من هذه الأساليب يتلقاها المرء عن أسرته : كوالديه ، أو أساتذته ، كما يتلقى غيرها من جيل أقدم من ذلك . كما أن كبار السن قد يتلقون أنواعاً من السلوك الثقافي من غيرهم ممن هم أحدث منهم سناً . وليس بعجيب أن يتعلم الوالدان من أبنائهما كثيراً من ثقافة الأطفال التي لم يكن لهما علم بها . وكذلك تنتشر الثقافة بين المتعاصرين باتصالهم بعضهم ببعض ، كأزياء اللباس ، والآراء السياسية وغير ذلك من الأمور .

ويقتضينا الأمر أن ننوه هنا بأن النشر قد لا يؤدي هذا المعنى المقصود بوضوح ، ذلك أنه كلمة مقتضية في دلالتها على التعليم والتعلم ، وهما وسيلتان لازمتان لانتقال السلوك من شخص إلى آخر ، فالمرء منا لا يكتسب نمطاً من أنماط السلوك تلقائياً ، وإنما هو يتعلمه ولا يهتم في هذا المقام أنه يتعلمه بلا وعي أو شعور ، أو أنه يتعلمه على نحو عارض ، والمهم هو أنه يتعلمه .

## ٦ - ... الدائبة التغير :

إن ثمة صفة جوهرية لا محيص عنها تلحق بالثقافة وهي أنها تتغير تغيراً لا ينتهي ، وليس بصحيح أن هناك ثقافات ثابتة لا تتغير ، وكل ما هناك أن بعض المجتمعات تتغير ثقافتها ببطء فيخيل للمرء حين يقيسها بثقافات المجتمعات الأخرى أنها لا تتغير .

وكثيراً ما نجد أناساً قد رسخ في قلوبهم كره للتغير وخوف منه ، وهم يفضلون أن تبقى الأحوال كما هي عليه ، لكن الواقع غير ذلك ، لأن أنماط السلوك في الثقافة هي التي تزودنا بالوسائل التي يستعين بها أفراد المجتمع في مواجهة المشاكل التي تعترض حياتهم وحلها . وما دام الإنسان يعيش فإن المشاكل والمصاعب تعترض طريقه ، فإذا واجهته مشكلة حاول أن يلتمس لها حلاً تعلمها من مشاركته لثقافة مجتمعه ، لكنه لا يواجه كل مشكلة تعترضه بنفس الحلول التي يواجهها بها في كل مرة ، إنما هو يعدل موقفه فيها قليلاً أو كثيراً ، أو يقع مصادفة على حل آخر جديد . ونخرج من هذا بأن ثقافته تتغير ، وقد يحدث له ذلك بلا وعي أو شعور .

ولطالما سن الإنسان نظماً اجتماعية وحكومات وقواعد ، ذلك أنه يشهد فوق كل شيء الأمن واستقرار الأحوال . لكنه يطلب بهذا المستحيل ، المستحيل بحكم طبيعته نفسها . أجل إنه يشهد الأمن ، لكن ما يصدر عنه يحمل في طياته معنى التغير المستمر ، ومن فضائله أنه قد رزق عقلاً يستطيع أن يحل به المشاكل كلما نشأت بأساليب جديدة . ولا يدل هذا على أن حلوله الجديدة كاملة أو ثابتة ، إنما يدل على أنها جديدة ، وبمده ذلك بفرصة أخرى للتحكم في مصيره .

## معرفة الثقافة لها قيمة مؤكدة

حينما نقول إن معرفة الثقافة تجعلنا نفهم الطبيعة البشرية ، وسلوك قوم يعيشون في مجتمع ، فإنه يجب علينا أن ندرك أن هذا الفهم له قيمة عملية عظيمة ، ولو أن ذلك لم ينل اعتراف جميع الأوساط بعد . فنحن إذا عرفنا ثقافة إنسان ، أو مجموعة من الناس ، ومفهومها عنده أو عندهم ، أمكننا أن نتكهن ببعض سلوكهم في ظروف معينة في المستقبل ، وأن نفهم معظم أفعالهم في الماضي . وقد يبدو لنا هذا القول مبالغاً فيه ، لأن طبيعة الناس أمر خفي معقد لا يمكن أن يسر غوره علم من العلوم المقررة . وهذا حق إلى حد ما وحسب ، لكنه لا يصدق في جميع الأحوال . ولتقريب ذلك إلى الأذهان نقول : إنك إذا وضعت كرسيّاً أمام صديق لك في حفل تقيمه في بيتك ، فهل تستطيع أن تتكهن بما سوف يفعله بهذا الكرسي ؟ أجل تستطيع فإنه إذا كان سليم

العقل والتصرف ، فأغلب الظن أنه سوف يجلس عليه كما يجلس الناس ، ولن يقذف به أو يضعه فوق أم رأسه ، وما من ريب في أن هذا الكرسي جزء من الأدوات الثقافية للمجتمع ، وقد درج المجتمع على أوضاع معينة لاستخدامه . على أن المعرفة العلمية بالثقافة ، ليست بطبيعية الحال مفتاحاً سحرياً يفتح عقول الناس ، أو يكشف عن أسرار الأمم ، ذلك : أننا لم نصل بهذه المعرفة إلى هذا الحد بعد ، ولا نستطيع أن ندعي أننا بلغنا بها مرتبة الكمال ، لكن النتائج التي نصل إليها في هذا الميدان ، تستحق منا أن نثابر على خوض غماره وتحمل المشقة في سبيله .

## الثقافة في مفهومها العام ومفهومها الخاص

من المعلوم أن الجماعات المختلفة التي تعيش في هذا العالم لها أساليب مختلفة في الحياة ، أو قل ثقافات مختلفة ، بل إن كل قرية أو مدينة في الأمة الواحدة لها ثقافة خاصة بها . وهناك أوجه اتفاق بين الثقافات ، وأوجه اختلاف ، حتى أنك تستطيع أن تتحدث عن ثقافة الإنكليز مثلاً الذين تجمع بينهم ثقافة مشتركة في كثير من الوجوه : كاللغة وغير ذلك من الخصائص ، كما تستطيع أن تتحدث عن تنوع الثقافات واختلافها ، فقد تجد عادات محمودة عند قوم ، ومذمومة عند غيرهم . ويمكن أن نفهم ثقافة مجتمع ، ونشاهد مظاهرها ، وتحلل خصائصها بل نحس هذه الثقافة وبخاصة إذا كان هذا المجتمع بدائياً لم يأخذ بأسباب الحضارة الحديثة المشابهة الأسباب ، المعقدة الصلات .

وقد تبين لعلماء الاجتماع ، أن فهم الناس يقتضي دراسة الثقافة بمعناها الخاص ، ومعناها العام : أي بمفهومها المجرد ، وهذا المفهوم المجرد شيء عسير يدق على الأفهام شأن سائر المجردات . على أننا يمكن أن نصل إلى بعض النتائج عندما نعود إلى التعميم القائم على معلومات خاصة نستقيها عن ثقافة من الثقافات ، وهذا التعميم لا ينطبق إلا على هذه الثقافة ، ودراسة الثقافة في مفهومها الخاص ومفهومها العام ، أمر لا مناص منه إذا أردنا أن نفهم البشر فهماً صحيحاً .

## التمييز بين الثقافة والمجتمع

يمكن تعريف المجتمع بأنه جماعة من الناس عاشوا معاً مدة كافية لانتظام أحوالهم انتظاماً يستطيعون معه أن يعدوا أنفسهم وأن يعددهم الناس وحدة بشرية تحتلف قليلاً أو كثيراً عن غيرهم من الوحدات ، لكن الثقافة ليست هي الناس . ويمكن أن نسوق شاهداً لتقريب ذلك إلى الأذهان وإن كانت الشواهد في هذا الشأن لا يمكن أن تصدق في جميع الأحوال ، فنقول إن الثقافة تعد من بعض الوجوه المسرحية وإن أفراد المجتمع الذين تسود بينهم هذه الثقافة أشبه بالمثلين الذين يمثلون هذه المسرحية ، والمسرحية بطبيعة الحال لا ترى إلا من خلال تمثيل الممثلين ، والممثلون يسترحون أدوارهم من المسرحية وإن كان يترك لهم بعض الحرية في أدائها . والوجود الوحيد للممثلين للمسرحية هو تشخيص الممثلين لها ، والمعرفة الوحيدة التي يحصلها المرء عن الممثلين هي المسرحية التي يمثلونها .

ونخلص من هذا إلى أن المجتمع يمكن أن نتصوره على أنه جماعة من الناس يمثلون ثقافة من الثقافات . وطبيعي أن يلازم هذا التشبيه كثيراً من وجوه النقص ، ذلك أن أفراد المجتمع لا يمثلون ثقافتهم ، إنما هم يعيشونها ، وهي جوهر حياتهم . ثم إن أفراد المجتمع يبدعون الثقافة وهم ماضون في حياتهم يأخذون من القديم ، ويأخذون من الحديث .

رموز  
على

# حاشية الأفق

شعر: القاسم بن علي الوزير

١

خواطري مقصوصة الجناح ..  
تهم أن تطير ..  
ترتاد عالماً ما اكتحلت بمثله العيون .  
ما حملت إليه ، شاعراً ، رياح ..  
لكنها .. مقصوصة الجناح .. لا تطير ..  
ولم تزل .. تحاول المحال ..  
يا أيها الرجال :  
خطاي لم تزل في قيدها اللعين ..

٢

الليل حالك بهيم ..  
مواكب القطعان في أرجائه .. تهيم ..  
قد نامت الرعاة ..  
وغابت النجوم عن سماء ..  
وحفلة للودود ، والفئران ، والوباء ..  
وقصة للموت والفناء ..  
في الحالك البهيم ..  
أهكذا .. تفتّح الجحيم ؟

٣

يا غربة الشاعر في متاهة الظلام ..  
لقد أضاعت خطوها ، الأيام ..  
وجرحت جفونها الأحلام ..  
والشاعر المسكين .. صوته كسيح ..  
ولحنه جريح ..  
متى .. متى يغادر الضريح .. ؟





# ● من حياتهم ●

توضيح

★★ تعكف الشاعرة العربية المعروفة فدوى طوقان على كتابة مذكراتها . وقد اختارت لها هذا العنوان : « رحلة صعبة - رحلة جبلية » . وارتأت أن يكون سياقها مبنياً على أحد أقوالها : « لقد لعبوا دورهم في حياتي . . ثم أوغلوا في مطاوي الزمن » . وقد أعلن عن قرب صدور هذه المذكرات في الضفة الغربية المحتلة حيث تقيم الشاعرة منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م ، غير أنها أعلنت مؤخراً عن عدم رغبتها في نشر المذكرات الآن . ويتكون الكتاب من فصول بعدد الشخصيات المهمة التي أثرت في حياة الشاعرة . وقد خصت الشاعرة مجلة « الفيصل » بهذا القسم من مذكراتها ★★

## الشيخة

بقلم : فدوى طوقان

سلب الشيخ عقول أولئك النسوة من « المريدات » . فكانت بركته تنشر في المكان - أو هكذا كن يتخيلن - رائحة مسكية ترهف من حواسهن إلى حد صرن معه يرين ما لا يرى ويسمعن ما لا وجود له . أغرى الحديث عن بركات الشيخ جدتي التركية « أم عزيزة » فحضرت ذات يوم إحدى تلك الحلقات وفي نفسها الانضواء إلى الجماعة . لكنها استهجن ما رأت وأنكرته عيناها ، وراحت تشن على الشيخ حملات شعواء ممتدة . ومنذ ذلك اليوم استحکم عداا مكين بين الشيخة وبين جدتي لأمي لم ينته إلا بموت الاثنين ، فالموت وحده هو الذي يضع النهاية للأشياء . لكن الشيخة ظلت تحمل لأمي ولنا - باستثناء أخي الكبير - كرهاً موروثاً . عندما فتحت عيني عليها كانت في الستينات من عمرها على ما أقدر ، وكنت أراها تكثر من الصلاة والصيام والتسبيح . كانت تصوم الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان والأيام الستة البيضاء ، وتصلي صلاة قيام الليل والتراويح والضحي . وكنت أرى مسبحة هائلة الحجم تتكؤم على مقعدها الأرضي وكانت المسبحة « ألفية » تتكون من ألف حبة ، تذكر الشيخة اسم الله على حباتها حبة حبة . فإذا أرادت أن تنهض للقيام ببعض شؤونها ربطت خيطاً حيث وقفت عن التسبيح ليكون هادياً إلى الحبة التي ستنتقل منها من جديد .

منذ فتحت عيني على الدنيا لم أعرف « الشيخة » إلا وهي صاحبة الهيبة والسلطة على نساء العائلة ، والبوليس السري الذي يعمل لحساب أبناء عمي ويقدم لهم التقارير بما يجري في البيت . وكما يحدث ضمن نطاق المجتمع ، حيث تكون الرقابة المستبدة والقمع والقهر سبباً في خلق بنية تتركب من ثنائية الخضوع والتمرد معاً ، كذلك يحدث ضمن نطاق الأفراد ، فالفرد الذي ينمو في مناخ الشرطة السرية والسلطة العائلية المستبدة ينشأ بتركيب نفسي هو مزيج من تلك الثنائية : الخضوع والتمرد . فهناك دائماً صفات مكتسبة تكون نتيجة للقرع الاجتماعي والعائلي بصفة خاصة . وكانت « الشيخة » من ضمن العناصر التي عملت على خلق هذه البنية النفسية عندي ذات التركيب الثنائي ، الخضوع من جهة والتمرد من جهة أخرى . في السادسة عشرة من عمرها ، عادت الشيخة إلى بيت أبيها مطلقة بعد زواج فاشل دام لبضعة شهور قليلة . وفي أيام شبابها اتخذت من طريقة الشيخ عبد القادر الكيلاني ملاذاً دينياً تهرب إليه من احباطها النفسي بفعل الزواج الفاشل . كان قد نزل بالبلدة شيخ مصري ضرير من أصحاب الطريقة الكيلانية ، استقطب بين من استقطب بعض مطلقات البلدة وأراملها . وكانت الحلقات تعقد في منزل مدير المال الذي أنزل الشيخ في بيته تلمساً لنيل البركة ، وقد انضوى مع زوجته إلى الطريقة .





العائلة ، واستغابة عباد الله وانتقادهم بحقد ومرارة ، شأن المحبطين الفاشلين في الحياة .

وما كان أسوأ ظن الشيخة . ففي كثير من الحالات كانت تفسر تصرفات الآخرين تفسيراً غريباً . ولم تكن تسمح لواحدة من بنات العائلة بإقامة أية صداقة مع القريبات أو زميلات الدراسة أو بنات الجيران ، فالشيطان في رأيها قابع هناك دائماً - بين كل اثنين - وهكذا كانت تطرد من المنزل كل صديقة مدرسة أو رفيقة جيرة .

وحين كنت أقوم بتقديم خدمة لها أو شراء ما تحتاج إليه من السوق ، كنت أفعل ذلك بلهفة لأكسب محبتها أو رضى تلك « البعيع » عني ؛ ولكنها ما كانت لتجود علي حتى بابتسامة أو نظرة فيها طراوة وحنو ، فكانت تقف دائماً كجدار يكسوه الصقيع ، لا تنبت عليه عشبة خضراء . وكنت أقارن في نفسي بينها وبين جدتي لأمي ؛ ما أبعد الفرق ! هنا الدفء والرقّة والنعمّة ، أما الشيخة فكانت صحراء ، لا شجرة فيها ولا ينبوع ماء ؛ كانت قاسية نصبت نفسها على عرش غير منظور .

كانت متكبرة متعالية ، تملكها غطرسة طبقية عمياء وبلا عقل . هي المتدنية ، والتي تؤمها النسوة الساذجات وبصحبتهم أطفالهن المرضى ، ويأيدون أباريق الماء لتتلو الشيخة آيات القرآن على رؤوس الأطفال ولتنفث أنفاسها « الطاهرة » داخل الأبريق كما تحل في الماء البركة الشافية ، هذه نظرة مجحوجة يملؤها الترفع والتعالي : نحن فوق ، أنتم

كانت تتملكن في طفولتي رغبة في مراقبة المصلين وحركاتهم . وكثيراً ما وقفت بباب (جامع البيك) المواجه لدارنا في السوق القديم أرنو إلى جماعة المصلين ، فأرى تفاوتاً في تعابير الوجوه وفي طريقة أداء الصلاة . فهناك السريع المتعجل الذي يبدو وكأنه لا يفكر بما يقوم به ؛ وهناك المتأنى الخاشع والمندمج فيما يفعل بروحه وبقلبه . وكانت مراقبة الحركات تستهويني إلى حد بعيد ، وكنت أتمنى دائماً لو أعرف لماذا يقوم بها المصلون في تعبيرهم عن إيمانهم وتحشعهم الديني . ولم أعرف إلا بعد زمن طويل أن كل طقوس العبادات وشعائرها منذ الوثنية البدائية تتخذ الصفة المسرحية في التعبير عن الاحساس الديني ، فكان الإنسان يملك ميلاً فطرياً إلى الأجواء الغامضة ذات التأثير .

أما الشيخة فكان أداؤها لفريضة الصلاة يحمل طابع المبالغة والتصنع . كان هناك دائماً شيء مصطنع وغير حقيقي في « مسرحية » أدائها للصلاة . وكانت تعترها أحياناً حالات من الدروشة ، فتشرع تهتز هزات عنيفة ، وتحرك رأسها بعنف يمناً شمالاً مع تردد اسم الله : الله .. الله .. الله .. الخ ، تلفظه بعجلة وبلا توقف ، ويأخذ الزيد يتراكم على طرفي فمها كلما أمعنت في حركات الدروشة . وكان معنى هذا أن روح الله حلت فيها . ويحدث أحياناً أن تحمل فيها الروح وهي في جلسة عادية مع النسوة الزائرات .

أما أوقاتها الأخرى فكانت مكرسة لإصدار الأوامر والنواهي على نساء



بالنسبة لهذا الموقف متأثرة لا شعورياً بأمي ؛ فقد كانت تستهجن التعالي الطبقى ، وتنتقد غطرسة الشيخة حتى لا تصيبنا عدواها . وكانت هي نفسها تنتمي إلى عائلة متوسطة الحال . كانت تقول بكل بساطة : كلنا من خلق رب واحد ، وكلنا مصيرنا إلى التراب . إن الشيخة قاسية القلب ، فالإنسان لا ينبغي أن يهين كرامة إنسان آخر مهما كانت منزلته الاجتماعية ، ومن القسوة التي يعاقب عليها الله إيذاء شعور الفقير . كانت أمي تحدثنا بعفوية وبساطة عن ديمقراطية الموت الذي يساوي بين كل الناس . كما علمتنا بطريقة غير مباشرة المعنى الحقيقي لكلمة (إنسان) وما يحمله هذا المعنى من شمول أخوي .

وكنت بدوري أستغرب كيف يمكن أن يتخذ إنسان ، ناهيك بشيخة متدينة ، مثل تلك المواقف القاسية . وحين كبرت أدركت نفاق الشيخة الديني ، فما استطاع الدين أن يشذب أحاسيسها ومشاعرها إلى جانب أميتها الأبجدية .

وكانت عندها مقاييس الحلال والحرام واللائق وغير اللائق عجيبة غريبة ، كان هذا يبلبل عقلي الصغير ويشوش صفاء طفولتي وبساطتها . كان الغناء بهجتي وفرحي . فكنت إذا خلوت بنفسي أرفع صوتي أحياناً بأغنية أحبها لعبد الوهاب أو أم كلثوم : (كم بعثنا مع النسيم سلاماً للحبيب الجميل حيث ..) وتدخل الشيخة كالزبينة : اخربي .. اغلقي فمك .. لم يبق إلا أن تصبحي «جنكية» في تحت (هند) و (سارينا) !.. وينكسر صوتي فجأة ، وتتعلق الأغنية في الهواء مبتورة ناقصة .

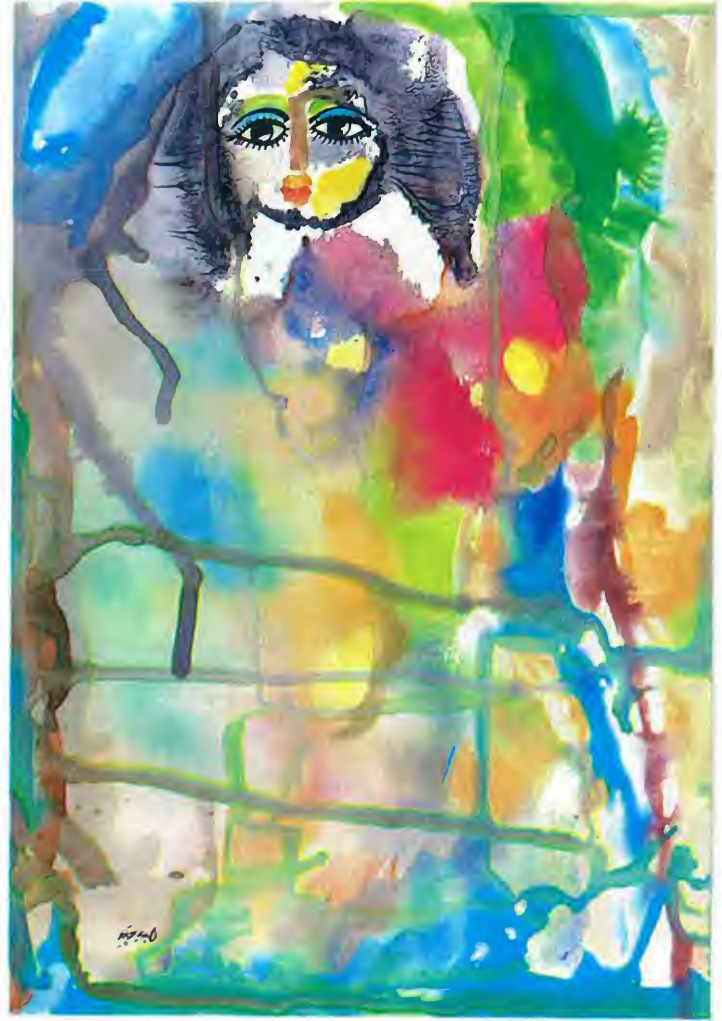
أما (هند) و (سارينا) فكانتا مغنيتين محترفتين في نابلس ، وكلمة جنكية تطلق عادة على المغنية المحترفة ، وهي مشتقة من كلمة «الجنك» الاسم الفارسي لآلة موسيقية تشبه السنطور . ولو اخترقت الشيخة أعماقي في تلك الأيام لوقع بصرها على أمنية قابضة هناك تحمل تطلعي إلى أن أصبح يوماً جنكية .

ذات يوم ، وأنا في بداية مسيرتي الشعرية ، دخلت الشيخة غرفتنا ، أو لأقل «غرفة البنات» كما كان يطلق عليها ، أو «البيت القبلي» . فقد كان لكل غرفة اسم خاص في الدار . دخلت الشيخة لتفاجأ بشقيق الكبير أحمد يساعدي في توضيح بعض القواعد العروضية . وقفت صامتة فوق رأسنا ، ثم قالت لأحمد بلهجة مرّة عاتبة : حتى أنت ؟! ثم أضافت : كلما طلع للبننت قرن اكسره ! ومازحها أحمد بكلمة عابرة ثم انصرف إلي من جديد .

(حتى أنت ؟!) ، تعبير مفجوع برجاجة عقل أحمد ، الوحيد الذي كانت تؤثر من دوننا بالحب ، أما إبراهيم فما أحبته قط ، وكان في نظرها خارجاً على تقاليد العائلة ، متحرراً من قيودها الصارمة . لقد كانت الشيخة من ضمن أولئك الذين لعبوا دورهم في حياتي ثم أوغلوا في مطاوي الزمن !

#### فدوى طوقان

#### نابلس - الضفة الغربية



تحت ... هكذا أراد الله ! .

في تلك الأيام كانت هذه النظرة مألوفة لدى الناس ، وكانت الطبقية قدراً من صنع الله ، وحكماً من أحكامه لا يرد . كنت أسمع دائماً هذه الكلمة المقيتة : سيدي .. سي .. أمرك سيدي .. أمرك سي . يتقبلونها ولا يتمردون عليها . وإذا كنا نرفض اليوم قول أرسطو : «إن العبد يشبه الحيوان» ، فما كان قوله هذا في زمنه ممجوجاً ولا مرفوضاً ، فقد كان أرسطو منساقاً مع الأفكار السائدة في عصره ، أفكار المجتمع الأثيني العبودي .

في مناسبة من مناسبات الأفراح في البيت قالت امرأة للشيخة : شرفينا يا ستي بزيارة لنا ، نحن نزورك دائماً ولا تزوروننا . وحدجتها الشيخة بعينين جليديتين ، ثم قالت بغطرستها المعهودة : اسمعي ، دائماً وأبداً تزوروننا ولا نزورك ، فما معنى الخروج اليوم على هذه القاعدة ؟ وماذا جرى للعالم ؟ هل انقلبت الأشياء رأساً على عقب ؟! وانكسفت المرأة ، وغاص قلبي في جوفي رحمة بها ، ومضيت أهول إلى أمي أحكي لها كيف كسفت الشيخة تلك المرأة المسكينة ، كنت صغيرة ، لا أدرك معنى الانسحاق الإنساني وقسوته ، ولكني كنت أعاف هذه المواقف غريزياً وتلقائياً ، فقد كنت شديدة الحساسية ، ولعلي كنت



مدينته  
وتاريخه



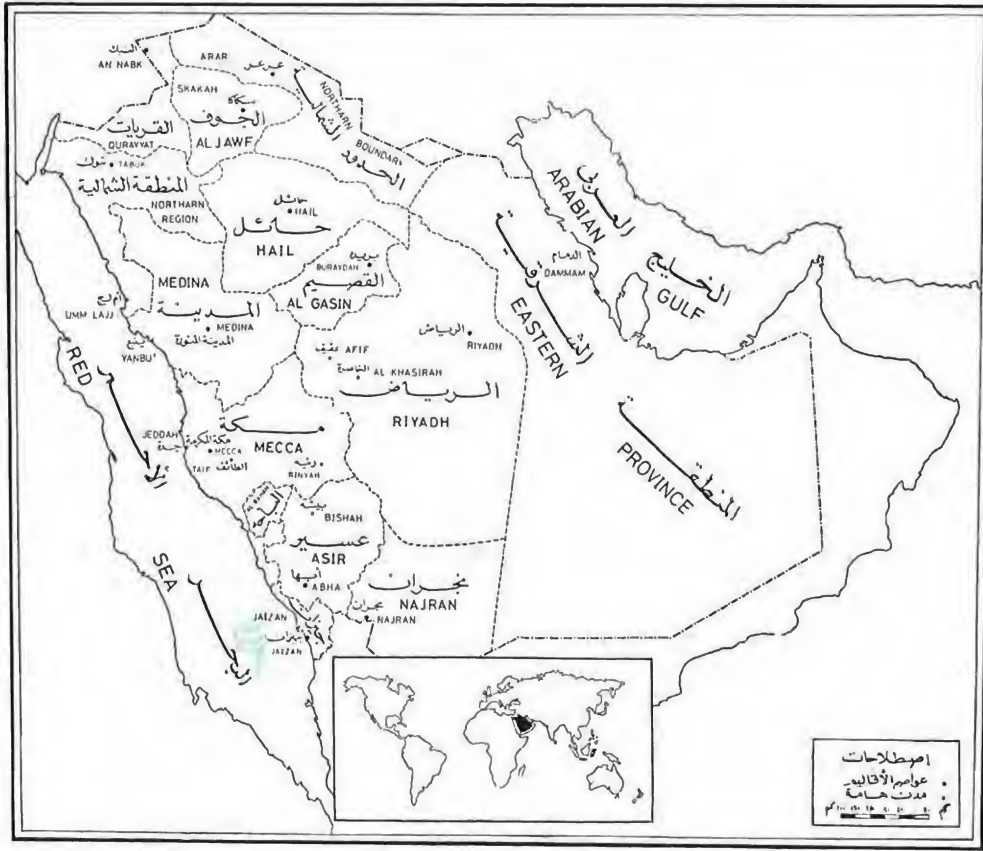
★ منظر عام للدخل الجزيرة من البحر ★

فلسطين

جزيرة السؤل

بقلم: ابراهيم عبدالله مفتاح





★ خارطة توضح موقع جزر فرسان من المملكة ★

حين تذكر الجزر تتداعى إلى ذهن الانسان عديد من الصور المتباينة ، والأخيلة المدهشة ، والرؤى العميقة ، والأحلام العجيبة .

هذا التداعي هو محصلة تاريخية لعلاقة الانسان بالبحر كمصدر من مصادر رزقه .. ووسيلة من وسائل الاتصال القديمة قبل أن تعرف الطائرة ، والسيارة .

وقد ارتبط تاريخ الجزر بمجموعة من الأساطير المثيرة لخيالات الإنسان ، وتطلعاته للبحث عن المجهول المخوف بالمخاطر ، والأهوال ، والخرافة .

تصور الجزر المسحورة .. والجزر المسكونة بالعفاريت ، والجن ، والمخلوقات الغريبة .

وفي اليونان .. حيث تكثر الجزر الجميلة الهادئة ، كانت هذه الجزر مطمحاً للفلاسفة هرباً من المضايقات التي يلقيها من شعوبهم ، وحكامهم .

ليس هذا فحسب .. بل ارتبط تاريخ الجزر حديثاً بحركة الكشف الجغرافية .. ورحلات المغامرين الباحثين عن الأحجار الكريمة ... ومناجم الذهب ، والمعادن الأخرى .. وبرزت أهميتها من خلال رحلات المكتشفين أمثال « كريستوفر كولمبس » ، و « فاسكو دي جاما » ، و « ابن ماجد » البحار العربي .

وليست قصة « روبنسن كروزو » إلا صورة من تحيلات الإنسان وطموحاته لحياة جديدة ، وأرض غير معروفة ، ورغبته في ارتياد المجهول لتحقيق نزعاته .

وكان البحر بما يحتويه من مغام ، وكنوز ليس أقلها « اللؤلؤ » الذي كان يمثل تجارة مرموقة تقود إلى الثراء الواسع سبباً في ظهور « القراصنة » حيث برز عدد كبير من القراصنة الذين ملأوا حياة البحر هلعاً ، ورعباً ، في غياب النظام ، والأمن اللذين دعت إليهما فيما بعد القوانين والمعاهدات الدولية المصحوبة بوسائل الردع ، ومكافحة ظاهرة « القرصنة » لتوفير الأمن لرواد البحر من ناحية ، وتنظيم عملية استثمار مصادر البحر ، ومغامته من ناحية أخرى .

ومن الجهة الغربية يرتفع عدد من الجبال مثل « جبل زفاف » ، « جبل ساسوه » ، « جبل أبو غنم - الدسان » ، « جبل أبو حمد » ، « جبل وشكة »<sup>(٢)</sup> .

### فرسان في التاريخ

تحدث ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » عن جزر فرسان فقال كلاماً معناه : « أن جزر فرسان يسكنها قوم من قبائل تغلب وأنهم كانوا قبل دخول الاسلام يدينون بالنصرانية وقد عرف سكان هذه الجزر بشدة البأس وكانت تقوم حروب بينهم وبين قوم يدعون « بنو مجيد » وأن لهم رحلات وتجارة مع البلدان المجاورة لهم » .

ويوجد الآن في فرسان جبل يعرف بـ « جبل كنيسة » وقد علل الأستاذ محمد أحمد العقيلي مؤرخ الجنوب وصاحب كتاب « الخلاف السليماني في التاريخ » في أحد أعداد مجلة « العرب » التي يصدرها الأستاذ الكبير حمد الجاسر ، علل وجود اسم ذلك الجبل والأثر الموجود عليه بأنه من بقايا النصرانية إلا أن هناك رأياً آخر قد عزا ذلك إلى أن هذه الجزيرة كان بها وجود برتغالي إبان القرن الرابع عشر الميلادي .

وجزر فرسان غنية بالآثار التاريخية التي تحتاج إلى عمل جاد يكشف أسرارها ويبرز أهميتها . فهناك آثار في جنوب مباني مدينة فرسان الحالية في المنطقة المعروفة بـ « وادي مطر » وفي الشمال في المنطقة المعروفة بـ « غرين » وفي منطقة « القصار » . وقد وصلت إلى فرسان بعثة تابعة لقسم الآثار بوزارة المعارف وكانت تضم بين أعضائها بعض الخبراء الأجانب الذين شاهدوا بعض تلك الآثار وبعض الكتابات الموجودة عليها وحللوها بأنها كتابات « حميرية » ومن يدري ؟ فلربما توجد آثار قيمة وجديدة بالاهتمام سيغير عليها لو أن المسؤولين عن الآثار اهتموا بهذه الجزر وبذلوا نحوها شيئاً من الجهد والمال ، فهناك أماكن كثيرة ما زالت مجهولة وبحاجة إلى البحث والتنقيب .

وإذا تحطينا العصور الغابرة وتحطينا بعض الأسماء التي تحتاج إلى تحليل مثل مسمى « لقمان » الواقع في الجنوب الشرقي وعلى بعد عشرة كيلومترات من مباني البلدة ، وهو عبارة عن أكوام من الحجارة الضخمة تدل على أنها أنقاض قلعة قديمة واقعة على مرتفع يشرف على معظم سواحل الجزيرة ، وما زال أثر البناء واضحاً وبطريقة تدعو إلى الدهشة والاستغراب في كيفية رفع تلك الحجارة التي لا يعرف لها تاريخ ولا تتوفر عنها أية معلومات . والأعجب منها المباني والآثار الموجودة في منطقة « غرين » ، التي يبلغ حجم الحجر الواحد منها حوالي ١,٥ × ٢,٥ أمتار أو أكثر كما يزن عدة أطنان إن قُدِّر له أن يوزن . أقول إذا تحطينا ذلك كله وانتظر بنا قطار الزمن قليلاً أمام عهد الإمبراطورية العثمانية فإننا سنجد آثارها ما زالت باقية . ففي جنوب مباني البلدة توجد منطقة « العرمي » وهو عبارة عن مجموعة البنايات المستديرة أو الدائرية الشكل كان الجنود العثمانيون يتخذونها معسكراً هم ويحتل مساحة كبيرة من الأرض وتطل على ميناء « جنابة » الواقع في الجهة الغربية من فرسان وهو ميناء تستطيع مياهه من حيث العمق أن تستقبل السفن الكبيرة وتشكل مأمناً لها من العواصف وهياج الأمواج .

ونحن هنا لا نرصد تاريخ البحر .. والجزر .. وما تخلل هذا التاريخ من أساطير .. وأحلام .. ورؤى .. وأحداث ، وإنما نستعيد صوراً كانت في يوم من الأيام تحتل واجهة أحداث الإنسان اليومية ، قبل أن يعرف الحروب الساخنة ، والباردة ، وظاهرة الاستعمار ، والقهر ، والاستبداد ، والاستيطان القسري ، والقتل الجماعي ، والغازات السامة ، وتلوث البيئة ، في ظل القوانين ، والمعاهدات ، والاتفاقيات الدولية .. هذه الأمور التي قضت على ظاهرة « القرصنة غير المنظمة » لتحل مكانها « القرصنة المنظمة » .. كما يقول الشاعر :

لقد كان فينا الظلم فوضى فنظمت

حواشيه حتى صار ظلماً منظماً

هذه المقدمة مجرد تداعيات جررها موضوعنا عن الجزر .. والشيء بالشيء يذكر .

فموضوعنا اليوم عن « جزر فرسان » في المملكة العربية السعودية .. هذه الجزر التي قدر العلماء عمرها الجيولوجي بين ثلاثة ملايين ، وثلاثة ملايين وخمسمائة ألف عام .. وإذا كان مثل هذا العمر يعد في علم الجيولوجيا عمراً حديثاً ، إلا أنه بالنسبة للإنسان ومعاشه ، تاريخ طويل حافل بالأحداث على ظهر هذه الجزر التي تبلغ حوالي ( ٨٠ جزيرة )<sup>(١)</sup> .

### الموقع الجغرافي

تشكل جزيرة فرسان والمجموعة التابعة لها أرخبيلاً من الجزر المتناثرة الواقعة في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر وعلى بعد خمسين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مدينة جيزان في المملكة العربية السعودية ، وعلى الرغم من عدم وجود مسافة كبيرة بين جزائر فرسان ومدينة جيزان ، فإن التكوينات الطبيعية بينها تختلف اختلافاً تاماً ، فبينما نجد أن الصخور البركانية والسهول الساحلية الخصبة تغلب على طبيعة أرض منطقة جيزان ، نجد أن جزر فرسان تغلب على أرضها الشعاب المرجانية وبعض القواقع والكائنات البحرية المتحجرة مما يدل على أن عمرها الجيولوجي عمر حديث وأنها كانت مغمورة تحت مياه البحر .

وحسب ما يقول الدكتور عبد الله الدباغ أحد أساتذة الجيولوجيا في جامعة البترول والمعادن في الظهران : إن العمر الجيولوجي لجزر فرسان عمر حديث حيث يتراوح بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين وخمسمائة ألف سنة تقريباً ، بينما يصل عمر منطقة جيزان وسلسلة الجبال الموجودة فيها إلى ثلاثين مليون سنة . وكما يذكر الدكتور الدباغ الذي زار فرسان مؤخراً مع مجموعة من الأساتذة الأجانب المتخصصين في علوم الجيولوجيا : أن ثلاثة ملايين ، أو ثلاثة ملايين ونصف سنة يعتبر عمراً جيولوجياً حديثاً .

وشكل جزيرة فرسان يميل إلى الطول .. وهي أكبر الجزر ، وأشهرها ، وبها كل المرافق الحكومية .. ومينائها « جنابة » حيث ترسو البواخر ، وهناك موانئ أخرى صغيرة يطلق على كل منها « مرسى » مثل « مرسى خلة » ، « مرسى الحص » ، « مرسى القبر » ، « مرسى تبتة » ، « مرسى الخور » .

ويحيط بجزيرة فرسان تضاريس بركانية تميل إلى السواد ، تتميز بالصلابة ،





★ صيد اللؤلؤ، حين كانت تجارة الجزيرة تعتمد عليه، وتصدره إلى بلدان مختلفة، منها أوروبا، وقد تعرف أهل الجزيرة من خلال هذه الزيارات التجارية، على مستوى الشعوب الأخرى، وعلى البسار واحد من تجار اللؤلؤ القدامى ★



★ منظر عام من المناظر المنتشرة داخل الجزيرة ★





★ صناعات تقليدية ، انقرضت الآن ★



★ قواقع .. وبقايا الصدف الفارغ بعد استخراج اللؤلؤ من داخله ★



★ تحول صيادي اللؤلؤ إلى صيادي السمك ★



★ قوارب الصيد في جزيرة « قلاح » التي تبعد عن جزيرة فرسان مسافة تزيد عن النصف ساعة بالركب الذي يسير بالموتور ★





★ نطاع  
لواحد  
من  
المدائل  
التي تتميز  
بها  
منازل  
فرسان القديمة  
حيث  
الأقواس الكبيرة  
التي  
تزينها الزخارف  
المفردة ★

في غالبيتها أرض صخرية وإن صخورها يلاحظ عليها وبشكل واضح أنها كانت مغمورة تحت مياه البحر ، ومع كل هذا فإنه توجد بعض السهول ذات التربة الطينية الصالحة للزراعة وإن الفرسانيين قد استغلوا هذه المساحات القليلة وجعلوا منها مزارع صغيرة إلا أن قلة المياه لم تجعلهم يستفيدون من هذه المزارع كما يجب . لذلك فإن نزول المطر هو الذي يتحكم في عملية الزراعة التي تقتصر على **قصب الذرة** في الغالب . وإذا نزل المطر في موسم **الصيف أو الخريف** فعندئذ تزرع كميات قليلة من **الشام والبطيخ** الجيد النوعية . وبالإضافة إلى ذلك توجد في فرسان **واحات من النخيل** في كل من قرية **القصار** الواقعة جنوب البلدة وفي قرية **المحرق** الواقعة في نفس الاتجاه . كما توجد **واحة نخيل في جزيرة « السجيد »** التي يفصل بينها وبين فرسان ممر مائي تبلغ مساحة عرضه كيلو متراً واحداً ، وهذا الممر تعبده الجبال في حالة « الجزر » ويطلق عليه اسم « **المعادي** » وتجري في الوقت الحاضر حوله دراسات من قبل وزارة المواصلات لبناء جسر عليه يربط الجزيرتين ببعضهما البعض وقد تمت الدراسة الأولية لهذا المشروع من قبل شركة استشارية ووضعت على بعض الأماكن إشارات قامت ببنائها الشركة . والذي يؤمل الآن : هو أن تسارع وزارة المواصلات لبناء هذا الجسر في وقت قريب . وما تجدر الإشارة إليه أن مجموع أعداد النخيل في الواحات الثلاث قد يصل إلى حوالي ٢٥٠٠٠ نخلة .

وما يدل على أن سكان جزر فرسان كانوا أولي بأس شديد وقوة جسمية

وفي الشمال وعلى بعد كيلو ونصف الكيلو من الأمتار توجد « **القلعة** » التي تقع على هضبة تشرف على جميع سواحل الجزيرة عدا الساحل الشمالي الغربي الذي تمتد الجزيرة من ناحيته حوالي ٧٠ كم ، وهذه القلعة ما زالت قائمة وهي مبنية من الحجارة والجص الذي توجد خاماته بكثرة في فرسان كما أنها مسقوفة بقضبان سكة حديد وبجريد النخل ، وهي بحاجة إلى صيانة أو تسوير إن أمكن .

وإذا تركنا فرسان وذهبنا إلى جزيرة « **قحاح** » الواقعة إلى الغرب منها وتبعد حوالي ١٠ كم بحراً ، فإننا سنجد في هذه الجزيرة بيتاً كبيراً تبلغ مساحته حوالي ٢٠×٥٠ كم<sup>٢</sup> يطلق عليه العامة من الناس « **بيت الجرمل** » وهو تحريف لكلمة Germany الإنجليزية وقد بنى الألمان هذا البيت في أواخر الحرب العالمية الأولى . ويذكر المعاصرون لبناء هذا البيت أن الألمان لم يكملوه وتركوه دون سقف ، ويرجح أنهم بدأوا في بنائه في عام ١٩١٦ م ، ولا تزال آثار أقدام وآثار أحذية العمال الذين قاموا ببنائه واضحة على سطح سور هذا البيت الذي لا يستبعد أنهم كانوا يريدونه مستودعاً لتكوين سفنهم التي كانت تمخر عباب البحر الأحمر في ذلك الوقت ، ولكنهم بنهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م تركوه . وكثير من أعمدة هذا البناء الواسع قد انهارت بسبب التعرية والتآكل الناتج عن ذوبان الأملاح الموجودة في حجارته بنسبة عالية .

### الزراعة في فرسان

في حديثنا عن التكوين الطبيعي لأرض هذه الجزر قلنا : إن هذه الأرض





★ إحدى جزر فرسان ، حيث يظهر من بعيد « منزل الجيرمان » ★

## فرسان واللؤلؤ

إن موقع فرسان في وسط البحر قد فرض على أهلها حياة خاصة من الناحية المعيشية والاقتصادية ، فهي ليست ذات أرض خصبة وليست ذات موارد مائية تساعد على الزراعة فيها ، وإن الحياة الزراعية البسيطة التي تحدثنا عنها كانت تعتمد على مياه الأمطار القليلة التي تهطل على هذه الجزر وهي في الغالب غير منتظمة ، من هذا كله انجم سكان هذه الجزر إلى البحر يجوبون أرجاءه ويغامرون بحياتهم في أعماقه ليستخرجوا منه الكثير من منتجاته التي أهمها اللؤلؤ الذي يوجد على مقربة من الشواطئ أو بالقرب من الجزر المجاورة لفرسان والواقعة على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر مثل جزائر **دهلك** حيث كانت السفن « الفرسانية » تسافر إلى الغوص في مواسم معينة من العام وتعود محملة بالمحصول الجيد الوفير الذي يتركز فيما بعد في أيدي قلة من تجارته المشهورين الذين يقومون بشرائه من الغواصين في الأسواق المحلية وعندما تتجمع لديهم الكميات التجارية الكافية للتسويق والبيع في الخارج فإنهم يسافرون لبيعه في عدن أو إمارات الخليج ، وكبار التجار يسافرون إلى مدى أبعد كـ **كاهند** و **الباكستان** بل قد دفع الغنى بعضهم إلى السفر إلى بلدان أوروبا « فرنسا ، بريطانيا » وعرجوا في طرقتهم على كل من **مصر** و **سوريا** و **فلسطين** قبل الاحتلال الإسرائيلي ، وأشهر هؤلاء التجار التاجر المعروف « **أحمد المنور الرفاعي** » صاحب أشهر وأحسن دار في فرسان والشيخ **إبراهيم النجدي** الذي قدم من نجد ومن حوطة « **بني تميم** » على

ذلك العدد الكبير من الآبار المنحوتة في عمق الصخور وهذا العمق في أغلب الآبار يتراوح بين ٢٠ - ٢٥ متراً . ولريّ الماشية من هذه الآبار عمدوا إلى طريقة غريبة فبجانب كل بئر توجد صخرة تسمى « **الحوض** » وهي عبارة عن حجر تم نحته وتجويفه وصنعت له فتحة في جانب من جوانبه السفلى لتفريغه من الماء الذي أصبح غير صالح للاستعمال ، ثم سده بقطعة من القماش أو ألياف النخيل . ومع أن فرسان وبعض القرى أو الجزر التابعة لها تحيط بها مياه البحر من جميع الجهات إلا أن الماء العذب موجود فيها وهو عبارة عن المخزون الذي يتجمع من نزول الأمطار على هذه الجزر ويشكل طبقة سطحية والدليل على ذلك ، أنه في حالة انقطاع الأمطار ترتفع نسبة الأملاح في هذه المياه . كما ثبت أن أي بئر عذبة الماء لا تستطيع الصمود أمام المضخة التي تركب عليها فسرعان ما تتحول مياه تلك البئر إلى مياه مالحة .

ومن هذا المنطلق أدرك المسؤولون في وزارة الزراعة صعوبة هذه المشكلة على السكان وقاموا ببناء محطة لتحلية المياه في فرسان كلفت الدولة مبلغ ستة وأربعين مليون ريال ، وستنتج هذه المحطة الماء بطاقة مقدارها مائة وعشرون ألف جالون يومياً كما ستفرض عن حاجة المحطة طاقة كهربائية مقدارها سبعمائة وخمسين كيلوات من الكهرباء سوف تستغلها وزارة الصناعة والكهرباء في إضاءة كل من فرسان وقرية « **المحرق** » وقرية « **المسيلة** » وهذان العاملان سيحلان مشكلتين كبيرتين في حياة مواطني هذه الجزيرة وهما الماء والكهرباء .





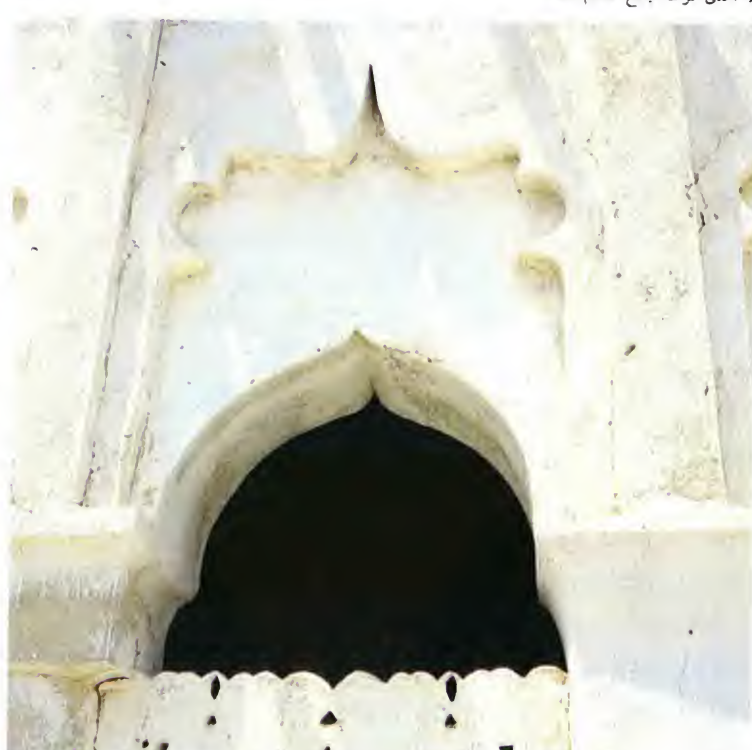
★ جامع صغير في منزل الرفاعي بالجزيرة ★



★ زخارف على واحد من نوافذ المنازل القديمة ★

★ واحد من المداخل المؤدية إلى منزل قديم ★

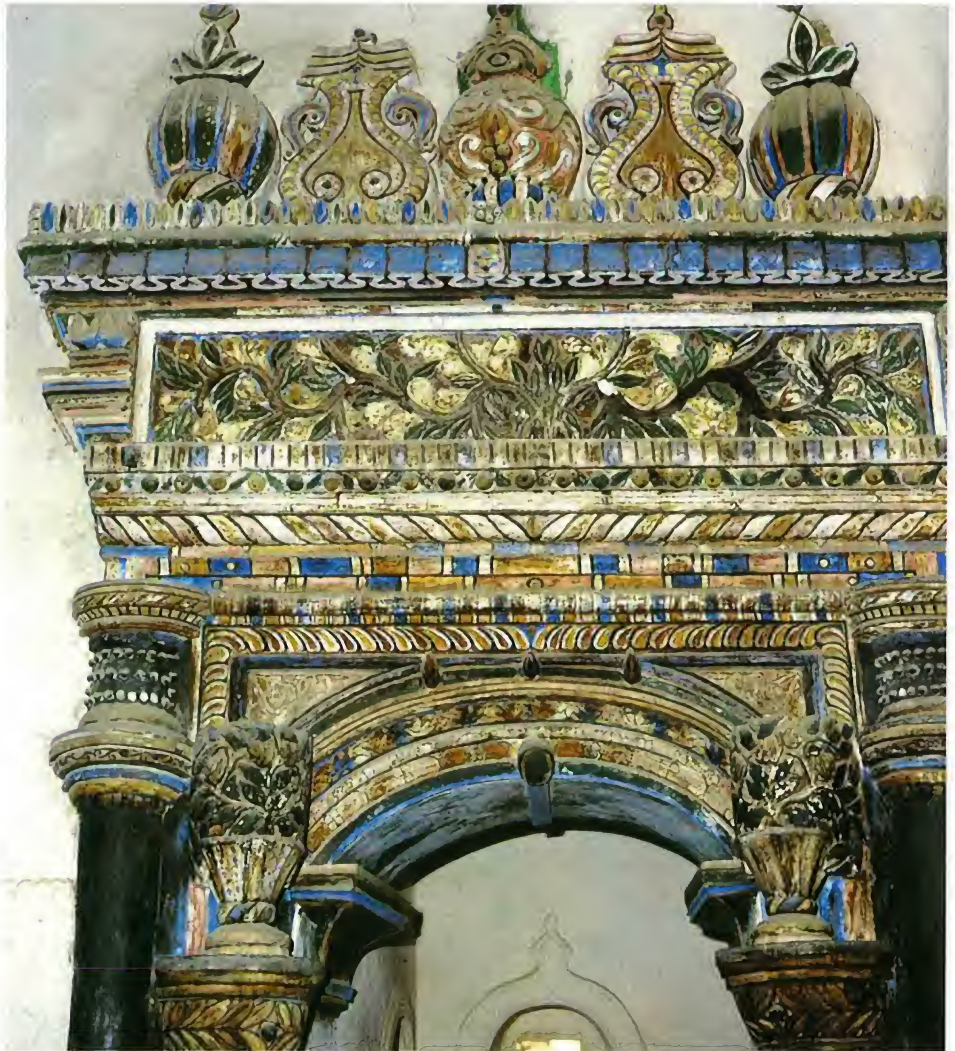
★ إحدى كوات الجامع القديم ★







★ قطاع زخرفي ومنقوشات داخل الجامع القديم ★



★ زخارف زاهية الألوان للمبنى في الجامع القديم ★

★ أديم جامع في الجزيرة ★



مجلة الفيصل - ص ٤٣

وجه التحديد وأصبح من تجار اللؤلؤ المعروفين ومسجده الموجود حالياً يشهد له بالثراء .

وغير هؤلاء كثيرون تاجروا باللؤلؤ وعادوا إلى فرسان وفي عقولهم أفكار متطورة تجلت في الفن المعماري وما زالت تشهد آثارهم بما وصلوا إليه من ذوق رفيع وحياء مرفهة .

لكن عهد اللؤلؤ في فرسان قد انتهى واتجه أبنائها مؤخراً إلى التعليم والعمل الوظيفي بعد أن غزا اللؤلؤ « الصناعي » أو المزروع - الذي انتجته اليابان - أسواق العالم وترتب على ذلك هجرة من الجزيرة وتلا ذلك تناقص في عدد السكان .

### رحلة عمرها ١٣ عاماً

قام الصديق الأستاذ علوي طه الصافي رئيس تحرير هذه المجلة برحلة صحفية قبل ثلاثة عشر عاماً إلى فرسان .. وبعض جزرها .. وحين عاد كتب انطباعاته في جريدة « البلاد » التي تصدر في « جدة » ، في عددها رقم ٢٠٥٥ الصادر في ١٢/٧/٨٥ هـ ، نقتطف منها ما يأتي :

« أنا أعارض من يقول إنه ليس في بلادنا مناطق تصلح أن تكون سياحية .. إن فيها الكثير من المناطق التي لو أعطيناها قليلاً من الاهتمام ، وقليلاً من البذل .. ولو أعدنا لها البرامج

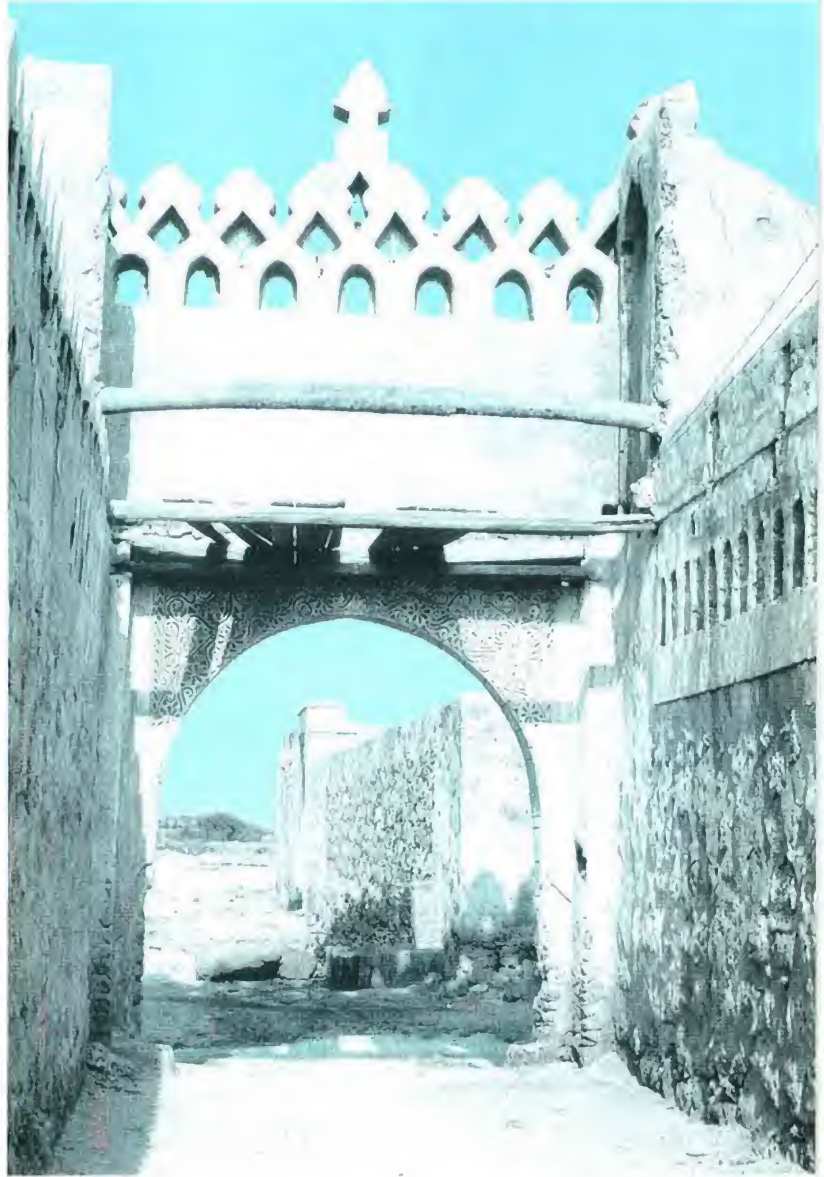




★ منظر عام للبحر ★

### جدول بأسماء جزر قرسان

● قحاح	● السعيد	● فرسان
● سواحل	● أبكر	● الدوينة
● ركين	● سلويه	● العاشق
● المنظر	● وشكة	● عكرم
● غراب	● أم السرو	● زرط
● ضاحك	● أبو حمد	● ديدفور
● عبلات	● أبو الشوك	● الغزا
● أبو شرايا	● الطرق	● أم الوزف
● دراة	● زفاف	● سمر
● أم الكرف	● الدسان	● فرخ سمر
(الكدف)	(أبو غم)	
● حبار	● ساسوه	● رامين
● آمنة	● كيره	● مرين
● أم العصل	● أم الحجر	● ربا
● أم الخرف	● الجهان	● صيريا
● ذو الكم	● شمة	● الهندية
● قاضية	● مسد	● المتواصلة
● العويلتين	● البغلة	● دمस्क
● دوشك	● مطحن	● الرافع
● آسيا	● المليلح	● البرى
● أم الازافي	● سمر الفحمة	● ذو حراب
● ذو الابصار	● كتمبل	● ذو ثلاث
● أم القبة	● فيران	● باقل
● عبد	● شراع	● أم المدة
● شريف	● أبو شقور	● مقمز
		● صديفة



★ زفاني ، يؤدي إلى مدخل أحد المنازل القديمة ★





★ بقايا واحدة من القلاع القديمة حيث تقع على تل مرتفع ★

كالأخطبوط.. وأخذت هيئة البحر تسري في نفوسنا فتذكرت قول الشاعر  
امرئ القيس، وليله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله  
علي بأنواع الهموم ليبتلي

وقد لا يكون ليلنا كليل امرئ القيس.. فهناك اختلاف في الزمان..  
والمكان.. والمناسبة.

كلما توغلنا في السير ادغم الظلال.. وساد الجو وقار كوقار الطاعنين في  
السن، باستثناء ذلك الهمس الخفيف الذي يدور بين محرك «البنش»، وبين  
البحر، كان همساً أشبه بخير ماء الوادي.

أدركت ظهري لأسرح مع البحر.. وأمتع ناظري بصفحة الخملية..  
فاعتراني شعور غريب.. وأخذت نسمة بحرية رطبة تداعب وجهي.. ورحلت  
في نجوى طويلة مع البحر!!

ترى ما سر صمت هذا العملاق أحياناً، وثورته أحياناً أخرى؟  
كم من الأسرار يضمها صدر هذا البحر الكبير.. وسدول عليها ستاراً  
كثيفاً؟

كم من النفوس البريئة أزهقها.. وحرمتها الحياة؟  
كم من الأحلام الوردية داعبت قلوب أجبة تكسرت أمام لطائف أمواجه  
الغاضبة؟

الاعلامية، والأفلام السينمائية جلبنا إليها الكثير من السياح،  
والباحثين عن الراحة، والاستجمام.

وفرسان.. أو الجزيرة النائية في أحضان البحر الأحمر مثل بسيط، وبسيط  
جداً لما أعنيه.. هذه الجزيرة التي شهدت مجداً قديماً غابراً.

نحن الآن في ميناء جيزان.. أو «جازان» عروس الجنوب،  
وحاضرتة. وعلينا كي نصل إلى فرسان أن نبحر من هذا الميناء العتيق..  
ومعنى هذا أن لنا لقاء مع البحر.. وأحواله.. لقاء مع الصمت الرهيب..  
والزجاجة العارمة.

رحلة فيها شيء من المغامرة.. وفي كثير من الأحيان يميل الإنسان إلى  
المغامرات لمعرفة الجديد.. فهو بطبيعته نزوع إلى التجديد.. لا يعرف شيئاً  
إلا ليدعه للتعرف على غيره.. وصحيح ما قيل إن لذة الحياة في الانتقال..  
والتغيير.. والتجديد.

أبحرنا من ميناء جيزان.. وسار «البنش» الذي يقلنا، أو الزورق كما  
أسميه.. سار الزورق المستلهم بلا محذاف.. ولا حوزاء تغني.. سار  
بمجموعة أعضاء الرحلة.. توزعنا على سطحه جماعات.. جماعات.. كنا  
نحلم.. نلهو مع الزورق.. نداعب الأمواج الصغيرة ونساعبها.. نتبادل  
«النكات» والحكايات.

كان الوقت قبل غروب الشمس، وقد ذهب الأصل سطوح البحر فأكسبه  
روعة، وانبهاراً.. وتسلل الليل مرخياً سدوله أو «ملاءته» السوداء





★ سقف منزل الرفاعي، مطعم بالخشب المزخرف في نكبتات دقيقة جداً ★



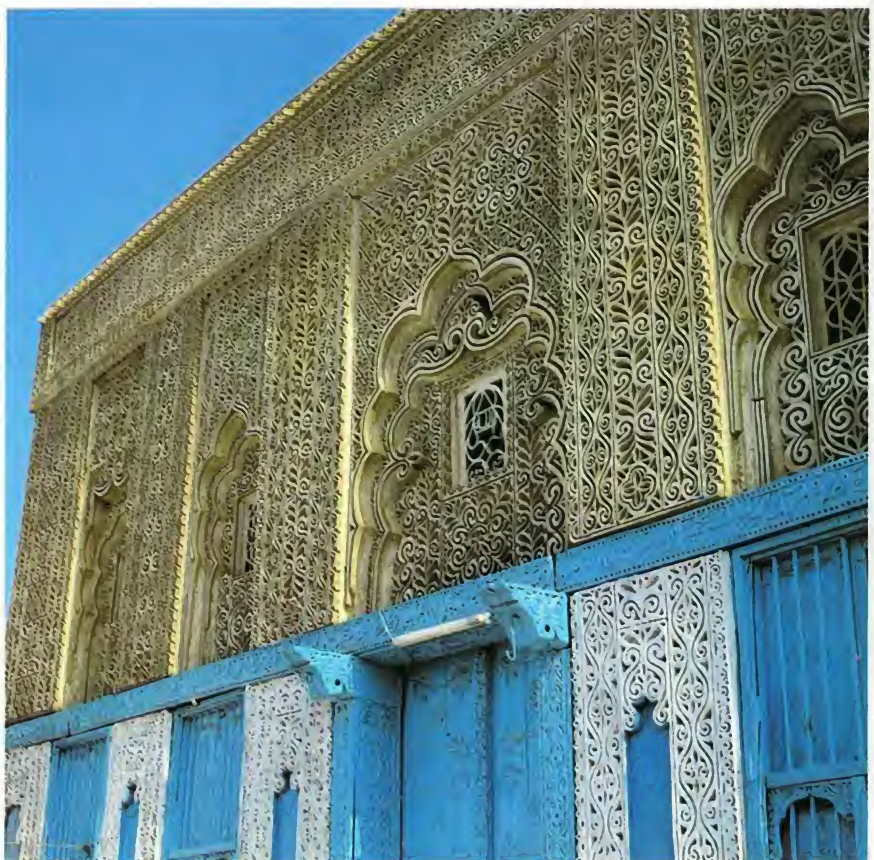
★ باب قديم تزينه الزخارف ★



★ منظر من أرض الجزيرة ★



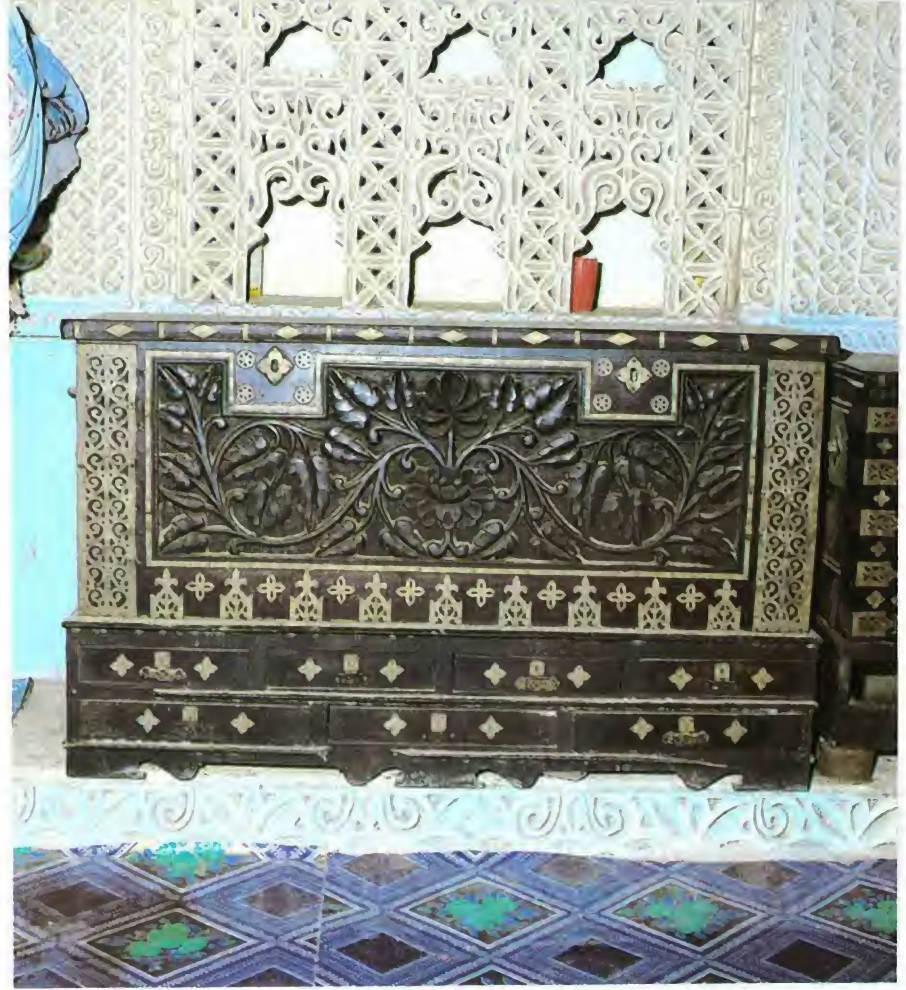
★ كل المساكن القديمة، كانت  
واجهاتها، تزينها الزخارف والنقوش ★



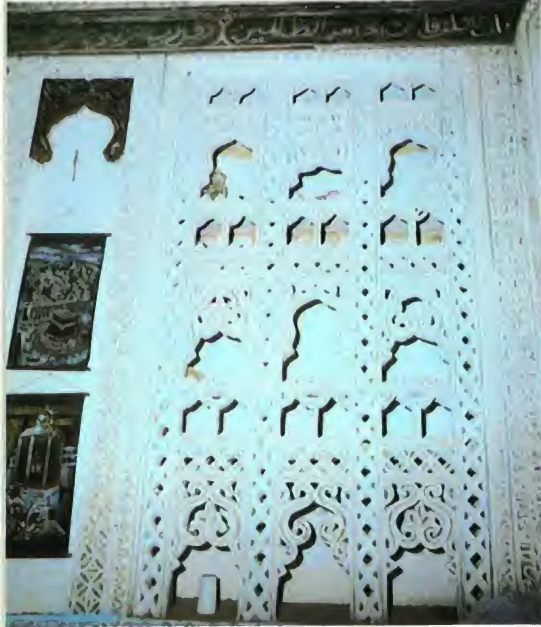
★ زخارف محفورة، دقيقة يمكنك أن  
ترآها في فناء منزل الرفاعي ★



★ «السحارة» أو «صندوق البسم» كما يسمونه  
صندوق مزخرف قديم،  
كان يستعمل  
لحفظ الملابس  
وهو ما يندر وجوده الآن.  
(منزل الرفاعي) ★



★ قطاع زخرفي داخل منزل الرفاعي ★



★ واجهة منزل قديم ★



★ بقايا مستودع كبير في جزيرة «الشيخ»، يطلقون عليه اسم «بيت الجيرمان» ★







★ واحد من  
الأواني  
المنحوتة  
من  
الصخر،  
كان  
يستخدم  
في  
سقي  
الدواب  
إثناء  
العمل ★

#### وغيرها من المناطق التي يتواجد فيها العمل .

لم يبق في هذه المنازل إلا « العواجير » من النساء ، وبعض الشباب العاملين في سلك الوظائف الحكومية . . وبعض صيادي الأسماك .  
أما منازلها فهي مبنية من الحجارة ، تتألف من دور واحد في أغلب الأحيان .

ولفرسان ثلاثة موانئ يدعوها « الخور » ، « خلة » ، « تبتة » ، وهناك موانئ أخرى أقل أهمية مثل « القبر » ، « جنابة » ، « مريحا » .

وقد كان لأهل فرسان ميدان واسع في التجارة . . وأهمها تجارة « اللؤلؤ » الذي كانوا يأخذونه معهم إلى أقطار مختلفة قد لا تصدق لو قلت لك إنهم وصلوا فرنسا . . وبريطانيا . . والهند . . والحبشة .

وقد أجاد بعضهم اللغة الفرنسية ، وما زال منهم مواطن من عائلة « زيدان » يتقن الفرنسية . . وقد شاهدت صوراً تذكارية لهم في البلدان التي زاروها في الشرق والغرب .

كما أن أهل فرسان أصحاب خبرة في بناء السفن الشراعية إلى جانب الزراعة ، وصيد اللؤلؤ ، والسمك . . هذه هي أبرز الأعمال التي كان يقوم بها أهل فرسان في الماضي .

أفقت من نحوي على صوت صديق يعرف فرسان ، وجزرها جيداً قائلاً :  
أنظر . . هذه أول جزر فرسان تصادفتا . . إننا ندعوها « آمنة » . . وتلك « أحبار » . . وأماننا جزر أخرى سنأتي إليها . . إن هذه الجزر لا يسكنها أحد ، إلا أن بعض شبان جيزان يقضون فيها أحياناً أيام الإجازات .  
ولأهل فرسان خبرة واسعة في الملاحة مما جنبنا كثيراً من المآزق والشعاب في تلك الظلمة الحالكة . . وهم لا يستعملون في ذلك أية وسيلة من الوسائل كالبوصلة مثلاً . . ويكتفون بمعرفة الاتجاهات حسب النجوم .

سرنا مارين بجزر ، ومناطق جبلية مثل جزيرة « أم الكدف » ، و« سولين » و« أبو الشرائع » المشهورة بكثرة الأمواج . . وهناك جبال صغيرة يدعوها « عبلات » و« باخطة » .

كان وصولنا فرسان ليلاً . . هذا وجدناها نائمة إلا من بعض أضواء « الفوانيس » التي كانت تتسلل من بعض المنازل . . وبتنا ليلتها في منزل أحد الأصدقاء لعدم وجود فنادق بالجزيرة شبه المهجورة .

في الصباح خرجنا نتجول في شوارع الجزيرة . . وبين منازلها وكأننا نسير بين أطلال ، وبلى رحل عنها أهلها . . وتركوها تبكي الغائبين النازحين عنها لطلب العيش ، والعمل في الحجاز ،



★ بئر قديم  
منحوت  
في الصخر  
وقد كان كل بئر  
من هذه الأبار  
المنتشرة  
يستمر  
الحفر فيه  
لمدة  
تزيد على العام  
لكي يكتمل ،  
فالأرض كلها  
صخرية ★



أما اليوم فقد كسدت تجارة اللؤلؤ ، ولم يعد صيد السمك مجالا للرزق  
لصغر الجزيرة ، وهجرة سكانها .

### عادات و أساطير

ويذكر الصديق الصافي من خلال انطباعاته أنه ما زال فريق كبير من  
أهل فرسان يعتقدون في الخرافات . . والأساطير . . وكثير من عاداتهم مليئة  
بمثل هذه الخرافات ، والأساطير .

فهناك جبال يسمونها « المغوي » يعتقدون أن من ذهب إليها فإن مصيره  
المحتوم هو الضياع وعدم العودة لا إلى فرسان فحسب بل إلى الحياة .

وهم يروون لك القصص ، والحكايات الغريبة فالتائه في هذه الجبال كل  
ما صعد أكمة رأى فرسان ثم ينزل منها ليقع مرة أخرى فريسة للضياع ، ثم  
تجهد نفسه خلال بحثه ومحاولاته حتى يموت عطشاً وتعباً .

وقد سموها بالمغوي لاعتقادهم أيضاً أن هناك نجماً يلوح أمام السائر لغوايته  
ففضل منه الطريق . . فهو يوهمه أنه قريب من جزيرة مأهولة ، أو قرية فيسير  
خلفه من مكان إلى آخر حتى يصبح عاجزاً عن معرفة المكان الذي هو فيه ،  
وعندها لا يعرف الشرق من الغرب . وهذا النجم يظهر في الأفق ليلاً  
كبصيص النور .

وأضيف إلى كلام الصديق الصافي أن شاباً يدعى « محمد أحمد عقيلي »  
ظل تائهاً مدة أربعة أيام ، وكان قد ذهب ليحطب ، واستمر البحث عنه  
ولولا أن الشاب يحمل معه بعضاً من الطعام ، وقليلاً من الماء تحكم في  
استعمالها لكان الآن في العالم الآخر .

وأذكر أيضاً أن امرأة عجوز تدعى « فاطمة بنت عبد الله بن علي »  
تاهت في الطريق وكانت ذاهبة من قرية القصار إلى فرسان ، واستمرت مدة  
أسبوع كامل ، ولولا إرادة الله شاءت أن يكون هذا الحادث في موسم  
الأمطار ، وشاءت العناية أيضاً أن يكون معها كمية من التمر ، لولا هذه  
العوامل لذهبت حياتها .

وفتاة تدعى « حليلة أحمد عبد الله » تاهت بين الجبال وقد كانت  
برفقة والديها اللذين أضناها البحث مع العديد من الناس ولكن دون  
جدوى ، ومن المعتقد أنها ماتت ، ولكثرة التعاريج والزوايا بين الجبال لم يعثر  
عليها .

أما بالنسبة للنجم الذي تعرض له الزميل الصافي فذلك  
مشكلة علمية تحتاج إلى بحث ودراسة .

ففي أيام الخريف يجعل الإنسان يتوهم أنه بالقرب من القرية التي يريد  
فيظل ماشياً طول ليله دون الوصول إلى نتيجة ، وقد وقع الكثير من المواطنين  
في شرك هذه الأنوار المتحركة حتى ظن معظمهم أن تلك الأنوار ما هي إلا



## آثار .. وشعر .. ورقص

ويتابع الصديق الصافي انطباعاته فيتحدث عن الآثار .. والشعر .. والرقصات المشهورة فيقول :

« فرسان لا تخلو من بعض الآثار .. وقد وجدت فيها أفران قديمة بنيت من الحجارة واللين ، وهي تقع في شمال قرية « القصار » . وقد حكى لي أحد أهالي فرسان بأنه وجد كهناً بداخله هياكل أجسام بشرية طويلة وهذا يؤكد لنا أن في فرسان آثاراً لو تم البحث عنها ، وأجريت الحفريات اللازمة لاكتشفنا الكثير منها عما هو مغمور تحت الأرض . وكأي بلد تحف في القلوب .. وتطرب النفوس .. وتشنف الأذان للنغمة الحلوة فقد سمعت لأهل فرسان الكثير من النغمات الشعبية الحلوة في شعرها العامي « النبطي » .. وتعرفت على شذاته ، ورواته أمثال « عبد الله عمر مفتاح » وأخوه « محمد وأحمد » وغيرهم أمثال « عمر عيسى » و « محمد عمر سالم » ، ومن لم أتمكن من معرفتهم .. وهناك غيرهم ممن انتقلوا إلى رحمة الله .

وهم يتغنون بأشعارهم على دقات طبول رقصاتهم الشعبية المحببة للنفوس .. ومن هذه الرقصات « السيفي » ، تقام هذه الرقصة في المدينة .. وفي أي وقت من الأوقات .. وتم عادة بين شخصين يحمل كل منهما سيفاً أو خنجرًا أو ما يتوب عنها كالعصا ، ويقومان بحركات وقفزات منتظمة . ثم « العرضة » ، وتجرى عَصراً .. وتقام عادة في ساحة خارج المدينة أو القرية ، ويشكل اللاعبون عند أدائها صفوفاً تذهب وتجيء أيضاً بحركات وقفزات رتيبة ومنتظمة .

و « الزيفة » وهي الرقصة المحببة ليس لأهل فرسان فحسب ، بل لكل سكان منطقة جيزان .. وهي تشبه « الدبكة » الشامية إلا أنها تتألف من الرجال فقط .

وفي الزيفة يظهر دور الشاعر الشعبي حيث يتبارى فيها أكثر من شاعر .. ويقف كل شاعر أمام صف من صفوف الراقصين حيث يرتجل شيئاً مما تليقه عليه قريحته لحظة فيحفظه الراقصون ، ويرددونه بعده ، ثم يتناقله السامعون ويصبح جزء من مخزون وموروث هذا النوع من الشعر .

وتحتوي قصائدهم على قصص الحب .. والحرب .. ومغامراتهم في ميادين الهوى ، والبطولة .. وقد تكون القصيدة عبارة عن قصة حب حدثت للشاعر فعلاً فيتناقل الناس أخبارها وهم ينشدونها .

وهذه الرقصات تكاد تكون عامة في منطقة جيزان .. وهي من التراث الفني الذي تعتز به المنطقة .

وتختص فرسان بالإضافة إلى هذه الرقصات برقصة « الدانة » الجماعية .

هذه رحلة سريعة في « فرسان » وجزرها الجميلة التي تتميز كل جزيرة منها بطابعها الخاص .



★ قطاع من الزخارف الملونة في المجمع القديم ★



★ إحدى الصناعات اليدوية التي انتشرت الآن ★

شياطين تحاول تضليل الناس ، وهذا هو أغلب الظن عند الفرسانيين . ولأن هذه الأنوار المتحركة لا تظهر إلا في فصل معين من السنة ، فأنا أعتقد جازماً أنها نوع من الحشرات الطائرة تحمل في أجسامها كميات وفيرة من مادة « الفوسفور » . وعلى أي حال فهذا موضوع علمي جدير بالاهتمام .. أما الأساطير فأعتقد أن كل أمة لها أساطيرها ، وعاداتها وخرافاتها .

## هوامش

- (١) كتاب « عالم البحار - الجزر ، الأسماك ، الطيور » تأليف العقيد صالح بن محمد بن مشيلح الحرب - إصدار نادي جدة الأدبي - الطبعة الأولى .
- (٢) المصدر السابق .



# السوق الإسلامية المشتركة ”قالتها.. وما عليها“

بقلم: د. عدنان الهندي

أيقنت الدول النامية بعد الحرب العالمية الثانية أن التكامل الاقتصادي هو الطريق الوحيد الذي يؤمن لها تنمية سريعة وناجحة ، كما يؤمن لها تميزاً واستقلالاً عن القوى الاقتصادية والسياسية المعاصرة . وإيماناً بهذه الفكرة سعت الدول الصناعية بعد سنوات الحرب إلى تكوين مناطق اقتصادية جديدة ، حيث توجد على سبيل المثال اثنتان من المنظمات الاقتصادية في أوروبا الغربية هي السوق الأوروبية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة الأوروبية . وفي أوروبا الشرقية ترتبط الدول الاشتراكية بمجلس المساعدات الاقتصادية المشتركة على أساس تنظيم الأنشطة الاقتصادية بين الدول الأوروبية وتحقيق التنمية الاقتصادية بينها . وهناك تعاون أيضاً بين دول أميركا اللاتينية حيث نجد مشروعين أولهما منطقة التجارة الحرة لأميركا اللاتينية التي أنشئت عام ١٩٦٠م ، وثانيها السوق المشتركة لأميركا الوسطى . أما بالنسبة لإفريقيا والشرق الأوسط ، فلا يخفى على أحد ما أورثه الاستعمار لبلدان هاتين المنطقتين من قيام الروابط التجارية التقليدية بصفة أساسية مع البلاد الاستعمارية وغيرها من البلاد الصناعية ومن تنظيم الخدمات



العامّة المتعلقة بالتبادل التجاري كالنقل والتأمين والبنوك ومنظمات التسويق لخدمة هذا التبادل التجاري فيما بين دول هذه المناطق والبلاد الاستعمارية التي كانت تسيطر سياسياً واقتصادياً عليها . واستمر الحال على هذا المنوال حتى نالت معظم دول هذه المناطق استقلالها ، وبالتالي بدأت التفكير في تكوين تكتلات اقتصادية .

ف نجد مثلاً أن بعض البلدان الإفريقية قد انتظمت في سلك تنظيّمات تضم بلاد إفريقية متجاورة مثل الاتحاد الجمركي والاقتصادي لوسط إفريقيا والاتحاد الجمركي لغرب إفريقيا والجماعة الاقتصادية لشرق إفريقيا . وهذا يصدق بالنسبة لدول منطقة الشرق الأوسط خاصة الدول العربية ، فقد انتظمت هي الأخرى في تنظيّمات متعددة كالاتحاد الجمركي ومنطقة الترانزيت ، وإنشاء المؤسسة العربية لضمان الاستثمار والسوق العربية المشتركة ، كما أقامت أخيراً صندوق النقد العربي لأغراض التعاون وتنسيق السياسات النقدية بين الدول العربية .

ولم يقتصر الأثر على المناطق المذكورة أعلاه ، بل إن البلاد الإسلامية تفكر في الوقت الحاضر في إنشاء سوق إسلامية مشتركة ، حيث أوصت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في النصف الأول من عام ١٩٧٨ م ، بضرورة إنشاء سوق إسلامية مشتركة وذلك لتوثيق روابط الأخوة والتعاون الاقتصادي بين هذه البلاد . وبناء على ما تقدم فسأتناول الموضوع من زاوية الاعتبارات التي حدثت بالبلاد الإسلامية إلى التفكير بإنشاء مثل هذه السوق ، والمشاكل والعقبات التي تعترض إنشائها ، كما ستعرض في هذه الدراسة إلى ما أحاط عملية التكامل الاقتصادي من اهتمام في القرون الماضية والقرن الحالي .

### أولاً - الاهتمام بالتكامل الاقتصادي

إن التكامل الاقتصادي ليس شيئاً جديداً على العالم ، فقد عرفه العالم خلال الفترة التي امتدت من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر . ونشأ التكامل في تلك الفترة في ركاب التوسع الاستعماري ، حيث اتجهت الدول الاستعمارية إلى أن تؤلف من الدول النامية التي كانت خاضعة لنفوذها وسيطرتها منطقة تجارية تزودها بالمواد الأولية اللازمة لصناعاتها ، كما استخدمت أسواق هذه الدول لتصريف منتجاتها المصنوعة . ولعل من أهم التكتلات التي أنشئت خلال الفترة اتحاد الزلقرين الذي أنشئ عام ١٨١٨ م ، لتنسيق التعريفات الجمركية بين المقاطعات الألمانية ، والاتحاد الجمركي بين النرويج والسويد الذي أنشئ عام ١٨٧٤ م ، واتحاد ولايات جنوب إفريقيا الجمركي الذي أنشئ عام ١٨٨٩ م .

وشهدت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية تعاظم الاهتمام بالتكتلات الاقتصادية على اختلاف أشكالها ، سواء على صعيد الفكر الاقتصادي أم الهيئات الوطنية أم المنظمات الدولية العالمية والإقليمية . بل لقد شهدت الستينات وخاصة بعد انعقاد المؤتمر الأول للتجارة والتنمية عام ١٩٦٤ م ، اهتماماً متزايداً بالتكتلات الاقتصادية بين البلاد النامية وانجهاً عالمياً بوجود تشجيع التكتلات الاقتصادية بين هذه البلاد بقصد تمكينها من التغلب على العقبات التي تعترض طريقها إلى النمو الاقتصادي ، وقد أخذت التكتلات الاقتصادية في هذا القرن طابعاً جديداً تميز بالآتي :

أ - غلبة العامل الجغرافي في تكوين التكتلات الاقتصادية ، لإنشاء السوق الأوروبية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة الأوروبية ومجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة (الكوميكون) . كما انضمت بعض دول أميركا اللاتينية في تكتلات اقتصادية ، وهذا يصدق بالنسبة لبعض دول إفريقيا ، حيث انضمت في الاتحاد الجمركي والاقتصادي لوسط إفريقيا ، والاتحاد الجمركي لغرب إفريقيا ، والجماعة الاقتصادية لشرق إفريقيا ، كما انضمت بعض الدول العربية إلى السوق العربية المشتركة .

ب - استقلال كل من الدول الصناعية والدول النامية بتكتلات اقتصادية تقتصر عضويتها عليها . وهذا يختلف عما كان عليه الوضع في القرون الماضية . إذ اتخذت التكتلات الاقتصادية في ذلك الحين صورة تنظم يتألف من إحدى الدول الصناعية الأوروبية المنتجة للمنتجات المصنوعة وعدداً من الدول النامية التي تتخصص في تزويدها بالمواد الأولية . بمعنى أن التكتلات الاقتصادية اتخذت في الماضي طابع التكامل الرأسي بينما يغلب على هذه التكتلات في الوقت الحاضر التكامل الأفقي ، حيث تؤلف الدول النامية فيما بينها تكتلات اقتصادية لا تخضع فيها لسيطرة بعض الدول الصناعية . والسوق الأوروبية المشتركة خير مثال على ذلك ، حيث تتخذ هذه السوق صورة تكامل أفقي فيما بين الدول الصناعية التي يتكون منها ، كما تتخذ صورة تكامل رأسي مع البلاد النامية التي ترتبط بها عن طريق اتفاقيات خاصة .

### ثانياً : الاعتبارات التي تحدد البلاد الإسلامية على إقامة التكتلات الاقتصادية

لا تختلف الاعتبارات التي تحدد البلاد الإسلامية على إقامة تكتلات اقتصادية من حيث المبدأ عن الاعتبارات التي حدثت بالدول الصناعية إلى إقامة تكتلات اقتصادية . ومهما يكن من أمر فإن أهمية هذه الاعتبارات تختلف من بلد إلى آخر ومن طائفة إلى أخرى من البلدان . فنجد مثلاً أن الغرض من التكامل في الدول الرأسمالية هو لإعادة بناء الصناعات الأوروبية للوقوف أمام المنافسة القوية التي واجهتها من الصناعات الأميركية ، علاوة على الهدف الحربي ، ذلك أنه بسبب وجود أنظمة اجتماعية مختلفة في العالم ، وفي ظل ظروف الرأسمالية الحديثة ، فإن التكامل الاقتصادي بين الدول الأوروبية يمكن أن يجعل منها قوة عسكرية أمام القوتين الأعظم . أما بالنسبة لأهداف التكامل الاقتصادي في الدول الاشتراكية فقد تلخصت حول الحاجة إلى التغلب على المشاكل الاقتصادية المترتبة على الحرب ومشكلة التخلف النسبي ، ومواجهة برنامج الإصلاح الأوروبي ، بالإضافة إلى الهدف الحربي .

وبالرجوع إلى الاعتبارات والدوافع التي تحدد بالبلاد الإسلامية إلى التكتل الاقتصادي نجد أن لا مناص من القول إن هذه الدوافع لا تنحصر في الدوافع الاقتصادية إذ لم تكن هذه الدوافع أقوى الدوافع في بعض الحالات ، ذلك أن لاعتبارات السياسية والاجتماعية والدينية والعاطفية أثراً لا يمكن إغفاله في هذا المجال . ومهما يكن من أمر هذه الاعتبارات ، فقد أوضحت الدراسات العديدة أهم هذه الاعتبارات وهي :



## (أ) تحقيق وفورات الإنتاج الكبير

وتزداد أهمية هذا الاعتبار بالنسبة لمستقبل التصنيع في البلاد الإسلامية بالنظر إلى ما تتميز به من ضيق نطاق أسواقها على نحو لا يقارن بالبلاد الصناعية مهما صغرت. إذ قدر أن حجم السوق الإقليمي لبلدان أميركا اللاتينية لا يزيد بدرجة تذكر عن حجم السوق في كل من فرنسا أو ألمانيا أو بريطانيا، وإن تميز ذلك السوق بالتشتت فوق مساحة أكبر، وبانطوائه على قطاعات كبيرة من السكان الذي يستأثر الانفاق على السلع الضرورية بنسبة كبيرة من دخولهم. وقد أشار تقرير الأمانة العامة لمؤتمر التجارة والتنمية إلى كبر عدد الدول الصغيرة التي تنتمي إلى العالم المتخلف وانخفاض معدل الدخل الضروري فيها، مما يشير إلى أن أسواق هذه الدول من الصغر بمكان بحيث لا تستطيع إيواء الصناعات الضخمة. ومع ذلك فإن إمكانية اجتناء الوفورات الداخلية لا تقتصر على ميدان الإنتاج الصناعي، ذلك أن في الامكان تحقيق العديد من الوفورات في ميدان الخدمات العامة والإدارة العامة أيضاً.

## (ب) التخصص

إذ من المتوقع أن يزيد ما يتحقق من نفع من جراء التخصص داخل البلد الواحد. ولا يعني بالتخصص هنا هو تكرار ما كان يحدث في السابق وهو تقسيم البلاد إلى بلاد منتجة للمواد الأولية من ناحية، وبلاد تنتج المنتجات الصناعية من ناحية أخرى. ذلك أن مثل هذا النمط الرأسي للتخصص أصبح أمراً غير مقبول. ومن هنا يجب الانفاق على ضرورة توزيع عادل للنمو الصناعي فيما بين البلاد الأعضاء، وهذا يستدعي بالضرورة الاتفاق على سياسة إقليمية للاستثمار. إذ إن الانفاق على مثل هذه السياسة يعتبر الشرط الأساسي لاعطاء التكامل الصفة الديناميكية. وتعظم أهمية الاتفاق على سياسة إقليمية للاستثمار حيث تتفاوت البلاد الأعضاء في مستوى النمو الاقتصادي. إذ يخشى في هذه الحالة أن تصبح البلاد التي قطعت شواطئ أبعد في ميدان التنمية أقطاباً للنمو يتركز فيها النمو الصناعي وتستأثر بالشرط الأكبر من مزايا التكامل، وذلك على حساب مستقبل التنمية الاقتصادية للبلاد الأقل تقدماً في جملة البلاد الأعضاء.

## (ج) استقرار الصادرات

ومن الاعتبارات الأخرى للتكامل الاقتصادي بين البلاد الإسلامية هو تقليل ما تميز به صادراتها من عدم الاستقرار نظراً لما يترتب على زيادة التبادل التجاري فيما بينها من تنوع الاتجاه الجغرافي في تجارتها الخارجية، ولا شك أن المجال متسع لزيادة التبادل التجاري بين البلاد الإسلامية، حيث يتضح أن صادرات هذه البلاد لبعضها البعض عام ١٩٧٥ م، لم تتجاوز ما نسبته (٧,٤٪) من صادراتها الكلية. ويمكن أن يعزى انخفاض هذه النسبة إلى البنيان السلي لصادراتها، حيث لا يسمح مثل هذا البنيان في الوقت الحاضر لتقليل اعتمادها على البلاد الصناعية لأغراض التصدير. ويمكن القول بصفة عامة إن الصفة الغالبة لتجارة البلاد الإسلامية هي عجزها عن المساهمة بشكل فعال في نمو التبادل التجاري العالمي من جهة والعجز المتزايد في موازينها التجارية من جهة أخرى. وهذا من شأنه أن يهدد عملية التنمية الاقتصادية، وبالرجوع إلى إحصاءات التجارة الخارجية يتضح أن مساهمة البلاد الإسلامية في التجارة العالمية

بلغت حوالي (٣,٢٪) عام ١٩٥٠ م، انخفضت لتصبح (٢,١٪) عام ١٩٦٢ م، وبلغت (١٢,٠٤٪) عام ١٩٧٥ م، وليس هذا فحسب، بل إن تجارة البلاد الإسلامية مرتبطة إلى حد كبير بالدول الصناعية وبعض دول العالم الأخرى، إذ إن حوالي (٦,٢٪) من تجارتها في عام ١٩٥٠ م، كانت مع هذه الدول، وارتفعت هذه النسبة إلى (٧,٠٪) عام ١٩٦٢ م، وبلغت حوالي (٦٩,٦٪) عام ١٩٧٥ م. ولا يخفى أثر ضعف التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية وارتباطها بشكل كبير بالدول الصناعية إلى حجم الفعاليات الاقتصادية وعلى سياسة التنمية بصورة عامة. وما يزيد من حدة المشكلة، هو أن الموازين التجارية للبلاد الإسلامية تسجل عجزاً متزايداً سنة بعد سنة، وذلك لزيادة حجم المستوردات على حجم الصادرات بشكل مستمر من جهة ولتدهور أسعار الصادرات بالنسبة لأسعار المستوردات من جهة أخرى إذا ما استثنينا صادرات النفط، بالإضافة إلى ذلك فإن حجم صادرات البلاد الإسلامية يزداد ببطء شديد رغم الحاجة الماسة والملحة للبضائع الرأسمالية اللازمة لنموها الاقتصادي. إذ بلغت نسبة نمو صادرات هذه البلاد عام ١٩٧١ م، حوالي (٢٣,١٪) وانخفضت عام ١٩٧٥ م، لتصبح (٥,٨٪).

إن نتيجة هذا الخلل بين الصادرات والمستوردات من شأنه أن يؤدي إلى خلل دائم ومزمن في الميزان التجاري لهذه البلاد. ومقدور البلاد الإسلامية أن تعتمد على بعضها في الحصول على كثير من المنتجات الصناعية والغذائية التي تستوردها من البلاد الصناعية في الوقت الحاضر. وما يزيد من أهمية هذا الاعتماد هو أن طلب هذه البلاد على المنتجات الصناعية والغذائية يتزايد باستمرار تبعاً لما يواكب التنمية الاقتصادية من زيادة الدخول بل وإن طلبها سيتزايد على المواد الأولية نظراً لما تتمتع به التنمية أيضاً من ارتفاع مستوى التصنيع.

## (د) تعزيز قوة المساومة

وذلك تجاه البلاد الصناعية، لما يهيئه التكامل الاقتصادي من اجراء تقدم في تحسين علاقاتهم الاقتصادية مع هذه البلاد، يعزز من أهمية هذا الاعتبار ما نعلمه من شيوع التكتلات الاقتصادية بين البلاد الصناعية واتجاه هذه التكتلات من السياسات ما يتعارض مع مصالح البلاد الإسلامية.

## (هـ) إنتاج البضائع المستوردة

زيادة قدرة البلدان الإسلامية على إنتاج البضائع المستوردة والمساعدة في خلق قطاعات الخدمات كالنقل والتأمين والذي يشكل قسماً هاماً جداً من نفقات هذه البلدان من العملات الأجنبية. ومن شأن هذا تحقيق العجز الملحوظ في الميزان التجاري إن لم نقل القضاء عليه.

نستطيع أن نلاحظ مما سبق الفوائد التي يمكن تحقيقها من خلال التكامل وإنشاء سوق إسلامية مشتركة. فباستبدال السياسات الاقتصادية القومية بسياسات اقتصادية إسلامية موحدة، يمكن استخدام الإمكانيات الاقتصادية الإسلامية لتحقيق تنمية اقتصادية على النطاق الإقليمي، ورفع مستوى المعيشة لكل البلاد الإسلامية. ويمكن القول إنه قد تحقق بعض التعاون الاقتصادي بين البلاد الإسلامية التي لديها موارد لم تستخدم مؤقتاً وبين البلاد الإسلامية التي هي في حاجة إلى وسائل مالية خارجية. ويعتبر البنك الإسلامي للتنمية الذي تقتصر عضويته على الدول



الأعضاء في المؤتمر الإسلامي بلا شك أهم مؤسسة مالية أنشئت خلال العقد الحالي حيث إن هدفه الرئيسي تعبئة الموارد لتمويل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد الأعضاء ومنح القروض للقطاعات العام والخاص وتقديم المعونة الفنية .

ومن أشكال التعاون الاقتصادي الذي تم بين البلاد الإسلامية في السنوات الأخيرة هو أن الدول الإسلامية المنتجة للبتروك قد قدمت في السنوات الأخيرة معونات سخية للبلاد الإسلامية الأخرى ، وذلك من خلال تقديم القروض والمنح والاستثمار المباشر وكذلك الاشتراك المباشر في المشروعات المشتركة . والواضح أن النتائج المتواضعة التي أحرزتها البلاد الإسلامية في مضار التعاون الاقتصادي لا يمكن تفسيرها بأن حاجتها إلى التعاون الاقتصادي أقل إلحاحاً من حاجة البلاد الصناعية أو أن مزايا التكامل والتعاون الاقتصادي وإمكانية اللجوء إليه لم تتضح لها بعد . لذا فإن تواضع النتائج يرجع بصفة أساسية للمشاكل التي اعترضت ولا تزال تعترض البلاد الإسلامية إلى تكوين كتلت اقتصادية . فما هي هذه المشاكل ؟

### ثالثاً : المشاكل والعقبات التي تقف أمام التكتل الاقتصادي الإسلامي

١ - ضعف الإرادة السياسية من جانب معظم البلدان الإسلامية في كثير من المجالات ويمكن القول إنه لن يتأتى للاعتبارات الاقتصادية أن تتحقق دون توافر الإرادة السياسية في هذا المجال .

٢ - أدى ارتباط البلاد الإسلامية بالدول الصناعية إلى نظام دولي لتقسيم العمل بطريقة تضر بالبلاد الإسلامية . فالصناعات في هذه البلاد تقوم بإنتاج عدد قليل من المواد الأولية اللازمة لصناعات الدول الصناعية ، والجزء الأكبر من هذه المواد الأولية ينتج أساساً بغرض التصدير . مما أدى إلى نمو جانب واحد من القوى الإنتاجية وإلى هيكل اقتصادي مشوه . ويمكن أن نلاحظ هذه الظاهرة في الدول العربية حيث يعكس هيكل صادراتها حقيقتين وهما :

أ - أن معظم الدول العربية تعتمد على مادة خام واحدة ، فعلى سبيل المثال نجد أن ما نسبته (٩٣,٠٪) من صادرات الكويت عام ١٩٧٤ م ، من البترول الخام و(٩٥,٨٪) من صادرات العراق من منتجات البترول عام ١٩٧١ م ، و(٤٧,٥٪) من صادرات جمهورية مصر العربية من القطن ، و(٩٢,٣٪) من صادرات السعودية من البترول الخام ، و(٩٧,٦٪) من صادرات ليبيا من البترول الخام ، وسورية (٢٤,٩٪) من القطن ، والأردن والمغرب وتونس تعتمد على نوعين من المنتجات وهي منتجات أولية ومواد غذائية وذلك طبقاً لأرقام عام ١٩٧٥ م .

ب- أن صادرات ومستوردات معظم الدول العربية تعتمد على مجموعة قليلة من الدول ، فتنعمد الجزائر في (٦٠,٦٪) من تجارتها الخارجية على دول السوق المشتركة ، وتعتمد المغرب على نفس الدول في (٥١,٧٪) من مستورداتها و(٥٤,٢٪) من صادراتها ، وتونس (٦٤,٠٪) من مستورداتها و(٤٧,٦٪) من صادراتها من وإلى دول السوق . كما تعتمد السعودية (٦٦,٩٪) من صادراتها إلى الدول الصناعية و(٧٦,٨٪) من مستورداتها من هذه الدول وأن حوالي (٣٢,٨٪) من مستوردات الأردن من السوق المشتركة

وذلك طبقاً لإحصائيات عام ١٩٧٥ م . ويمكن القول إن هذه الظاهرة تنصب على معظم الدول العربية . ولا يخفى على أحد أن الاقتصاد المتخصص في جانب واحد بغرض التصدير يعتبر حساساً جداً بالنسبة لتغيرات الأسعار وخاصة السلع المرتبطة بالأسواق العالمية ، مثل المواد الأولية .

٣ - حداثة استقلال بعض البلاد الإسلامية ، لذا فإنها تواجه مشاكل داخلية معقدة تستأثر الشطر الأعظم من اهتماماتها . يضاف إلى ذلك تردد بعض البلاد الإسلامية التي توجد في مركز أفضل من غيرها بالانضمام إلى بلاد أقل حظاً عنها سواء في الموارد الاقتصادية أو في مستوى النمو الاقتصادي . يقابل ذلك ما نخشاه البلاد الأقل تقدماً من أن يؤدي التكامل الاقتصادي إلى اتساع الفجوة التي تفصلها عن البلاد النامية التي سبقتها في مضار النمو الاقتصادي . يضاف إلى هذا أن عدم وجود برامج متناسقة للتنمية الاقتصادية يجري تنفيذها بصفة جدية يضيف عقبة لا يستهان بها في هذا المجال .

٤ - تنافر السياسات الاقتصادية الداخلية في البلاد الإسلامية مع إصرار كل بلد على أن يحتفظ بمطلق حريته في تشكيل هذه السياسات . مما يؤدي إلى ضالة ما يمكن أن يحرزه التكامل من نجاح . ذلك أنه لن يتأتى لمجموعة من البلاد أن تجني نفعاً من وراء التكامل ما لم تكن على استعداد من البداية لأن تدرك وأن تقبل فقدان جانب يعتد به من سيادتها على شؤونها الاقتصادية .

٥ - تفاوت الخواص الهيكلية الاقتصادية بين البلاد الإسلامية التي يراد تحقيق التكامل فيما بينها ، واختلاف النظم والظروف الاقتصادية بين هذه البلاد .

٦ - اتساع الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي ، حيث قدر عدد سكان الدول الأعضاء في المؤتمر الإسلامي بحوالي (٦٠٠) مليون نسمة ، أو ما نسبته (١٥٪) من سكان العالم ، يشغلون رقعة من الأرض تزيد عن (٢٥) مليون كم مربع ، تمثل (٢٠٪) من إجمالي مساحة العالم . وقد أشارت معظم الدراسات حول التكامل الاقتصادي إلى أهمية انخفاض تكاليف النقل ، كما أشارت إلى أن للمسافات الاقتصادية تأثيراً بالغاً على العلاقات الاقتصادية ، إذ كلما قصرت المسافة بين أي بلدين عظمت إمكانيات التبادل الاقتصادي بينهما ، وزادت المنفعة التي تعود على العالم من تكاملها .

٧ - مشاكل اجتماعية وسيكولوجية مثل اختلاف اللغات والعادات والتقاليد .

٨ - عوائق طبيعية مثل اختلاف الطقس وعدم ضمان المرتب وعدم وجود تسهيلات سكنية وعدم المواءمة بين المطلوب والمعروض من الأنواع المختلفة من العمل .

٩ - صعوبة تحقيق التوازن بين المنافع التي يدرها التكامل الاقتصادي على مختلف البلاد الأعضاء ، ذلك أن العديد من المنافع لا يمكن قياسها كمياً .

وعلى الرغم من تعدد المشاكل والعقبات التي يمكن أن تقف حائلاً أمام نجاح فكرة إنشاء السوق الإسلامية المشتركة ، فإن هذا لا يبرر تراخي العزم في مجال توثيق أو أصر التعاون الاقتصادي بين البلدان الإسلامية . ومن هنا كان لزاماً على هذه البلاد أن تولي هذه العقبات محلاً أساسياً من الاعتبار وأن تعمل على



اتخاذ التدابير المناسبة للتغلب عليها . وتختلف طبيعة الحال ماعية التدابير والأساليب التي يتبنى بمقتضاها التغلب على هذه العقبات والمشاكل من حالة لأخرى باختلاف الظروف التي تحيط بالبلاد الأعضاء التي يتألف منها التكامل الاقتصادي . عل أنه لا غنى في مواجهة هذه العقبات من توافر الإرادة السياسية ، علاوة على أن يتسم التكامل الاقتصادي بواقعية أهدافه . ومن الواضح أن الأخذ بصورة أقل طموحاً من إنشاء السوق المشتركة لا يسد الباب أمام التدرج منها إلى صورة أكثر طموحاً ، بل إن هناك من القوى ما تدفع أية مجموعة من البلاد إلى المضي قدماً في الطريق إلى التكامل الاقتصادي . لذا يثور التساؤل حول المراحل التي يجب أن تسبق مرحلة إنشاء السوق الإسلامية المشتركة بين البلاد الإسلامية ، يمكن القول إن هناك مرحلتين تسبقان مرحلة السوق المشتركة وهما :

#### ١ - متعلقة التجارة الحرة

يمكن اعتبار تكوين مناطق التجارة الحرة كنقطة بداية للتكامل الاقتصادي الحقيقي وكأولى مراحل التكامل الاقتصادي . حيث إنه في كل مرحلة يعني التكامل تجميع لجميع لأجزاء في شكل جديد . ولا يعني مجرد تجميع أشياء منفصلة بدون تغيير نوع هذه الأجزاء . وأول هذا التغيير يمكن ملاحظته في مناطق التجارة الحرة . ففي مناطق التجارة الحرة الأوروبية نجد أن المعاهدة ترمي إلى إلغاء التعرفة الجمركية والقيود الكمية بين الدول الأعضاء ، أما بالنسبة للتعرفة الجمركية بين الدول الأعضاء وبين الدول الأخرى فإنها من اختصاص كل دولة ولا تمسها الاتفاقية .

#### ٢ - مرحلة الاتحاد الجمركي

تلخص هذه المرحلة في إقامة نظام موحد للتعرفة الجمركية والقيود الكمية أمام الدول غير الأعضاء . ولكن هذا النوع من التكامل يمكن الأخذ به عندما تكون الدول الأعضاء على مستوى متقارب من النمو الاقتصادي وعندما يكون من الممكن توحيد السياسات الاقتصادية . وإلا فإن الاتحاد الجمركي سيكون في صالح الدول الأكثر تقدماً ، أو حتى الدول التي تستطيع تنمية اقتصادها بفتح أسواق جديدة من خلال الاتحاد الجمركي على حساب اقتصاديات الدول الأخرى .

#### ٣ - مرحلة السوق المشتركة

وهذه المرحلة هي أكثر المراحل تقدماً من المرحلتين السابقتين ، حيث إنه في هذه المرحلة تلغى القيود أمام تحركات عناصر الإنتاج بين الدول الأعضاء ، بالإضافة إلى الوحدة الجمركية ، فهنا في السوق المشتركة نحن أمام سوق واحدة تنتقل ضمنها ليس السلع الوطنية والأجنبية فحسب وإنما رؤوس الأموال واليد العاملة أيضاً . وهذا ما دعا بعض الاقتصاديين لاعتبار مرحلة السوق المشتركة هي المرحلة التكاملية الحقيقية حيث في هذه المرحلة لا يتم تحرير المبادلات التجارية فقط ، وإنما يتم تحرير رؤوس الأموال واليد العاملة ، أي إن عملية التكامل الاقتصادي الحقيقي هي حركة ديناميكية وليس حركة سكونية لأنه من شأنها خلق تغيرات متسارعة في الهياكل الإنتاجية للبلدان المتكاملة .

ولا شك بطبيعة الحال أن مناطق التجارة الحرة والاتحادات الجمركية

والأسواق المشتركة تحظى في الوقت الحاضر بالجانب الأكبر من الاهتمام . على أننا نرى أن الأشكال الثلاثة السابقة ليست الوحيدة للتنظيمات الإقليمية ، ومن أمثلة هذه التنظيمات اتفاقيات التعاون الاقتصادي القائمة بين بعض الدول النامية واتفاقيات تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة الترانزيت واتفاقيات تجنب الازدواج الضريبي . حقاً إن مثل هذه الاتفاقيات لا ترقى إلى مستوى الأسواق المشتركة من حيث القضاء على التمييز في المعاملة في محيط أعضائها ، على أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال التقليل من أهميتها ، نظراً لأنه لا فضل لشكل على آخر من أشكال التكتلات الاقتصادية إلا بقدر ما يتجاوب مع طبيعة الظروف والمشاكل السائدة التي يمكن أن تبرز بين أعضائه ، ونهياً له بالتالي مقومات النجاح . ومن أمثلة هذه الظروف طبيعة العلاقات السياسية بين البلاد التي تزمع الأخذ به أو حجم الأسواق الداخلية لهذه البلاد أو مستوى النمو الاقتصادي فيها أو طبيعة النظم الاقتصادية والتجارية السائدة أو مدى التجاوز الجغرافي .

ولهذا كله فإنه من الضروري وقبل إنشاء السوق الإسلامية المشتركة أخذ المشاكل والظروف التي استعرضتها في السابق في الاعتبار بالإضافة إلى ضرورة مراعاة ما يأتي :

(أ) ضرورة تنسيق السياسات الاقتصادية الداخلية للبلاد الإسلامية . إذ يتوقف تحقيق العديد من المزايا على هذا التنسيق وعلى رأس هذه المزايا سياسات الاستثمار وتخطيطها على أساس إقليمي بما يتسنى معه أن تولى البلاد الأقل تقدماً معاملة مناسبة .

(ب) يجب العمل على تحقيق التوازن بين المنافع التي تدرها السوق المشتركة على مختلف البلاد الأعضاء .

(ج) لما كان الهدف الرئيسي من وراء الأسواق المشتركة هو تيسير انسياب السلع في محيط البلاد الأعضاء ، لذا فلا يتوقع تحقيق هذا الهدف ما لم تتخذ السياسات الكفيلة بتيسير وسائل النقل والمواصلات في محيط هذه البلاد .

(د) لا بد من وجود سياسة مشتركة تتناول شؤون الصرف والمدفوعات .

وخلاصة القول إن عملية إنشاء سوق إسلامية مشتركة غالباً ما تكون مصحوبة بتوترات ومساومات وصفقات . فإذا أردنا أن نأخذ كل هذه الأمور في الاعتبار ، فلا يملك المرء إلا أن يصل إلى نتيجة مؤداها أن إمكانية إنشاء سوق إسلامية مشتركة لا يمكن أن تتقدم بسرعة حثيثة إلا إذا توافرت المقومات لانشائها فتجربة السوق الأوروبية المشتركة والسوق العربية المشتركة تدل على الصعوبات التي تكتنف هذا السبيل . لذا فإن الحاجة تدعو إلى إجراء دراسات مستفيضة حول المشاكل والعقبات التي يمكن أن تقف حائلاً أمام إنشاء سوق إسلامية مشتركة .



## من أمثال العرب

### وَقَعَ فِي سَلَى جَلٍ

أي وقع في بلية لا مثيل لها ، لأن السلى إنما يكون للناقة وهي المشيمة .. يضرب في الشدة المتفاقمة

### هَلْ يُجْمَعُ السِّفَانُ فِي غَمْدٍ

يضرب في عدم الاتفاق وقلته .. يقول أبو ذؤيب :

تريدين كما تغمديني وخالداً  
وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

### وَعِيدَ الْحَبَارَى الصَّقْرُ

يضرب للضعيف يتوعد القوي .. وذلك أن الحبارى يقف للصقر ليحاربه من شدة الرعب منه .. قال الشاعر :

لقل غناء عنك ايعاد بارق  
وعيد الحبارى الصقر من شدة الرعب

### طَارَتْ عَصَافِيرُ رَأْسِهِ

يضرب للمذعور ، أي كأنما كانت على رأسه عصافير عند سكونه ، فلما خاف طارت .

### شَرَّ النَّاسِ مَنْ مَلَحَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ

الأصل فيه أن العرب تسمي الشحم ملحاً لبياضه .. وتقول : أملحت القدر إذا جعلت فيها الشحم ، قال الشاعر :

لا تلمها إنها من نسوة  
ملحها موضوعة فوق الركب

أي إنها من نسوة همها السمن والشحم فكان معنى المثل : شر الناس من لا يكون عنده من العقل ما يأمره بما فيه محمداً ، إنما يأمره بما فيه طيش وخفة وميل إلى أخلاق النساء ، وهو حب السمن .. والملح يذكر ويؤنث .. يضرب للنزيق السريع الغضب ، وللمغادر أيضاً .

### لَا تَقْرُعْ لَهُ الْعَصَا ، وَلَا تَقْلُقْ لَهُ الْحَصَى

يضرب للمحنك المحرب .

### لَا تَهْرِفْ بَمَا لَا تَعْرِفُ

الهرف : الاطناب في المدح .. يضرب لمن يتعدى في مدح الشيء قبل تمام معرفته .

### أَغْرُ مِنْ ظَبِيٍّ مُقْمِرٍ

يقال : معناه أن الظبي صيده في القمراء أسرع منه في الظلمة ، لأنه يعيش في القمراء ، ويقال : معناه من الغرة بمعنى الغرارة ، لا من الاغترار ، وذلك أنه يلعب في القمراء .

### اعْتَبِرِ السَّقَرِ بِأَوَّلِهِ

يعني أن كل شيء يعتبر بأول ما يكون منه .

### أَضْيَعُ مَنْ قَرِ الشِّتَاءُ

قيل ذلك لأنه لا يجلس فيه .. فالناس عادة في الشتاء يختبئون داخل منازلهم .. قال ابن حجاج يصف نفسه :

حدث السن لم يزل يتلهى  
علمه بالمشايخ العلماء  
غير أني أصبحت أضيع في القو  
م من البدر في ليالي الشتاء



# من أمثال الشعوب



- من كد في عناء .. أكل في سعادة .
- أن تقبل ربحاً بسيطاً .. خير لك من أن تفقد أعمالك .
- احفر البئر .. قبل العطش .

(الصين)



- الوقت .. والفرصة ، ليسا خادمين لأحد .
- لا يوجد حزن مهمل عظيم ، لا يخففه الزمن .

(ألمانيا)



- خسر دمه .. من بكى أمام القاضي .
- الشجار القديم ، سهل التجديد .
- الحب يحكم دولته بلا سلاح .

(إيطاليا)



- من السهولة أن تكون جواداً بمال غيرك .
- الفاكهة الممنوعة .. هي الأحلى .
- من الخير أن تأتي قبل الموعد بساعة .. من أن تأتي بعده بدقيقة .

(أمريكا)



- الريح .. والنعمة ، لا يدومان .
- المسافة بين كلمة لا .. وكلمة نعم عند المرأة لا تسمح بمرور رأس الإبرة .

(إسبانيا)



- ينام عميقاً من لا يملك ما يخاف فقده .
- الخاقد .. لا يذوق طعم النوم .

(فرنسا)



# بطل الفتوح في شمالي افريقية



## عقبة بن نافع

بقلم: د. محمد التونجي

لا يمكن لأي أديب أو مؤرخ أن يدرس علما من أعلام المسلمين إلا أن يستوثق من القبيلة التي نشأ فيها هذا العلم . لتنسب أمامه المؤثرات الداخلية والنفسية ، وتتضح له العوامل الخارجية والبارزة . وعليه أيضا أن يتعمق في ما هية جذوره ، ونوعية بيئته ، ومكانة جدوده .



ذلك إذا علمنا أنهم كانوا من خيرة الجنود والقواد بعد الاسلام ،  
وأهم شاركوا بني أمية في قيادة الجيوش ، وفتح الفتوح ،  
والجهاد في سبيل الله .

هذه البيئية العسكرية ، وهذا الجو الحازم ، وهؤلاء  
الأقربون المناضلون بالاضافة إلى قرابته بعمر بن العاص ،  
كل هذا خلق في نفس هذا الفتى المسلم كفاءة نادرة ، قوّت من عوده ،  
ومتنت من كفه ، وأهبت من عفوانه ، وهيأته لمجد عسكري قادم . .  
- فيما بعد - من قادة الفتوح في الإسلام ، والقائد الأول في شمالي إفريقيا .  
فبيئته عقبة بن نافع عربية خالصة ؛ فقد نشأ وسط  
الصحراء ، ورضع اللبن الإبل ، وشرب ماء واحات العرب .

#### أبوه

هو نافع بن عبد القيس الفهري . . كان من نخس<sup>(٦)</sup> بزيئ بنت  
رسول الله ﷺ لما توجهت مهاجرة إلى المدينة المنورة ، فأفزعها ، وكانت  
حاملًا فالقت ما في بطنها بعد أيام<sup>(٧)</sup> . يدل هذا العمل الشنيع على شدة  
حقد نافع نحو الإسلام ، ومعاصرته لهجرة الرسول ﷺ وأهله وصحبه .  
كما يدل على مكانته بين قومه ، ولولا هذا لما تجرأ أن يفعل فعلته ،  
ويتهجم على الخرائر .

ويروى أنه مات قبل فتح مكة مشرئًا . وفي رواية أنه أعلن  
إسلامه ، وعاش إلى خلافة عثمان<sup>(٨)</sup> ، واشترك في عدة غزوات . فعقبة  
على هذا في الرواية الأولى نشأ يتيمًا ، وأسلم من ذات نفسه ، وفي الرواية  
الثانية أسلم بإسلام أبيه .

#### أمه

لم نحدثنا كتب التاريخ شيئًا ذا بال عن أمه وأخواله ، ولم تعلمنا عن  
مكانتهم أمرًا . وجل ما قيل مضطرب ، وكل الآراء تربط نسب عمرو بن  
العاص بنسب عقبة من جهة الأم .

فرواية تقول : هو أخو عمرو لأمه « النابغة » التي كانت سبية من  
عذرة ، وكانت تغني بين القبائل . . ولا ندري مدى صحة قولهم هذا .  
ونحن نستبعد هذا الرأي ولا نقبله ، ولا سيما إذا علمنا أن عمرًا أكبر سنًا  
من عقبة بما يزيد عن عشرين سنة . بل إن عبد الله بن عمرو كان  
يكتب ما يسمع عن الرسول من أحاديث ، في حين أن عقبة - عمه على  
هذه الرواية - كان طفلًا يحبو أو يتخبط في مشيه . ولم يرو أن النابغة  
تزوجت غير الثلاثة ( الفاكه بن المغيرة ثم عبد الله بن جدعان ،  
وانتهت إلى العاص ) .

ورواية ضعيفة أخرى تقول : إن عمرًا خاله . وترفض هذه الرواية  
من أساسها لأن النسب يخالف الخؤولة ، والكتب تقول غير هذا . ورواية  
ثالثة تذكر أنه ابن أخي العاص لأمه<sup>(٩)</sup> .

أما الرواية التي نرجحها ، أنه ابن خالته<sup>(١٠)</sup> . ولكن كيف جرت هذه

وقد تنبّه العرب إلى هذه الخصيصة ، فأولوها رعايتهم ، ووجهوا إليها  
عنايتهم ، بأن حفظوا أنسابهم ، وحافظوا على أسماء جدودهم ، وافتخروا  
بذلك . وكان هذا الافتخار سببًا في ظهور علم الأنساب عند العرب .  
وقلة العناية بأنسابنا اليوم - والأمس غير القريب - هي التي جرّت هذا  
العلم إلى متاهات النسيان ، وجعلته بعيدًا عن الأذهان . وهو علم نفسي  
أصولي ، يساعد على معرفة مكانة الفرد ، ويسهم في التوضيح عن  
مؤثرات نشأته ، ومسببات مكانته .

وإذا اكتفى المرء اليوم بمعرفة أسرته ، وبحفظ جد أو جدين على  
الأكثر ، فإن العربي - ولا سيما الصحراوي - حافظ على الأسماء ، وورثها لمن  
بعده مع ما يورثه ، لأن ذلك مفخرة له واعتزاز . ولو أن القدامى لم  
يعتبروه اعتزازًا ، لما انتحله أشخاص كثيرون ، وأغلبهم من غير العرب .  
ولأجل هذا ، ولكي نعرف بعقبة بن نافع خير تعريف ، علينا  
عبء ثقيل وواجب محتوم . فإن يسّر الله علينا كشفه وإزاحته سهل على  
القارئ معرفة مكانة هذا « الإنسان الجليل » . واتضح له العوامل  
النفسية والبيئية التي أثرت في خضم حياته الطويلة .

#### اسمه ونسبه

هو عقبة بن نافع<sup>(١١)</sup> بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن  
عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة  
القرشي الفهري . نشأ في بطن من بطون قريش . والبطون القرشية  
تتفاوت في الضعف والقوة ، والقلة والكثرة . ولكن البطون التي انتهى  
إليها الشرف - كما يقول النسابة الكلبى - عشرة ، اتصل شرفها في الجاهلية  
والإسلام ، وهي : هاشم ، أمية ، نوفل ، عبد الدار ، أسد ،  
تيم ، مخزوم ، عدي ، جح ، سهم .

ثم إنه يلتقي بالجد العاشر للرسول ﷺ فابعد . ونسب  
الرسول كما أورده ابن هشام هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن  
هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن  
فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة . .

فأرومة عقبة تلتقي بأربعة جدود النبي ﷺ . وإذا علمنا أنه افتخر  
أيضًا بالنسب إلى أمية ، اتضح لنا الأصالة التي تحمل بها عقبة ،  
وبالعراقة التي انتسب إليها .

والفهيرون آخر بطون قريش<sup>(١٢)</sup> ، انتهى إليها شرف الحرب والقوة قبل  
الإسلام ، ومن أبرز الفهريين : أبو عبيدة عامر بن الجراح -  
الضحاك بن قيس الفهري - أبو محمد عبد الله بن وهب .  
والفهيرون من أكبر القبائل التي سافرت إلى الأندلس بعد الإسلام وبعد  
فتح شمال إفريقيا .

غير أن التاريخ سكت عن مهمة بني فهر في الجاهلية ، واكتفى  
بالإشارة إلى الحرب والغزوات . وهذا لا يكفي ؛ فلكل بطن من بطون  
قريش عمل اختصت به ، وتفردت به دون زميلاتها .

ولعل التاريخ اكتفى بذكر ما برز به الفهيرون . ونكاد نصادق على



ذات طابع إسلامي ، وتطعمت نشأته بأفضل ما تتطعم به أولى حيوات الشباب المسلم .

كل هذا أثر في حياته الأولى ، ووجهه وجهة خالصة لله تعالى ، وطبع مواهبه بالتمسك بالروح العسكرية ، ليكون من أبرز الناشئين في عهد فجر الإسلام ، وأحد الأبطال المجاهدين في سبيل الله .



#### صحبه وإسلامه

أغلب كتب التراجم والسير تصر على أن عقبة « لا تصح له صحبة » . ومؤلف الاصابة يرى أنه لا صحبة له ، كما لا يصلح لأن يكون صحابياً . وعلة ذلك في نظرهم صغر سن عقبة .

لقد رأينا أن عقبة ولد قبل الهجرة بسنة واحدة ، وذكرنا أن الرسول ﷺ توفي سنة ١١ هـ ، أي حين كان عمر عقبة اثنتي عشرة سنة . ولا تكتفي هذه السن لأن يعي الطفل واقع الإسلام ووقائع الرسول . ولهذا لم يشترك في أي من الغزوات ، لأن السن التي كان يسمح فيها باشتراك المبرزين من الفتيان كانت الخامسة عشرة فما بعد .

ونرجح ألا يكون عقبة قد دخل في الإسلام في هذه السن ، إلا إذا كان والداه مسلمين . وأياً كان الأمر فإن عقبة صحابي بالمولد والطفولة ؛ فقد ولد في عهد الرسول ، وترعرع في عهد بعد الهجرة ، ولعله رآه غير مرة . وعمر بن الخطاب كان لا يعين قواده إلا من الصحابة ، كما لا يرضى أن يعمل صحابي تحت قيادة غير صحابي . ونعلم أن عقبة عين قائد الفتح لبرقة وزويلة والنوبة في عهد عمر ، وكان في جيشه عدد من الصحابة .

وكان حسن الإسلام منذ إعلانه ، ولم يعرف عنه أنه ارتد أو شك ، وأنه كان أحد أوائل الفتيان الذين نذروا أرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله في أرض بكر ، وقصر نفسه ونذر لها لنشر الدين فيها . وعلى هذا كان أول مجاهد يدخل الشمال الافريقي ، ويدعو فيه إلى الاسلام .

الصلة ؟ نفق حيارى أيضاً ! فأم عمرو سبية كما ذكرنا ، وهي سلمى بنت حرملة الملقبة بالنابغة ، أصابتها رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكه . . . وأخيراً صارت إلى العاص .

ترى أكانت الأخت شبيهة بأختها النابغة « تؤجر للغناء ؟ » احترفت أم عمرو الغناء في حين أن أختها ظلت في بيت ذويها ؟ أكانت سبية هي الأخرى ، فأصابها ما أصاب النابغة ؟ أم أنها خطبت وزفت إلى نافع الفهري بكرامتها ؟ لا نعلم .

وأياً كان الثلب والقدح بأبيهما ، فإن العرب تفخر بالأب ، وتنسب إلى قبيلته . وأياً كان الأمر ، فإن عقبة يتصل بعمر بن العاص بقرابة ذات فرعين ؛ الأولى القرابة القرشية ذات الشرف الأكبر ، والثانية هي قرابة الأم .

وقد ربطت هذه القرابة الشخصين إلى بعضهما بعضاً ، فأنشأتها نشأة متقاربة ، وعملت على استفادة عقبة من ابن خالته الكبير عمرو في كثير من الأمور والصفات ، وقادت الاثنين في مسيرة واحدة ، ومصير واحد . هو مصير الجهاد في سبيل الله تعالى في مصر ، وفي شمالي إفريقية .

#### ولادته ونشأته

هناك روايتان تدلان على سنة مولده . تقول الأولى إنه ولد قبل وفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بسنة واحدة أي سنة ١٠ للهجرة ، وهذا مستحيل طبعاً ، لأن عقبة شارك عمراً في فتح مصر الذي بدأ سنة ١٨ هـ ، وذهب لفتح برقة وزويلة سنة ٢٠ أو ٢١ هـ . ويعني هذا أن عمره آنئذ كان بحدود العشر سنوات ، وهذا ما لا يقبله العقل ولا المنطق .

والرواية الثانية ، مقبولة ، ومتناسبة والوقائع التاريخية التي بين أيدينا . تقول الرواية إنه ولد سنة ٦٢١ م ، أي قبل الهجرة بسنة واحدة . فإذا قارنا هذه السنة بسنة ذهابه إلى مصر وضح لنا أنه ذهب إليها وهو في عقده العشرين وهذا مقبول قطعاً .

فعلى هذا يتضح أن عقبة ولد في عهد الرسول ﷺ<sup>(٨)</sup> ، ونشأ في مكة المكرمة . فبعد من فتيان الإسلام الأوائل ، الذين ولدوا مع الإشعاع الذي أنار الجزيرة العربية ، ونشأوا في أحضان الإسلام نهضة صالحة أثبتت نتائجها في شمالي إفريقية ، وهي نشأة لم تشهها شائبة الجاهلية . وكأننا في قولنا هذا نعلن عن أن نافعاً أباه أسلم وعقبة طفل ، ونستبعد هذا أيضاً ، لأن زينب بنت رسول الله ﷺ هاجرت قبل هجرة أبيها ، ونحزها نافع . فكيف يسلم وينحز في عام واحد ؟ إلا إذا حطت العناية الإلهية أجنحتها فجأة على قلب والد الطفل البريء ، أو أنه قبض وهو في الجاهلية فنشأ يتيماً ، فهدهم أحدهم هداية نصوحاً .

فإذا تذكرنا أن أرومة عقبة عربية نجبية ، وقرابته بالرسول ﷺ وبعض صحبه - كعمرو وأبي عبيدة - وطيدة ، وإذا لم يغرب عن بالنا أن الفهريين امتازوا بالروح الحربية ، وإذا اتضحت لنا مسألة نشأته الإسلامية ، وأنه ولد مع نهضة فكرة الجهاد ، تبين لنا أن عقبة نشأ في بيئة عسكرية



## بين عقبة وعمرو

ذكرنا في معرض حديثنا عن أمه صلة النسب التي ربطت بين هذين المجاهدين ، وأشرنا إلى أثر البيئة والقربة في حياة عقبة من الوجهتين العسكرية والإسلامية . بقي أن نتوقف قليلاً لنستوضح الأحداث ، ونستشف منها أسباب التحام الوشائج بين القائدين .

كتب التاريخ والأنساب كلها تقول : كان عمرو كثير الاعتماد على عقبة في فتوحه . فثني كان هذا ؟ وإلى ماذا ألحت هذه الكتب ؟

لماذا اختار عمرو بن العاص عقبة في أهم غزواته ؟ تكتفي كتب التاريخ بقولها : اختاره لقربة بينهما . ولكن هل من المعقول أن يتورط عمرو ، وهو الحريص على وضع اسمه في مصاف أبطال الجهاد الأوائل ، بأن يعين هذا الفتى الأمرد لخوض فتح جديد يتهيبه كبار القواد ؟ نقول : هل من المعقول أن يتورط عمرو في تعيين عقبة لمجرد كونه ابن خالته ؟ أوليس فيه من الصفات سوى أنه قريبه ؟

إنه لا يريد أن يودي بسمعته ، ويجعل اسمه لواء الألسن ، ومحط الأنظار تحذره أو تحسده أو تكيد له . . وهو هو الداهية ، وهو هو الذي يقدر قيمة الأخطاء !

لو أنه عينه على قرية أو مدينة ، أو طلب إليه الاشراف على بعض شؤونه أو وظفه وظيفة يسهل عليه فيها كسب المال والجاه بأقرب السبل كرامة لخالته العزيزة عليه . لو أنه فعل شيئاً من هذا لكان علينا الأمر ، وقلنا : حرص على ابن خالته الصغير .

ولكنه يختاره لأمر صعب ، ليس واقعة في مصر على مرمى بصره ، ولا غزاة تسهل عليه نجاته . بل اختاره في مهمتين ؛ الواحدة في أقصى الجنوب وهي النوبة ، وهو أول مسلم يبلغ تلك الأعماق السحيقة ، والثانية إلى أقصى المغرب ، وهو كذلك أول مسلم يخوض فيها المعارك ، ويرفع فيها لواء الإسلام الخفاق . بعثه إلى تينك البقعتين الجديدتين على المسلمين . وهو يعلم أنه الرائد الأول فيهما ، وطلب إليه أن يلم في ريادته هذه على إمكانات الأرض ، ومكانة العدو بعد أن يعتمد الاصطدام بهم .

إذاً ، هناك شيء آخر غير قرابته - بل أسمى منها - شيء يشجع هذا الداهية على إسناد أصعب المعارك إلى هذا الفتى ، ويجعله مطمئناً تمام الاطمئنان إلى رحلته ، ويقتاد خبرته في ريادته التي قام بها إلى برقة وزويلة ، ويدخلها وكله ثقة في ما أوصل إليه من المعلومات . فما هو هذا الشيء ؟

إنه الروح العسكرية التي تمثلت في شخصية عقبة منذ أن انضوى تحت لواء جيش المسلمين معلناً الجهاد في سبيل الله ، وفدايته التي عرف بها ، وجراته في خوض المعارك ، واستهانته بالموت في سبيل النصر ، وهي صفات تعجب القائد البصير ، وتجبره على إدانة النظر إلى هذا الفتى الناشئ الذي يتخطى المهالك ، ويقطع المسالك ، لا يسأل على ذلك أجراً سوى النصر . إلى مثل هذا يجلب القائد ، ويحدوه للاعتماد عليه ، والاستيثاق منه .

ولا جرم أن عقبة ذكي ، ولعله استخدم ذكائه هذا في لفت انتباه رئيسه ، لينال لديه حظوة أو ترقية . وقد حصل ، فنال شرف فتح شمال إفريقية كله . وحاز لقب « **قاهر الروم** » ، وخطا في سبيل الجهاد أطول ما يخطوه قائد عسكري في القرن الهجري الأول .

ولو اكتفى عمرو بقرابته لانكشف عقبة في رحلته الأولى . ولو فرضنا جدلاً أنه عينه لقرابته ، لما أرسل إلى عمر بن الخطاب يخبره أنه عين عقبة على فتح برقة وطرابلس وعقد له لواءها . ولولا معرفة عمر لمقدرة عقبة لما وافقه ، ولما عينه فيما بعد على إفريقية ، ولما أبقاه في ليبيا طيلة خلافته - وهو ليس قريباً له - ، ولما أبقاه عثمان - مع خلافه لعمرو - على إمارته ، وكذلك **علي بن أبي طالب** ، وأكثر من نصف خلافة



البلاد ، والطبقة الثانية - السكان الأصليون - دونهم وأقل منهم مكانة . فتوافدوا على عقبة بعد أن لوح لهم بالمساواة ، وبعد أن أفهمهم أن أفاضلهم من تعمقوا في الدين ، وجاهدوا في سبيله ليس غير . وقد علم عقبة البربر اللغة العربية ؛ لغة القرآن الكريم ، ليفهموا أمور دينهم بأنفسهم ، فأقبلوا عليها ، ودرسوها . ونرجح أن يكون عقبة وبعض صحبه تعلموا لغة أهل البلاد ، ليقتربوا من قلوبهم ، ويتفهموا حاجياتهم وطلباتهم . وهذا ما افتقر إليه البربر من الروم . إذ لم يعاشروهم ، ولم يؤاخوهم ، ولم يمتزجوا بهم . ولعل شخصية عقبة لها الدافع الأكبر في نجاح مهمته . كما أن لصفاته الحسنة وتواضعه الزائد أثراً في تيسير العبء الذي احتمله .

كما كان خطيباً ، فصيح القول ، جزل اللفاظ ، مؤثراً في مستمعيه . وكان أباً عطوفاً على جنوده ؛ يعظهم ويعلمهم . ولهذا أحبوه وتفانوا في خدمته ، وتسابقوا معه إلى تخطي الموت لكسب الحياة الأخرى بعد الاستشهاد . وكان عسكرياً بكل معنى الكلمة ، لم يعرف عنه غير الجهاد ، ولم يشغله شيء عن إعداد الجيوش ، ونشر الدين ، وتنظيم الإدارات العسكرية والمدنية . وكان في كل تحركاته حسن التكتيك ، لا يقدم على حملة إلا بعد أن يعد لها الإعداد المناسب ، ولا يتبهاً لغزوة إلا بعد تفكير طويل . وبعدئذ يهجم كالأسد .

ولكن هذا المجاهد الذي اتصف بهذه الصفات ، وتحلى بمكانة كبيرة من المسلمين ، و تهبه البيزنطيون ، وخافه المرتدون . ولكن هذا المجاهد استشهد في غفلة من غفلاته في الجزائر ( الحالية ) سنة ٦٣ هـ ، بعد أن أمضى ربع قرن تقريباً في جهاده . ولم ير بلاده طيلة هذه المدة إلا مرة واحدة حين عزل . حيث عاد إلى الشام مطالباً بعودته ، ليعيد كرتيه ، ويسير سيرته .

رحمه الله تعالى . . فقد كان من العباد المرابطين ، الذين يتعبدون الله في آناء الليل ، وبجاهدون في سبيله أطراف النهار . مات ، ولم يخلف ما كان يخلفه الأمراء والقواد من المال والأطيان . بل خلف اسماً جليلاً ، يحفظه له عرب شمال إفريقيا ، وأهل ليبيا بالذات ، وأولاداً ساروا مسيرة أبيهم في شمالي إفريقيا والأندلس .

#### الهوامش

- ١ - وقيل : ابن رافع . وابن الأثير يقول : والظاهر أنها اثنان : عقبة بن رافع ، وعقبة بن نافع .
- ٢ - روي عن نساب العرب : من جاوز فهراً فليس من قريش .
- ٣ - نخس : نخز .
- ٤ - يقال إن الذي نخزها بالرمح هو الهبار ، ونافع كان من جملة المعترضين . ( أنساب قريش : ٣٩٧/١ ) .
- ٥ - الإصابة : ٨١ / ٥ .
- ٦ - سير أعلام النبلاء : ٣٤٩ / ١ .
- ٧ - أسد الغابة : ٢٠ / ٣ .
- ٨ - أسد الغابة : ٢٠ / ٣ .



معاوية . . أي إلى أن اضطر معاوية إلى خلعه اضطراراً . ومع ذلك فإنه أوصى أن يحسن إليه ، وتخفف عنه وطأة عزله . كل هذا دليل على كفاءة عقبة ، وحسن اختيار عمرو له .

والحق أن الشهادة الأولى والأخيرة التي مكنت عقبة من أن يعين لهذا المنصب ، ما قدمه من بطولات فائقة ، وحركات عسكرية بارزة . أما لماذا لم يعينه قبل سنة ٢٠ هـ فلأسباب ، منها : أن عقبة كان صغير السن ، قليل الخبرة ، ولما كان في فلسطين لم يكن قد تجاوز عمره سبعة عشر عاماً ، وأن عمراً كان يهينه لمهمات بتوقعها القواد عادة . ويكني أن نقول في الختام إنه كان كثير الاعتماد عليه في مصر وفي ليبيا ، شديد الاطمئنان عليه في مسيرته .

#### صفاته ومقامه

نعم أهل سكان شمال إفريقيا بقدوم مجاهد صالح ، اتصف بالورع والشجاعة والحزم ، أحب العيش بين ظهرانيهم ، ووطد العزم على تقديم رسالة الإسلام خير تقديم . ولهذا فإننا نجد الإسلام في عهده قد أرسى قواعده في قلوب البربر . فأقبلوا على يديه يسلمون ، بل صار له منهم أنصار أعانوه في الجهاد ، ودلوه على مكامن الكفار في الجبال والوهاد . حذر شمال إفريقيا من نير البيزنطيين ، ومن فكرة التفرقة العنصرية التي كان يصر عليها الروم ، جاعلين أنفسهم الطبقة الأولى والنبيلة في



## قصيدة و قصة

# نقوس.. من فوارير

وهذه هي القصيدة :

واني لتعروني لذكراك رعدة  
ها بين جلدي والعظام ديب  
فأهو إلا أن أراها فجاءة  
فأهت حتى ما أكاد أجيب  
وقلت لعراف اليمامة داوني  
فإنك إن أبرأني لطيب  
فأبي من تحمي ولا مس جنة  
ولكن عمي الحميري كذوب

وعراف اليمامة هو رياح بن راشد أبو كحيلة كان عبداً لبني  
يشكر تزوج مولاه امرأة من بني الأعرج فساقه في مهرها ، ثم  
ادعى نسباً في بني الأعرج .



نشأ عروة بن حزام يتيماً في حجر عمه مالك من بني عذرة ،  
ونشأت معه بنت عمه عفراء وكلف بحبها كلفاً صار مضرب  
المثل ، وقد أخذ من عمه العهد بأن تكون من نصيبه ، وأخذ  
عمه منه العهد بأن يسعى في الأرض ويجمع مالا ؛ لأن أمها تريد  
ذا مال .

بيد أن عمه زوجها من ابن عم له نزل عليه من البلقاء يريد  
الحج فتزوجها ومضيا لغايتها .  
وكان عروة في غير بتبوك وقد رمق على بعد امرأة على جبل  
أحمر ، فقال :

والله لكانها شمائل عفراء؟! .  
فلما دنوا منه وتبين الأمر ببس في مكانه قائماً لا يتحرك ولا  
يجير كلاماً ولا يرجع جواباً . وقال قصيدته التي سنوردها .  
ويقال إنه عرض على حكاء العرب لعلاج من هزال وذهول  
أصابه ، وأنشد في ذلك قصيدة مطلعها :

جعلت لعراف اليمامة حكمة  
وعراف حَجَر إن هما شفياني

وزهقت روحه بعد القصيدة!  
قال عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب العالم المرح أبا السائب  
الغزومي :

والله ما أراه إلا شرق؟!  
قال أبو السائب : فم شرق؟  
قال : شرق بريقه!  
تري إنساناً يموت من الحب؟!  
فقال أبو السائب : سخت عيناك!!

وهذه القصة متداولة في كتب التراث ، وقد ساقها ابن  
الجوزي بأسانيد في كتابه « ذم الهوى » ص ٤٠٧-٤١٩ .



«بمناسبة مرور ٨٠ عاماً على ميلاده»



«في نهايتي  
بدايتي ،  
وفي فنائي  
حياتي !»

إرنست همنجواي

# إرنست همنجواي

(١٨٩٨ - ١٩٦١م)

## صوت من أصوات العصر!

بقلم: جلال العشري

ثم عاد واشترك في الحرب العالمية الثانية ، ففضى عامين محبوب البحار ، ويقوم بعمليات انتحارية تستهدف غواصات العدو ، حتى خرج من الحرب وقد أصيب رأسه ، بحيث لم يكد يوجد فيه موضع إلا وبه جرح ، أما في أوقات السلم ، فقد تعرض لثلاث حوادث سيارة خطيرة ، كما تعرض لحادثتي طيران في خلال يومين ، أصيب فيها بجروح في ركبته ، ورضوض في رأسه ، وهو يتذكر أنه قبل عيد ميلاده التاسع عشر بأسبوعين ، حدث انفجار أصيب فيه بجرح بالغ ، حتى كادت دراسته في كتاب الكون تنتهي قبل أن تبدأ !

يقول همنجواي عن نفسه : « وسيموت هذا الرجل ألف مئة قبل ميتته

نهاية متوقعة تلك التي انتهى إليها الكاتب الروائي إرنست همنجواي ، فليس بعيداً ولا مستبعداً على رجل قضى حياته يتعرض للموت وينجو منه ، أن يلقي مصرعه بيده ، ولو كان ذلك خطأ أو بمحض المصادفة .

فالمستعرض لحياة همنجواي ، يكاد يجد أن الأحداث المعلمة في حياته لم تكن أحداثاً أدبية فحسب ، بل كانت كذلك أحداثاً وجودية ، ترتبط بصميم وجوده ، وما عرض له من مهالك وتعرض له من أخطار . فقد اشترك في الحرب العالمية الأولى ضابطاً فخرياً في الصليب الأحمر ، ينقل الجرحى ويوزع الحلوى على الجنود ، حتى انتهت الحرب فعاد إلى بلاده يحمل حلتاه العسكرية ذات الثقوب ، ولا يكاد يوجد في جسده موضع إلا وبه إصابة .



الحقيقية ، ولن يشفى تماماً من جراحه ، ما دام همنجواي حياً يسجل مغامراته . . .

وكأنما أثر همنجواي أن يكون مصرعه بيده ، بعدما صارح الموت وتحداه !

### الكون في حالة طوارئ!

ولم تقتصر مشاهد الحرب ، وآلام الجرح ، ورؤى الموت على الحياة التي عاشها همنجواي ، بل امتدت إلى أدبه ، وأصبحت مناخاً طبيعياً في رواياته ، فالحياة حرب ، والبطل جريح ، والنهاية إن لم تكن الموت فلا أقل من أن تكون الأحلام التي تطوف بالنائم عندما يفكر في الموت . . . هكذا كان «نك آدمز» جريحاً في مجموعة قصصه «في عصرنا» ، كما كان «جاك بارنس» جريحاً في رواية «والشمس تشرق ثانية» ، وكان «فردريك هنري» كذلك في رواية «وداعاً للسلاح» ، و «روبرت جوردان» في رواية «لمن تدق الأجراس» ، و «سانت يعقوب» في رواية «العجوز والبحر» ، بل كل هؤلاء البطل كان جريحاً بالمعنيين . . . الحقيقي والمجازي ، لأن بطل همنجواي ، هو همنجواي نفسه !

وهكذا استطاع همنجواي الرجل أن يسطع على همنجواي البطل ، لينتج لنا همنجواي ذلك الأديب الكبير الذي عبر عن عصرنا بعمق واستطاع ، عندما تصور العالم على أنه ميدان قتال سواء بالمعنى الحقيقي للكلمة بما فيها من معارك وأسلحة وجيوش ، أو بالمعنى المجازي الذي يعني العنف والتوتر والصراع ، وعندما صور الناس في عصرنا كما لو كانوا في «حالة طوارئ» ، فأفكارهم لرجة ، وأخلاقهم نفعية ، ومتعمه لا ترتفع إلى ما فوق الحواس ، وما يقعون فيه من حب ، لا يستغرق أكثر من وقت الاجازة !

### ذلك الجيل الضائع!

والبطل في هذا العالم هو الذي يسير بمقتضى القانون الأخلاقي الذي يمثل فضائل الجندي في أيام الحرب ، وهي فضائل تتمثل في الشرف والتحمل والشجاعة ، وتتكشف في الصراع ، والصراع عند همنجواي يسير حسب قواعد الألعاب الرياضية ، ويصور بمنظر الصيد ومصارعة الثيران ، ويفضل همنجواي أن يصوره بمصارعة الثيران ، حيث يكون الأفق أوسع ، والرمز أدل ، وحياة البطل معرضة للموت ، إذا هو لم يعرف هذه القواعد من ناحية ، ولم يكن حسن التصرف من ناحية أخرى .

فالعالم عند همنجواي باطل ، ولكنه موجود ، والحياة معركة خاسرة ، ولكن على البطل أن يحسن التصرف عندما يشرف على الهلاك . وتلك كانت «المقولة الأدبية» التي اتخذها همنجواي ركيزة محورية تدور عليها أحداث قصصه ورواياته ، كما كانت استجابة واعية لدعوة الناقدة الأميركية الشهيرة جرتروود شتاين ، من أن الأدب يجب أن ينبع من التجربة المباشرة ، وأن يصفها في الحال ، وأن على الكاتب أن يرى ما يريد وصفه ، لا أن يصف ما يراه !

وجرتروود شتاين هي التي اطلقت على همنجواي ورفاقه ، ممن هجروا أوطانهم ليجرّعوا الحياة في باريس ، اسم «الجيل الضائع» وهو الجيل الذي كان يضم إلى جانب همنجواي كلاً من جون دوس باسوس ، ومالكولم كولي ، وأرشيبالد ماكليش ، وفورد مادوكس فورد ، وسكوت فيتز جيرالد ، فضلاً عن أرتا باوند ، وجيمس جويس ، وت. س. إليوت !

وكان ذلك في العشرينات من هذا القرن ، حيث كانت السمة المميزة لباريس في تلك الفترة بالذات ، أنها المدينة العالمية ، التي تحوي في داخلها كل الاتجاهات المتعارضة ، والتيارات المتناقضة ، سواء في الفنون أو في الآداب . وكان الأدباء والفنانون يهرعون إليها من كل مكان ، بل ويعيشون فيها حتى النخاع ، كي يتشربوا روح الفن المتعددة الظلال والألوان .

ولقد تركت هذه التجربة الباريسية بصماتها واضحة على فن همنجواي الروائي ، إذ نجد أن مضمون رواياته الرئيسية ، يدور حول الحياة بعيداً عن أميركا مسقط رأسه ، وكل أبطاله كانوا أميركيين في مواجهة تجارب وحضارات العالم القديم ، كما هو يمثل في أوروبا العتيقة ، وفي باريس . . مدينة النور .

وهذا معناه أن الاحساس بالمكان ، والاحساس بالحقيقة أمران لم يكن عنها غنى في فن همنجواي ، ولكن التوحيد بين المتباعدات ، وإيجاد التعاون بينها في الرسم بالكلمات ، لا يتم إلا من خلال الاحساس بالشهد ، ولقد كان همنجواي ، وهو يطوف في الأقطار ذات اللسان اللاتيني ، وشهد الجماهير من مائدة في مقهى ، إلى مقعد في مسرح ، ليذكرنا بالمراقب في قصيدة براوننج الشهيرة : «كيف يجدها الإنسان المعاصر؟»

إنه يتحسس نبضات قلب الكون . .

ويقف منه وجها لوجه غير هباب . .

وذاث يوم ، في عام ١٩٢٥م ، كتب ألفرد هاركرت إلى لويس برومفليد ، يقول : «إن أول رواية لهمنجواي ، قد تهر أرجاء البلاد» ولم تمض على هذه العبارة أكثر من سنة واحدة ، حتى صدقت الرؤيا ، وأفاق همنجواي صباح يوم من أيام الخريف بباريس ، ليرى أن الشمس أيضاً قد طلعت !

وأحدثت الرواية ما أحدثت من ضجة وضجيج ، ونالت ما نالت من تقدير النقاد والجمهور ، وعادت على همنجواي بما عادت عليه من الشهرة والنجاح ، وكأنما أعادت إلى الأذهان والأسماع ، عبارة الكاتب الروائي الشهير سكوت فيتز جيرالد ، التي قال فيها عن همنجواي : «في هذا أنبأكم نبا كاتب شاب اسمه إرنست همنجواي ، يعيش في باريس . . وهو ذو مستقبل لامع ، لن أذكر جهداً في البحث عنه ، فإنه الجوهر الذي انتفى عنه الزيف !» . أجل إنه الجيل الرائع ، وليس الجيل الضائع !

### الشعر والحقيقة!

حين كتب جوته ترجمة حياته سماها «الشعر والحقيقة» فلو أننا جعلنا الفكرة الأولى هي الثانية في هذا العنوان ، كما يقول الناقد الأميركي كارلوس بيكر ، لانطبق العنوان تماماً على حياة همنجواي !

والواقع أننا نجد همنجواي ، وقد أسلم ذاته منذ البداية ، للحقيقة ، أي لنقل الأشياء كما هي وكما كانت ، نقلاً دقيقاً يكاد يكون حرفياً ، وتحت السطح في كل آثاره ، يكن الشعر ، أي ذلك الطلاء الرمزي الذي يمنح رواياته عمقاً وحيوية ، ويكسبها الوهج والضيء !

وإذا كانت كتب تاريخ الأدب والنقد الأدبي ، قد درجت على وصف همنجواي بشيخ الطبيعيين ، فهذا وصف لا يبلغ نصف الحقيقة ، لأنه يغفل ما يقع تحت السطح الخارجي في قصصه ورواياته ، أما أن همنجواي يحقق برسائله الفنية أموراً يعجز عن تحقيقها أسلافه من الطبيعيين ، ومقلدوه من المحدثين ،



بعض الكتاب تلك الرموز من آداب سابقة، أما همنجواي فعادة ما يستمدّها من الطبيعة عن طريق الادراك الحالي للتجربة الإنسانية، في أجواء طبيعية! الواقع أن أفضل روايات همنجواي، هو ما استمد قوته وقدرته على البقاء من الربط بين الحقيقة الطبيعية، وبين الرموز الشعرية المستمدة من الطبيعة، وهذا الربط نفسه هو الذي جعلها «أصل» كتابة في ميدان الرواية في القرن العشرين!

والواقع كذلك، أنه من خلال التواضع المتبادل بين الحقيقة الطبيعية وبين الشعر الطبيعي، استطاع همنجواي أن يوهنا كما قال أحد النقاد «بأنه عثر على أدب لا علاقة له بالأدب، على أدب لم يفسده الأدب، ولم يثل منه شيئاً». أجل.. لقد قبض همنجواي على الواقعي بكلتا يديه، فوضع اليمنى على العقل، ووضع اليسرى على القلب!

### سحر الايحاء وليس الايحاء الساحر!

بعد التجربة والرمز، يجيء البعد الثالث في فن همنجواي الروائي، وهو الأسلوب، فيمثل الذروة التي انتهى إليها الكاتب، ولم يبلغها كاتب آخر زمانه أو عاصره، فأسلوب همنجواي يمتاز بالدقة والبساطة معاً، أو بالكثافة والاشراق في آن، ففيه من العفوية، في لغة الحديث، وفيه من العدوية، ترويض الجملة والمقدرة على تقوية العبارة، فوحدة الأسلوب عند همنجواي هي الجملة منفردة، لا الفقرة تجتمع فيها عدة جمل. والفنية هي أن يحمل الكاتب الجملة الواحدة عاطفة مؤثرة، ويجعلها تصل إلى ما تصل إليه لغة الفقرة، وبذلك استطاع همنجواي أن يفرق بين كتابة التقرير وبين كتابة الفن، وأن يكشف لغة الرواية!

ولقد أفاد همنجواي في قضية الأسلوب من آراء الكاتب الشهير جوزيف كونراد، حتى إن تعبيراته أعجبت فورد مادوكس فورد منذ البداية، فوصفها بأنها: «كالفطرات الندية المتدفقة من جدول رقرق!»، ذلك لأن همنجواي قد توصل إليها بالتجربة الكثيرة في انتقاء الألفاظ. وهذا معناه عملياً، نفي الكلمات والتعابير الزائفة، فهو يكتب متأنياً، ويراجع متنبئاً، فيستر ويحذف، ويعدل ويعدل، ويقدم ويؤخر، لكي يرى ما تستطيع الجملة أن تؤدبه، على أوجز صورة ثم ينفي منها كل ما يمكن أن تستغني عنه العبارة! والواقع أن فنناً كهذا، لا بد وأن يتفق مع كاتب مثل كونراد، إذ يقول هذا الأخير: «إن العناية الجاهدة الدائبة التي لا تعرف تهاوؤاً، العناية بشكل الجمل وجرسها، هي التي تسكب سحر الايحاء على الكلمات المألوفة، الكلمات العتيقة البالية، التي مسخ روادها سوء الاستعمال!».

والايحاء الساحر، تعبير لا تجده أبداً في كل ما كتبه همنجواي، ولكن سحر الايحاء متوافر في كل ألفاظه حتى العتيقة المتقادمة، وقد يكون ظاهر هذه الألفاظ مبتذلاً، ولكن باطنها حافل بالايحاء الذي لا يستطيع أن يشبه فيها إلا فنان أصيل، وهذا ما عبر عنه همنجواي بقوله: «إن مهمتي أن أجعلكم -بقوة الكلمة المكتوبة- تسمعون وتحسون، بل قبل كل شيء أجعلكم تبصرون... ذلك هو... ولا شيء سواه، وذلك هو كل شيء!».

لهذا لم يكن عبثاً، بل كان من الطبيعي أن يذهب كثير من النقاد إلى أن أسلوب همنجواي الثري هو السبب الحقيقي لانتشاره وخلوده، وعندما منح جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٤م، نص قرار هيئة التحكيم على... تمكنه من ابداع أسلوب متميز في فن الكلمة الحديثة!

فذلك شيء لا يخفى عن الأبصار، ولكن علينا أن نتذكر دائماً أن السر في تفرد هذا، هو تيار الشعر الذي يتغلغل في كل آثاره، ابتداء من روايته «والشمس تشرق ثانية» وانتهاء بروايته «العجوز والبحر»!

ومما يلخص رأي همنجواي المبكر، الذي ظل يلتزمه بجانب واحد من وعيه الفني لا بجوانبه كلها، قول الفيلسوف ألبرت شفيترز في فلسفة جوته الطبيعية: «لا معرفة صحيحة إلا المعرفة التي لا تزيد شيئاً إلى الطبيعة، سواء عن طريق الفكر أو عن طريق الخيال، وهي المعرفة التي لا تعترف بصحة شيء سوى ما جاء عن طريق بحث بريء من التميز، خال من التسليم، وعن عزم وثيق خالص للعثور على الحقيقة، وعن تأمل يتغلغل في قلب الطبيعة».

وما قاله الفيلسوف شفيترز إنما يلخص موقف همنجواي فنياً وأخلاقياً، ولا يحتاج إلى شيء من التعديل إلا بأن نضيف إليه كما يقول كارلوس بيكر «الطبيعة الانسانية» ذلك لأن همنجواي قلما عني بالكون غير الإنساني، إلا بمقدار ما يعينه على توسيع فهمه في مجال العقل الإنساني نفسه، أما التأمل الذي يتغلغل في قلب الطبيعة فإنه ينتهي لديه بتأمل يتغلغل في قلب الإنسان!

### الفن أصدق من الواقع!

وهذا معناه أن ثمة عاملين يكفلان قوة البقاء لفن همنجواي، أحدهما استجماع فنه للحقيقة، والثاني استثمار الشعر وتوظيفه، وليس الثاني بأقل شأنًا من الأول فكلاهما كجناحي الطائر، لا بد له منهما معاً لكي يقوى على الطيران!

وقد نقول في تعريف هذا الشعر إنه سيطرة الفنان على العلاقة بين الزمني والخالد، أو بين الزمن والخلود، وهو يعبر عن هذه السيطرة باستخدام الرموز التخيلية، وأكثر هذه الرموز مستمد عن طريق خياله من العالم المادي المنظور، كالجبال والسهول والأنهار والأشجار والجو والفصول والبر والبحر، وقد منح همنجواي هذه الصور الطبيعية قوة عاطفية شعورية بفضل طريقة تمثله لها، فهو يعلم مثل الشاعر الشهير وردزورث، أن الأشياء «الطبيعية لا تستمد تأثيرها من خصائص ذاتية فيها، من ذواتها على الحقيقة، وإنما من صفات تسبغها عليها عقول الذين يقفون على جوهر تلك الأشياء أو يتأثرون بها، وإذن فالشعر ينبثق، من حيث يجب أن ينبثق، من نفس الانسان وهي توصل طاقاتها الابداعية إلى صور العالم الخارجي».

على أن همنجواي حرص في ذات الوقت، على أن ينقل الأشياء الطبيعية كما هي في ذاتها بدقة وأمانة، وبإخلاص وشرف، ومن امتزاجها بالعاطفة والخيال، جاءت تلك المظاهر الطبيعية رموزاً في فنه، فلم يقلل حظها من الواقعية بل زاد، لأنه منحها من القيم ضعفين أو ثلاثة أضعاف!

ولقد عبر همنجواي عن هذا بقوله: «إن مقياس التزام الكاتب بالصدق، يجب أن يكون عالياً إلى حد أن ينتج ابتكاره الناشئ عن تجربته شيئاً أصدق من كل ما هو واقعي!».

وقد نقول كما قال كارلوس بيكر، إن الابتكار في هذا المقام يعني ذلك الشكل من المنطق الرمزي الذي يوازي المنطق العقلي عند الفلاسفة، خاصة وأن همنجواي يدرك تمام الادراك أن العلاقة بين الزمن والخلود لا يستطيع التعبير عنها بمصطلح عقلي، وإنما يمكن ذلك بمصطلح رمزي. وقد يستمد



وهكذا كانت هذه الأبعاد الثلاثة .. التجربة والرمز والأسلوب ، هي المقومات الأساسية في فن همنجواي ، ذلك الفن الذي ارتفع بصاحبه إلى مكانة سكوت فيتز جيرالد في أميركا ، وجيمس جويس في إنجلترا ، ومارسيل بروست في فرنسا ، وفرانز كافكا في تشيكوسلوفاكيا ، والذي جعل منه أحد صناع الرواية الحديثة لا في بلاده فحسب ، بل وفي العالم كله !

### رحلة في ضمير الحياة !

على أننا لن نستطيع تقييم فن همنجواي الروائي ، على نحو متكامل ، ما لم نتصل به في منابعه الأولى ، ونغني معه حتى مصبه الأخير ، فإذا كان هيرمان ملشيل يعد البحر جامعته التي تخرج فيها ، وكان وليم فوكنر يعد الجنوب الأميركي جامعته التي تخرج فيها هو الآخر ، فإن الجامعة التي تخرج فيها همنجواي ، ونال إجازته إلى دنيا الأدب ، هي القارة الأوروبية ، وكانت الموضوعات التي درسها في تلك الجامعة غير الأدب والفن ، هي اللغات والناس والسياسة ومؤتمرات السلام والحرب ، وآخر هذه الموضوعات أولها في الترتيب الحقيقي لهذه القائمة !

وهذا معناه أن المنتج لتطور همنجواي الأدبي ، الذي كان انعكاساً لتطوره الحياتي أو الوجودي ، يستطيع أن يميز فيه مراحل ثلاث : المرحلة الانفرادية ، والمرحلة الاجتماعية ، والمرحلة الإنسانية !

أما المرحلة الأولى ، فنصورها رواياته : « في عصرنا » ١٩٢٥ م ، و « الشمس تشرق ثانية » ١٩٢٦ م ، و « وداعاً للسلاح » ١٩٢٩ م . وكلها تدور حول الحرب ، ثم الاغتراب ، ثم الانسلاخ عن المجتمع ، أما نقطة الانطلاق فنجدتها في إحدى قصص مجموعته القصصية « في عصرنا » حيث يصف مشهداً من مشاهد الهجرة بسبب الحرب ، وبين المهاجرين طبيب اسمه نك آدمز ، وفي الطريق يضطر الطبيب إلى إجراء عملية جراحية لامرأة تتعسر في الولادة ، ولا يحتفل الزوج سماع صراخ زوجته ، فيقدم على الموت ، بينما وليده يخرج إلى الحياة ، وتلك كانت أولى المشاهد المؤثرة في حياة نك آدمز ، رجل يموت في ظروف قاسية ، وطفل يولد في ظروف أشد قسوة !

ومن هنا بدأ همنجواي يحس بشاعة الحرب ، ويسخر من أسطورة السلام ، ويشدد هذا الاحساس ويقوى ، حتى يتخذ صورة الفرار والاعتراق في رواية « الشمس تشرق ثانية » حيث تدور أحداثها بين أبناء الجيل الذي عرف باسم « الجيل الضائع » وهو الجيل الذي بدأ حياته العملية في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، التي أتت على كل القيم والمبادئ التي عاش على نورها جيل ما قبل الحرب .

ويظل الرواية أميركي يدعى « جاك بارنسي » يفر بعد انتهاء الحرب ، ويلتحق بجماعة المغتربين في باريس ، وهم أفراد ضائعون يفرون من الهزيمة المعنوية بالأكل والشرب وصيد السمك ، ومشاهدة مصارعة الثيران ، فالبطل منفصل عن أصوله وجذوره ، ومن خلال عمله مراسلاً حربياً يصاب بجرح عميق ، يكون من نتيجته أن يصاب بالعقم ، ويصبح غير قادر على الإنجاب .

أما بطل الرواية « برت » فهي فتاة إنجليزية ، مقبلة على كل مباحث الحياة ، وكانت حيوتها المتدفقة بمثابة المحور الذي تدور من حوله الأحداث الرئيسية في الرواية ، وخاصة مع جاك رغم اليأس المطلق من إيجاد علاقة حقيقية كاملة معه ، وتظل العلاقة تتطور بين جاك وبرت حتى تصل قمتها في

إسبانيا ، في أثناء مشاهدة مصارعة الثيران ، وكانت هذه بمثابة البداية الأولى لغرام همنجواي بجملة المصارعة ، المهم أننا نشاهد كافة الأبطال منفصلين ومغتربين ، بلا هدف ولا اتجاه ، فالبطل كذلك .. وكذلك البطلة .. وبالمثل كافة الأبطال ، أما الأحداث فهي تدور في حلقة مفرغة ، كأنما الشمس تشرق ، لتعود ثانية إلى المكان الذي أشرقت منه ، ثم تشرق من جديد !

أما رواية « وداعاً للسلاح » فإليها تنتهي هذه المرحلة ، وعندها تصل معالجة موضوع الحرب إلى ذروتها الأخيرة ، فإذا كانت الرواية الأولى « في عصرنا » قد وصفت الحرب في ذاتها ، ووصفتها الرواية الثانية « الشمس تشرق ثانية » في آثارها ، فإن هذه الرواية الثالثة والأخيرة ، في أولى مراحل تطور فن همنجواي ، إنما تحاول أن تفسر الحرب بردها إلى عناصرها الأولى . وتدور أحداث الرواية حول مرافقة البطل الأميركي الملازم « فردريك هنري » للقوات الإيطالية المحاربة ، ثم إصابته بجرح خطير في ركبته ، وإرساله إلى ميلانو للعلاج . حيث يقع في حب ممرضة إنجليزية شابة تدعى « كاترين باركلي » ، ويضطر إلى العودة إلى جبهة القتال ، وعندما يتقهقر الجيش من كابورتو يحس بشاعة الحرب ، ومرارة الانسحاب ، وازدراء قيمة الإنسان ، فيعلن المثل الزائفة التي ادعتها الحرب ، ويلقي بنفسه في النهر ، ويهرب عساه أن يجد في الحب ، ما يسوغ تخليه عن الحرب ، ويهرب إلى سويسرا مع الممرضة ، وكانت حينذاك حاملاً منه ، وتقوم بعملية الوضع ، ولكنها تموت في أثناء الولادة ، وإذا به يجد نفسه فجأة وحيداً لا يملك شيئاً ، وقد تراءت له الحياة صراعاً ، الفائز لا يكسب فيه شيئاً ، والبطل هنا ليس تعبيراً عن محنة الغائب في عزلة فحسب ، بل هو أيضاً رمز للإنسان الحديث ، في مأساته ، فبطل همنجواي لم يتحرر ، ولكنه عرف كيف يواجه الموت !

### ثم تأتي المرحلة الاجتماعية !

أما المرحلة الثانية في تطور فن همنجواي ، فتبدأ برواية « أن تملك أو لا تملك » ١٩٢٧ م . وتنتهي برواية « لمن تدق الأجراس » ١٩٤٠ م ، مروراً برواية « الموت عند الظهيرة » ١٩٣٢ م ، وثلاثتها تعبر عن المرحلة الاجتماعية في حياة همنجواي ، بعدما أحس أن بطله بمعزل عن المجتمع ، قد تشرد وتعذب ، ولم يعد أصيلاً ، وأن عليه إما أن يجد لبقائه بذوراً جديدة ، أو أن يعيد تقييم جذورهم من جديد !

ولكن ، ما معنى أن يجد البطل عند همنجواي الأسباب التي تصل وجوده بالماضي ؟ ، معناه أن يشق لنفسه طريقاً مستقلاً إلى حد كبير ، عن طريق أي رجل آخر ، وهذا يلائم من إحدى الزوايا حقائق العصر الذي نعيش فيه ونحياه ، ذلك أن أي إنسان معاصر لا يستطيع أن يستكنه حكمة شعبية موروثه كالأمثال مثلاً ، إلا إذا مارس تجربة تثبت له صدق هذه الحكمة ، غير أن الكشف المستقل من ناحية أخرى ، إنما هو مجافاة مختارة لقسم كبير ممن تريد أن نعرفه ونتعرف عليه ، ولعل من الانصاف أن نقول إن أبطال همنجواي يعادون الفكر ، وأنهم فوضويون ، إلى حد أن كلاً منهم يريد أن ينشئ لنفسه قانوناً خاصاً دون أن يتعرف على حصيلة التجارب التي مر بها غيره ، غير أن هذا وإن كان يصدق في حدود ، على أكثر الناس ، فإنه يصدق بنوع خاص على أبطال همنجواي ، ومن ثم فإن أبطاله إنما هم أبطال من مناخ هذا العصر !





يعتبرها الكثيرون نوعاً من الهمجية والوحشية والبربرية ، ولكن همنجواي يصفها بانفعال ، بل وبحب ، لدرجة أن كثيراً من النقاد اعتبروا مصارعة الثيران بمثابة المضمون الذي يجيد همنجواي الكتابة عنه بعد مضمون الحرب !

ومن المميزات الواضحة في « الموت عند الظهيرة » وتلك ميزة دائماً في الفنان والأثر الفني ، ابتعاده عن التجريد الخاوي ، ذلك لأن البطلين اللذين اختارهما همنجواي ، وهما « غويا » في مرسومه و « مايرا » على السرميل الملسطخ بالدم ، هما من هوة الواقعي ، يؤمنان بما يعرفانه بالتجربة ، ويعرفان كيف يواجهان حقائق الحياة ، ومن بينها حقيقة الموت ، وهما على وعي كامل بما بين تلك الحقائق من تواشج نفسي وترباط عاطفي .

ولقد وردت أولى اشارات همنجواي إلى صفات البطل في رواية « الموت عند الظهيرة » ، عندما قال : هناك بطلان يعجباني ، أحدهما البطل في ثوب الرجل العملي ، والآخر البطل في مسلك الفنان ، ومن خصائصهما معاً يتكون البطل الذي أوثره !

وخير من يمثل النوع الأول المصارع مانويل غرسيه ، الذي يسميه همنجواي « مايرا » وخير من يمثل الثاني الفنان الإسباني « غويا » ! وكان همنجواي بحق ، يعتقد أنه سينال في حلقات مصارعة الثيران ، شعوراً بالحياة والموت . فأخذ يتردد عليها لهذه الغاية ، غير أن رواية « الموت عند الظهيرة » يدل على ما حدث له ، حين وجد طريقه إلى المبادئ المالية والأخلاقية التي تسيطر على تلك المأساة ، مأساة مصارعي الثيران !

وقد كان هذا كله ، عاملاً هاماً في تطوره الفني ، الذي ظهر في رواية « لمن تدق الأجراس ؟ » كما كان عاملاً هاماً من العوامل التي جعلت من « الموت عند الظهيرة » أول عمل أدبي يمجّد العنف ، كجانب من جوانب النفس البشرية ، لا يمكن تجاهله ، فالإنسان الناضج لا يهرب من مواجهة العنف ، بل ويحيله إلى طاقة إبداعية تثير النشوة والانطلاق !

### ما قبل المرحلة الأخيرة !

وقبل أن تنتقل من المرحلة الثانية والوسطى إلى المرحلة الثالثة والأخيرة ، تصادفنا على قارة الطريق رواية « ثلوج كلمنجارو » القصيرة ، التي تعد بمثابة همزة وصل ما بين المرحلتين ، فإذا كان الموت يمثل تنويعاً متوازياً على الحرب في رواية « لمن تدق الأجراس ؟ » فإنه يتحول إلى خط دراسي رئيسي في رواية « ثلوج كلمنجارو » التي تعد من أروع الروايات القصيرة التي كتبها همنجواي .

والواقع أن هناك ثلاثة مبادئ تلتقي بنسب مختلفة في فلسفة البطل عند همنجواي وهي : العقلانية والذرائعية والتجريبية ، وقد نضيف إليها مبدأ اللذة السيكلوجية ، ذلك لأن القواعد عند همنجواي أوسع وأعقد من هذا بكثير .

وانطلاقاً من فوق هذه القاعدة النقدية ، نتناول رواياته الثلاث ، التي تشكل المرحلة الثانية من مراحل تطوره الفني ، أما رواية « أن تملك وألا تملك » فتمثل إنساناً بليد الاحساس ، طريد القانون ، يحيا على عمليات التهريب ، حتى تنشب معركة بينه وبين رجال الشرطة ، يقتل فيها ، ولكنه يتعلم وهو على فراش الموت ، « أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحيداً ! » .

والواقع أن همنجواي بعد انفصاله عن المرحلة الأولى ، عاد فعلاً إلى المجتمع بعد نشر هذه الرواية ، واشترك في الحرب الإسبانية إلى جانب قوات الحكومة ، وخرج من الحرب وقد تجسدت في فكره عبارة جون دون : « ليس الإنسان جزيرة قائمة بذاتها » تلك العبارة التي وضعها على مطلع روايته « لمن تدق الأجراس ؟ » ، وبطل هذه الرواية هو « رورست جوردان » الذي يشترك في الحرب الأهلية الإسبانية ، يتعهد إليه بنفس جسر لكي يساعد على تقدم الجيش ، ويقضي ثلاثة أيام بكهف في بطن الجبل ، وأخيراً ينجح في نصف الجسر ، ولكنه يجرّح في أثناء انسحابه ، ويترك لكي يواجه الموت . وتنتهي الرواية على مدرك فلسفي واحد ، هو « أن الحياة تستحق أن نحياها ، وأن هناك قضايا جديرة بأن نموت من أجلها ! » .

ويتضح من هذا كله ، أن الحرب كانت الركيزة المحورية التي شغلت فكر همنجواي ، وأنه إذا كان قد جسدها كصراع لا معنى له في رواية « وداعاً للسلاح » فإنه يحاول في رواية « لمن تدق الأجراس ؟ » تأكيد التضامن البشري في مواجهتها باعتبارها محنة عاتية تهدد الجنس البشري .

وكان هدفه الفني من وراء هذا كله ، كما أوضحه في رواية « الموت عند الظهيرة » أن يساعد الإنسان على معرفة إحساسه الحقيقي تجاه ما حدث بالفعل ، أي تحليل العلاقة العضوية بين الإحساس والحدث ، لأن قيمة أي حدث في الوجود ، إنما تكمن في الأثر الذي يمارسه على أحاسيس الإنسان ، التي لا تتحرك ولا تتفاعل إلا من خلال الأحداث !

ولقد اتضح إلحاح فكرة الموت على وجدان همنجواي ، في رواية « الموت عند الظهيرة » وهي الرواية التي كتبها في عام ١٩٣٢ م ، لدراسة لمصارعة الثيران في إسبانيا ، وفيها قدم همنجواي تحليلاً باهراً لعروض المصارعة ، التي





عائداً إلى الشاطئ، ويذهب إلى الكوخ لينام ويحلم بأيام أخرى! تلك هي رواية «العجوز والبحر» رواية قد تبدو بسيطة إذا نظرنا إليها من حيث خطوطها الكبرى، ولكنها في الواقع تصوير عميق للحياة على أنها صراع ضد قوى الطبيعة، ولكنه صراع يمكننا أن نحزر فيه نوعاً من النصر، فعلى الرغم من التعب الجسدي الذي وصل بالصياد إلى درجة الإعياء، وبالرغم من التعب النفسي الذي وصل به إلى درجة الإذلال، إلا أنه انتصر، وكان انتصاره المعنوي إيماناً بأن ما فعله لم يكن عبثاً ولم يضع سدي.

والرواية من هذه الناحية يمكن أن ينظر إليها على أنها تراجيديا حديثة، تمثل صراع الإنسان بإزاء القوى الطبيعية، وإحارزه نوعاً من النصر، ومن ناحية أخرى يمكن أن ينظر إليها على أنها شبيهة بالتراجيديا اليونانية، عندما يسقط البطل، ويكون قد حقق نوعاً من العظمة!

وبهذه الرواية يكون الدور الأدبي الذي قام به همنجواي، قد انتهى، ويكون قد أدى دوره خير أداء، وإن همنجواي نفسه ليعلم انتهاء دوره الأدبي بعد إصداره هذه الرواية، إذ يقول: «لقد حصلت أخيراً على ما كنت أعمل من أجله طوال حياتي!».

أما قول همنجواي: «في نهايتي بدايتي، وفي فنائي حياتي!»، فليس أبلغ منه ولا أدل على أن الرجل كان عظيماً في حياته، وسيظل كذلك بعد موته، فهمنجواي هو الأديب الذي استطاع أن يعبر عن ضمير العصر المعاصر، وهو الرجل الحقيقي المملوء بالدم والحياة والدموع. وأخيراً قتلته رصاصة طائشة، وهو الكاتب الذي طالما واجه الموت!

### ضمير العصر!

أجل، إنه إذا كانت مسؤولية الفنان الاجتماعية هي تقديم حقيقة التجربة الإنسانية، فلم يكن بين الكتاب المعاصرين من هو أكثر اضطلاعاً بالمسؤولية من همنجواي، سواء لفنه، أو للأساس القوي من المعتقد الأخلاقي والجمالي، الذي يقوم عليه هذا الفن.

ولقد كان همنجواي بحق الإنسان المسؤول أمام من؟ أمام ضميره، وكان كذلك الكاتب المسؤول أمام من؟ أمام عصره!

وكان على حد تعبير الشاعر الإيرلندي ييتس، الإنسان والفنان الذي عرف كيف يجمع بين الحقيقة والعدالة في رؤية واحدة.

فها هنا الحقيقة وها هنا العدالة، وها هنا يقف في وسطها جامعاً بينهما في تجربة حسية وحياة واحدة.. إرنست همنجواي.

فهو تدور حول كاتب أميركي شئت مواهبه النفسية وقدراته الإبداعية في مجالات غير مناسبة، حتى كانت نهايته في أحراش إفريقيا السوداء، حيث يسعى إليه الموت في ثوب مرض الفهرغرينا الذي أصابه، وراح يتأمله وهو يدب في أوصاله، ينخر في عظامه، ويسري في خلاياه، يقول همنجواي في وصف بطله:

«لقد سيطرت فكرة الموت على كل وجدانه، إذ أحس بصيرير العدم يسري في أوصاله، تدفق الموت عليه كموجة مياه عالية، أو كتيار هواء جارف، ولكن كفراغ هائل ومفاجئ، له رائحة خبيثة ودفينة، وعلى حافة الفراغ رأى ذلك الحيوان الخبيث المشهور برائحته النتنة، وهو ينطلق محيطاً بدائرة العدم!».

ومع هذا كله، تظل فكرة الصراع ماثلة أمام عيني بطل همنجواي، فهو لا يستسلم للموت تماماً، ولكنه يظل يصارع حتى الرمق الأخير. وهذا معناه في نظر همنجواي، أننا لا يمكننا أن نتخيل هذا العالم بدون فكرة الصراع، لأن الحياة بدون هذه الفكرة هي الموت بعينه، ومن هنا كانت حياة أبطال همنجواي في صميمها مقاومة للعدم، ومن هنا تبتدت الحتمية المنطقية للصراع الدرامي الذي أقام عليه أعماله!

### وأخيراً.. نجحت المرحلة الأخيرة!

أما المرحلة الثالثة والأخيرة، التي تمثل الطور الإنساني في تطور همنجواي، فتعبر عنها روايته الخالدة «العجوز والبحر» وهي الرواية التي فازت بجائزة بوليتزر الأميركية عام ١٩٥٢ م، وأدت إلى فوز صاحبها بجائزة نوبل بعد ذلك بعامين! والتي قال عنها ت. س. إليوت، إنها تكشف عن طاقات جديدة لإرنست همنجواي!

وتحدثت هذه الرواية عن صياد عجوز اسمه «سانت يعقوب» قضى أربعة وثمانين يوماً دون أن يصطاد شيئاً، فقرّر أن يدخل إلى تيار الخليج ليصطاد، وفي ظهر اليوم الأول علقت بسنارته سمكة ضخمة، ولدة يومين يظل العجوز قابضاً على حبل سنارته، والسمكة تجره بعيداً إلى داخل البحر، وفي اليوم الثالث استطاع أن يقتل السمكة بجربته، وأن يجرها إلى سطح القارب.

وفي طريق عودته أحست كلاب البحر بالسمكة ورائحة الدم، فأخذت تنقض عليها، وما إن عاد الصياد إلى المرفأ، حتى كانت الكلاب قد أنت على السمكة بحيث لم يعد يبقى منها سوى هيكلها العظمي، فيجره الصياد العجوز



# هوامش على مصنفا الرواية السورية



بقلم: وليد اخلاصي

## البداية

يبدو أن أول من كتب رواية فنية، قد توقف عن الكتابة لأسباب نجهلها. فالدكتور شكيب الجابري (١٩١٢م - ) منذ روايته الأولى «نهم» التي نشرت في العام ١٩٣٧م، وانتهاء بروايته الرابعة «وداعا يا أفاميا» المنشورة في العام ١٩٦١م، كان قد قام بتأسيس فن روائي قد لا يكون أثر بشكل فعال على من جاء بعده من كتّاب الرواية، إلا أنه وضع اللبنة الأولى في جسد الرواية السورية (نشر الجابري «قدر يلهو» في العام ١٩٣٩م، و«قوس قزح» في العام ١٩٤٦م).

رومانسية متألفة في اللغة وفي بناء الأحداث. تلك هي البداية والنهاية عند شكيب الجابري الذي تعلم في الغرب (دكتوراه في العلوم)، وتأثر به وأسقط على شخص رواياته الغربيين في معظمهم أحلامه وتطلعاته وإعجابه. إن شكيب الجابري الذي كان يمثل طليعة البورجوازية المتحضرة، حاول أن يكون بشكل ما جسراً بين الثقافتين العربية والإسلامية من جهة والغربية من جهة أخرى. وقد تجلّى طموحه الفني عبر الرواية التي كانت صنعة غربية شبه صرفة يخاطبها إحساس محلي يتجلى في الحفاظ على تراث اللغة، إلا أن طموحه الشخصي في تجسيد ذاته المتألفة وشخصيته الناجحة من خلال أعماله الروائية، كان طاغياً على البناء الغربي للرواية.

عصر التحرر الوطني الذي عاشه الجابري آنذاك، كان يبحث عن الشخصية المحلية، ولكن الرواية لم تكن ضمن أحلامه للتعبير عن تلك الشخصية، فالشعر هو الشكل الثقافي الذي كان المعول عليه في إحياء الشخصية الوطنية وفي تجسيد التراث الفني. ولقد عاصر نشوء الرواية على يد الجابري تألق الشعر على أيدي شعراء كبار من أمثال

طفل الرواية السورية ما زال يحبو، رغم شيخوخة مبكرة أصابت بعض ممثلها الذين تحاول أجهزة النقد والإعلام سد ثغرة النقص في تكوين الثقافة الإبداعية المعاصرة بهم وبأعمالهم المتفرقة والمتباينة في جودة تركيبها وموقفها الفني. وإذا كان الطفل قد أصابت بعضاً من أعضائه قروح النمو المعتاد، فإنه بمجمل تكوينه ما زال يتمتع ببراءة هي أقرب إلى براءة الفن المستحدث منها إلى سذاجة الخلق العشوائي.

إن لقب «الروائي السوري» هدف يجذب أحلام العديد من الكتّاب البكر أو الذين أعطوا نتاجات مختلفة من قصة وشعر ومسرحية. هذا اللقب يوظف في الذاكرة كل ما يتعلق بعظمة روائيين كبار مثل «دوستويفسكي» و«بلزاك» و«ديكنز» ومن المعاصرين «هنغواي» و«لورنس داريل» و«نجيب محفوظ» ولأن الرواية فن شعبي على النطاق العالمي، ومحترماً عدد هائل من القراء يدفع الثمن المطلوب، متفوقين بذلك وبأشواط كبيرة على قراء القصة القصيرة والشعر. ولأن فنوناً تكنولوجية معاصرة كالسينما والتلفزيون تقبل على الرواية بغية تحويلها إلى صور متحركة تسحر المشاهدين. ولأن الرواية بناء فني يشبه المجتمع أكثر مما تشبهه الأجناس الأدبية الأخرى، فإن التهاافت على لقب «الروائي» والمحاولة في دخول عالم الرواية حلم مشروع في حين ومبتذل في حين آخر.

طفل الرواية هذا ينمو، وهذا يعني بالضرورة أنه سيشب عن الطوق ذات يوم ويصبح كائنًا ثقافياً يلعب دوره الحضاري في الحياة القائمة. فها هي الآفاق التي يمكن لها أن تمتد أمام واقع الرواية السورية كي تأخذ الحجم اللائق بمكانتها، ثم ما هي المعطيات المتوفرة التي تستند إليها الرواية في وضعها الراهن؟

\* \* \*



عن الثلاثين كاتباً لم يتخصص إلا قلة منهم في الكتابة الروائية .  
**\* سؤال :** أليس هذا بإنتاج روائي مقل لثقافة عربية سائدة ضربت بجذورها في جسد ثقافة عريقة كانت قد صنعت من الحدث أمثلة لا يمكن لها أن تنسى؟

● **جواب :** ليس في علمنا أن الثقافة تقاس بعدد الروايات التي تنتجها ، ولكن ما دام الأمر كذلك ، فلنعترف بأن الرقم المفترض أن الرواية قد وصلت إليه وهو سبعون رواية ، لا يمكن أن نعول عليه وذلك لسبب الاختلاف على قيمة الرواية نفسها والحكم على انتائها الشرعي للفن الروائي .

**\* سؤال :** وكيف لنا أن نحكم على انتهاء الرواية السورية إلى الفن الروائي؟

● **جواب :** إن القياس هو الأساس حتى هذه اللحظات الراهنة ، القياس بالأعمال الروائية الغالية يشكل المعيار الهام في التعرف إلى روائية الرواية . والاحالة إلى الرواية العالمية سلاح ذو حدين يمكن بواسطته الاشارة بالعمل المحلي أو به يتم بنحس حقه . وهو سلاح إن دل على شيء فإنما يدل على افتقار إلى أدوات نقدية مستنبطة من واقع الرواية الحالي ، وفي كل الأحوال فإن السؤال الوارد هو : هل نجح النقد أو التذوق العام في الوصول إلى تقويم سليم للحركة الروائية ، وكذلك هل استطاع أن يستخدم الأدوات الطبيعية في عمل النقد أو التذوق؟

\* \* \*

### دور النقد

ارتباط ظاهرة الفن بالبناء الاجتماعي وحركته ، تسمح لنا باستخدام استقصاء اجتماعي طريف قد يؤدي بنا إلى التعرف على الأدوات التي يكون بها سبر الفن أو الرواية بخاصة ، والاستقصاء هذا مبني على سؤال عدد من الآباء بعد استقباهم لنبا ولادة طفل جديد لهم ، وكيف يتعرفون على ذاك القادم وبأية وسيلة يصلون إلى ذلك النوع من المعرفة . ولقد وجدت شخصياً أن الآباء أول ما يقومون بواحد من العملين التاليين :

● **الأول :** ويكون بالتعرف على جنس الطفل المولود ، أهو أنثى أم ذكر ، ويظني أن مثل هذا القلق الذي ينتاب مجتمعات الذكورة السائدة أمر شرعي له ما يبرره في استمرار النسب والوجود العائلي والحاجة إلى اليد العاملة ، وفي أسباب نفسية واجتماعية أخرى لا يتسع المقام لاستعراضها كلها .

● **الثاني :** ويكون في تجاهل الأنوثة أو الذكورة في طبيعة الكائن المخلوق ، والإسراع في التعرف على سلامة ذلك القادم كتكوين إنساني بحثاً عن كماله . تعد أصابع الطفل مثلاً ، ويستوثق من تناسق أعضائه ، ويتم التأكيد من أن تشوهاً ما لم يصبه . ويهدف ذلك التعرف أساساً إلى تحقيق « الإنسانية الكاملة » في الطفل القادم إلى الحياة . إنه أسلوب التوق إلى الكمال الذي يقلق النفس البشرية أبداً .

إن مثل هذا الاستقصاء قد ينطبق بشكل ما على حركة النقد والتقويم المتخصصة أو العامة ، وقياساً على الطريقتين السابقتين في التعرف على الكائن المولود ، فإنه كثيراً ما تكون الطريقة الأولى هي السائدة والمعتمدة في صفوف



د. د. عبد اللطيف المجالي \*



\* فاضل الباعي \*



\* نجيب محفوظ \*



\* عمر أبو ريشة \*

بدوي الجبل وعمر أبو ريشة ، من الذين استطاعوا تهييج الأذان وجعل القلوب تنفث وتحن إلى ماض من الفخر والعز . حضارة سمعية تكاد تستيقظ من سباتها بفضل الشعر ، فلا تفسح مكاناً لائقاً تحتله رواية محدثة .

وإذا كانت الانتلجنسيا السورية قد أعجبت بالجابري كنموذج غربي يتكلم العربية بفصاحة ، إلا أنها كانت ما تزال تقرأ الرواية الغربية المتكاملة في لغاتها الأصلية . لذا فقد كانت مغامرة الجابري ضرباً من التطوير الحقيقي للثقافة الإبداعية السائدة وسط مجتمع كان حسه الروائي ما زال يتجه نحو الغرب بحماسة .

ولقد جاء جيل الكتاب في الخمسينات والستينات فالسبعينات متأثرين بشكل متناقض بأدب الجابري الروائي ، في الوقت الذي كانت فيه روايات الجابري فناً حقيقياً كاد أن يلوي عنق الرواية لصالح مسار محض شخصي ولكنه متفرد . ويقدر ما لاقت أعمال الجابري قديماً ترفاً في التعامل ، فلإنها الآن تلقى جحوداً في التقدم والدراسة والاهتمام بإعادة نشرها بعد أن فقدت نسخها تماماً وما عاد القارئ بقادر على تناولها في الوقت الذي يريد .

\* \* \*

### بضعة أسئلة وبضعة أجوبة :

**\* سؤال :** ما عدد الروايات السورية التي صدرت منذ بدايات الاستقلال أو منذ أوائل الأربعينات حتى يومنا هذا؟

● **جواب :** إذا قمنا كل ما هو مطبوع ويحمل اسم الرواية تحبياً أو عن حق ، فإننا لن نعثر على أكثر من مائة كتاب . وإذا ما تحرينا الدقة لوجدنا أن الأعمال الروائية لن تتجاوز السبعين بأي حال من الأحوال ، كتبها ما لا يزد





الصراعات المتواجدة داخل المجتمع القائم على أرضية من التخاذل والبحث عن الهوية .



### الرواية السورية .. والقارئ

منذ سنوات عديدة ورواية «الموسيقى الأعمى» للكاتب الروسي كورولينكو، مقررّة على طلاب الشهادة الإعدادية السورية ضمن مقرر اللغة العربية، يؤدون بها امتحاناً يتعلق بشخصها وأفكارها وأسلوبها، ولقد تساءلت طويلاً، وأنا أقرأ تلك الرائعة التي صاغها المرحوم الدكتور سامي الدروبي بلغة عربية جميلة، تساءلت عن السبب الذي وقف في وجه المسؤول في وزارة التربية لاختيار رواية سورية تقرر على الطلاب نموذجاً لإبداع أدباء المجتمع. قد يكون للمسؤول عذره، فهو إما قد أعجب بالنص المذكور لذاته فما عاد يرى غيره، أو أنه أراد باختياره نصاً روائياً أجنبياً أن يفتح النوافذ الصحية على الثقافة الإنسانية الشاملة، أو أنه لم يقتنع بعد برواية سورية واحدة تصلح نموذجاً للإبداع الأدبي، أو أنه قرر اختيار رواية سورية ولكنه وقع في حيرة عندما فكر بكتاب سوري معين لأن معظم كتاب الرواية ما زالوا أحياء وهو يخاف اغضاب أي منهم، أو أنه لم يجد بعد ذلك الكاتب الذي ينسجم وفكره السياسي إذا كان ينطلق من منظور سياسي معين.

مثل هذه الملاحظة، تقودنا إلى التساؤل عن وجود الرواية كفن أدبي له علاقة بالجاهلير. فأبي الروايات السورية المعروفة لدينا قد اكتسبت مثلاً شهرة شعبية، وبات هناك حديث عن أحداثها وأبطالها وأفكارها ومثلها وكانت نموذجاً مؤثراً في الحياة الثقافية بخاصة والاجتماعية بعامة؟ بمعنى آخر يمكن التساؤل عن مدى الإقبال على اقتناء الأعمال الروائية، وبمعنى أكثر تحديداً: هل استطاع روائي ما أن يعيش على دخل يأتيه من أعماله الروائية؟

النقاد والمراجعين والمعلقين، والقراء أحياناً، فعلى سبيل المثال يقال عن رواية ما إنها قد كتبت بلغة معينة بسيطة أم معقدة، أو يحكم عليها بأنها مفهومة أو معقدة.. وكثيراً ما يصار إلى البحث عن الأيديولوجية الكامنة فيها أهي (مع) أم (ضد) لتكون الأساس في الحكم على الرواية. ومما لا شك فيه أن زوايا رؤية تلك الطريقة في التقصي تفضل العنصر الهام في الرواية ألا وهو انتسابها للاسم الذي تحمله.

وإذا ما استخدمنا الطريقة الثانية فإنه من الممكن أن نبحث عن الرواية في الرواية. فالنهج السليم لفهم عمل أدبي يتبدء من فكرة البحث عن الجنس الأدبي داخل تكوينه، وكما أن على الشعر أن يكون شعراً فعلى الرواية أن تكون رواية في المقام الأول، أي أن تحقق كمال الشرط الروائي. اللوحة الفنية هي هجوم إنساني على فراغ ما بغية ملئه بالوجود الفني، كذلك الرواية معيار خاص يرتفع على أرضية هي بدون شيء غير روائي ولا يحقق وجوداً فنياً.

وفي الفترة المرافقة لنشوء الرواية، غلبت الطريقة الأولى على حركة التقويم النقدية، فلم تناقش الرواية على أنها جنس يحمل خصائص ذاته الفنية. كان الاهتمام ينصب عادة على زوايا متفرقة وأجزاء متباينة من الرواية، نوقش الشكل بمعزل عن المضمون، وتم الحوار حول المضمون دون الشكل. أثّرت قضايا لغوية وسياسية وأهمل الكيان الروائي. إلا أن الآراء النقدية الجديدة على أي حال انصبت على نقطتين رئيسيتين هما الحدث وما يحمل من تشويق، ثم المفزى الاجتماعي للرواية.

### الرواية العربية

الرواية العربية بعامة، وحتى يومنا هذا، ما زالت تدور في فلك تجسيد الحاجة الاجتماعية للفن، كأنما في ذلك برهان على ارتباط الرواية بالمجتمع بطاقة فنية تفوق الأجناس الأدبية الأخرى. وبينما يرتبط الحدث المشوق الكامن في الرواية بالتعبير الخارجي عن تلك الحاجة المذكورة، فإن المضمون الاجتماعي الذي تعبر عنه الرواية فهو التعبير الداخلي.

إن اقتراب الرواية من عملية التأريخ قد زادها قيمة لدى القراء الذين يحاولون البحث عن الموعظة والعبرة إلى جانب الصور المستعادة من عمق الزمن الفائت. فذاكرة القارئ العربي ما زالت تحترم مقولة «يحكى أن» أو «حدث ذات يوم» أو ربما «كان ما كان» وتقبل عليها وتعتبرها أحياناً المدخل الشرعي لكتابة الرواية. وهكذا فإن احكاماً أو اعراضاً أو تخوفاً قد أبداه القارئ تجاه الأعمال الروائية التي تسرت إليها الرؤية الفلسفية أو المداخلات النفسانية الملصقة بالرواية دون ولادة طبيعية من نسيجها، وبخاصة في بداية الستينات.

ولقد كان واضحاً على عدد من الأعمال الروائية القليلة المكتوبة على يد كتاب أثقل كامل أعمالهم الفكر الفلسفي والوجودي على وجه التحديد والتأمل بشكل عام. ومن النماذج التي طرحت آنذاك رواية «جيل القدر» لمطاع صفدي و«العصاة» لصديقي إسماعيل و«رياح كانون» لفاضل السباعي و«المهزومون» لهاني الراهب وغيرهم. وإذا كانت هناك من قيمة فنية لمثل تلك الأعمال، فإنما ترجع إلى أسباب كثيرة، من أهمها تفاعل الثقافة الوطنية مع التيارات الجديدة في الفكر الكوني، أو لعوامل قومية اجتماعية فيها من التطلع إلى تحقيق الذات الفردية قدر ما فيها من هم في رصد



إن نزار قباني مثلاً ، استطاع شعره أن يكون مقروءاً لدى أكبر عدد متصور من الناس ، وشعره هو الممول الرئيسي لمعيشته ، وليس هناك بين كتاب الرواية السورية من يدانيه قدرة على غزو المكتبة المنزلية ، فهل ما زال المجتمع القائم مجتمع الشعر والرومانسية ؟

كاتب هام مثل الدكتور عبد السلام العجيلي له وجود متميز في القصة القصيرة والرواية والمقالة ، أو روائي معروف مثل حنا مينة ، لم يستطيعا رغم سمعتهما الأدبية الواسعة وجديتهما الملحوظة في الإبداع الفني ، لم يستطيعا أن يوزعا من كتبهما أعداداً تدخل المكتبة الخاصة بشكل يشابه الكتاب الشعري . ولقد حدث أن كتبت شاعرة رومانية هي كوليت خوري روايتها الأولى «أيام معه» أعقبتها بأخرى هي «ليلة واحدة» ، وقد أحبطت روايتها بحملة إعلامية دعائية تقديراً لمكانة الأدبية الفنية والاجتماعية ، إلا أن أعمالها ظلت على درجة أقل في التوزيع من أي كتاب شعري أو سياسي مرموق . ولقد صنعت من أعمال العجيلي ومينة وخوري مسلسلات إذاعية وأفلام سينمائية . ولكن المكانة التي يحتلها روائي مصري كبير مثل نجيب محفوظ كصانع أول للرواية العربية ، لم يستطع أحد أن يحتل مثلها بعد في الانتشار والأثر وذلك بين الأجيال المتباعدة والأقطار المختلفة . فهل تلعب الجغرافيا دورها في تكوين الروائي ؟ أم أن سطوة الثقافة المحلية لقطر عربي قد أفسحت المجال أمام انتشار أعمال روائي معين ؟

ليس هناك ما يجزم بأن المكان أو المناخ والطقس يلعب دوراً في نشوء الرواية وتطورها ، فالبينة المصرية أخرجت عدداً من الروائيين المرموقين ، وهي تتسم بالاستقرار في الطقس والسهولة في التضاريس ، أما البينة السورية فهي بيئة لا تتسم باستقرار طقس أو تجانس في التضاريس ، والقلق هو الصفة السائدة في الحياة التي تجمعت في المدينة السورية التي ما زالت المكان الوحيد لإنتاج الأدب والرواية على وجه التخصيص . إلا أن هذا القلق لم يمنع من تجمع الأسباب إلى خلق دوافع لأعمال روائية متميزة لبعض منها وليس في مجملها كعمار روائي سوري متكامل . وفي كل الأحوال فإن القصة القصيرة مثلاً استجابت بفعالية ملحوظة لشروط البيئة القلقة أكثر مما فعلت الرواية ، إلا أن هذا لا يعني عدم فعالية الرواية للبيئة الاجتماعية ومحاولتها الخلاصة للتعبير عنها ، كملاحظة جانبية فإننا نلمس أثراً فعالاً للوجود المصري التاريخي والاجتماعي والديني في انتشار الرواية المصرية الواسع إذا ما قيس بانتشار الروايات العربية الأخرى .



### المعمار الروائي

المعمار الأدبي تكوين حضاري لا يختلف في كثير من الأحوال عن العمارة السائدة شكلاً ووظيفة . والمعمار الروائي أكثر الأشكال الفنية تعقيداً وامتداداً في الزمان والمكان ، باستثناء المسرح الأكثر تعقيداً في الحضور الاجتماعي . وبينما تشكل القصة القصيرة ، كجنس شبيه بالرواية ، وبناء بسيطاً ولكنه كثير الأعصاب الدقيقة ، فإن الرواية بناء شامخ متعدد الوظائف ومتنوع المرافق وتحكمه شبكة فائقة الدقة إلا أنها واضحة .

إن بناء مدينة لا يختلف عن بناء رواية ، والأخطاء التي يرتكبها مصمم المدينة قد تؤدي إلى خلل وظيفي وجالي

بنفس الحدة التي يؤدي إليها الخطأ في تركيب الرواية . إن استقبال الضوء وطرائق التهوية في المرافق المبنية في مدينة ما ، شيء أشبه بالتركيب اللغوي للرواية ، وشخصية المدينة وارتباطها بالتربة والطقس والتراث الثقافي هي الأسلوب بالنسبة للرواية . وفي كل الأحوال ، يبقى الأسلوب أو شخصية الروائي هو الشكل النهائي للمعمار الفني للرواية ، فإلى أي مدى وصل نقاء المعمار الروائي السوري ؟

الرواية السورية قبل البدايات الحديثة في أوائل الأربعينات ، لا شيء يذكر ، إلا أن المستودع العربي الإسلامي مليء بالحكايات والأقاصيص التي تحمل طاقة كامنة قادرة على شحذ الرواية الحديثة بأقصى درجات التفاعل والإبداع . إن من الموروث العربي أعمالاً خطيرة مثل «ألف ليلة وليلة» و«سيرة الظاهر بيبرس» و«سيرة علي الزبيق» و«سيرة الأميرة ذات الحمة» و«سيرة عنتر» و«تغريبة بني هلال» و«كلييلة ودمنة» وغيرها من الحكايات والسير الدينية وقصص الخلفاء والأمراء والحكام والأبطال والشعراء والأساطير الضاربة في القدم إلى جانب المقامات والخرافات ، إن مثل تلك الأعمال الفنية الجنية أو الكاملة لم تدخل بعد في برامج التعلم وتثقيف الكتاب ، وقد تم تفاعلها مع الثقافة السائدة بشكل شفاهي ، ولم تظهر آثارها بعد في الإنتاج الروائي كخطوة نحو النقاء المحلي للرواية .

إن الرواية السائدة حتى الآن ، هي شكل من أشكال الرواية الأوروبية ، وقد لا يكون هذا التأثير مقتصرًا على الرواية فحسب ، بل وينسحب على القصة القصيرة والمسرحية والشعر الجديد . وهذه المؤثرات الطاغية للأدب الغربي إنما هي شكل من أشكال السيادة التي نمت وترعرعت منذ الانقلاب الصناعي وحتى أيامنا هذه والتي انسحبت على مجمل الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، فباتت هرمونات تسريع للنمو في حين وفيروسات تثبيط في حين .

إن اليقظة القومية التي انتعشت في البنية الاجتماعية العربية منذ بدايات القرن الحالي ، قد أخذت نصيباً في الأدب المكتوب ، ولكن الشيء المحسوس بالنسبة للإبداع الأدبي كان قد تجلّى في المضمون أكثر مما وضع في الأسلوب أو اللغة الأدبية التي تخص الكاتب وحده . والروائي السوري الذي اتخذ له مثلاً في الكتابة واحداً من عالقة الرواية في العالم ، لم يستطع بشكل عام أن يتحرر من النسق المألوف في البناء الروائي ، بعكس ما جرى في القصة القصيرة والمسرحية والشعر . إذا استجاب كتاب تلك الأجناس الأدبية للتأثيرات الثقافية الكونية فباتت هناك أشكال شبه متحررة وتجريبية تشير إلى إمكانات واسعة في الوصول إلى أشكال محلية وإن كانت لم تحقق بعد التحقق الكامل .

وقد لا تبتعد بعض محاولات التأليف الروائي عن الوصول إلى بعض من تلك النتائج التي وصلت إليها الأجناس الأدبية المذكورة إلا أن السمة العامة للرواية ما زالت ملتصقة بسمات الرواية الأوروبية . ولا يعيب هذا الأمر الرواية والروائي السوري في شيء ، قدر ما يقدر المجال المتاح للأمنية في رواية محلية ذات خصائص متميزة . وليس من الضرورة أن تكون هناك رواية محلية بالشكل المتعصب الذي يتخيله المرء . إنما من الضروري أن يكون هناك روائيون حقيقيون تمتد جذورهم في الأرض التاريخية والبيئة المعاصرة .





كذلك أنفق فاضل السباعي معظم جهده من أجلها ، ومن الكتاب الذين تلونت حياتهم الأدبية بأجناس مختلفة نجد صلاح ذهني وعادل أبو شنب وعبد العزيز هلال وهاني الراهب وجورج سالم وحيدر حيدر وأديب النحوي وقر كيلاسي ومدوح عدوان ونذير عظمة وبشير فنصة وياسين رفاعية ونهاد رضا وعبد الله مرجانة ووليد حجار ووليد اخلاصي وغيرهم .

ولقد كان من الرعيل الأول مساهمات في الرواية كنسيب الاختيار ووداد سكاكيني ، ولكن جيلاً جديداً برز في بداية السبعينات يحاول اكمال العارة الروائية منهم نبيل سليمان وعبد النبي حجازي وخيري الذهبي وأحمد داوود وأحمد يوسف داوود وعبد الله الأحمد وإبراهيم العلي وغيرهم .



قد لا تكون الصياغة النهائية للعمل الفني ، وهي التي تتوجه عادة ، قد باتت ذات أهمية في الحياة الثقافية . وفي الوقت الذي تقاس فيه الصناعة الغربية مثلاً بمقدار ما وصلت إليه من دقة في اعطاء الشكل والوظيفة أقصى حالات تفوقها ، فإن التخلف أو ضعف الخبرة في الثقافة المعاصرة العربية ( الكتابة ، صناعة السينما والتلفزيون ، الخ .. ) يقاس بضعف الصياغة أو النهائية أو ما يصطلح عليه أحياناً بالاكمال أو اللمسات الأخيرة .

نذكر الآن على سبيل المثال ذلك الصانع الإسلامي في الماضي ، يلدع آيات من الفن التشكيلي ( زخارف ومزهريات وسيوف .. ) . نذكره إذا ما قورن عمله بالصانع المعاصر عندما يريد أن ينتج نسخاً شبيهة لما صنعه الصانع القديم الذي تميز عمله بالكمال الناجم عن اهتمامه الصادق المخلص بوضع اللسات الأخيرة التي تنبئ عن محاولة الاقتراب من الكمال .

وكثيراً ما لعب الإنتاج الواسع والمتكاثر دوره اليوم في اهمال تلك الصياغة النهائية المطلوبة في العمل الفني على وجه التحديد . وهذا ينطبق في كثير من الأحوال على الأعمال الروائية نفسها . فنجد فيها اهمالاً أو تسرعاً أو خشونة أو تجاوزاً لأمر فنية ضرورية في البناء الروائي أو في استكمال بعض من العناصر اللازمة لكمال ذلك البناء . وقد يكون السبب مرده إلى داء العصر أو أنه يعود إلى الخبرة الضئيلة التي من المقدر لها أن تتراكم يوماً بعد يوم لتصل إلى حد يكون فيه التجاوز لتلك الهنات حتماً .

حتمية تراكم الخبرات في عالم الرواية أولاً ، ثم التفاعل مع الثقافات الكونية ثانياً ، كما أن التطلع باحترام مدقق إلى الموروث الروائي والقصصي إلى جانب التأثر بواقع الثقافة الشعبية سيعطي للرواية السورية أملاً في النمو والتكامل والمعاصرة .

ثمة آراء في العالم تؤكد على نهاية عصر الأدب المكتوب ، كالقصة والرواية والشعر ، إلا أن الأذن العربية التي أحبت الشعر ذات يوم وما زالت ، قد تمد العين بجرباتها المتدققة فتحب الرواية كعزاء معقد التركيب لواقع متشابك الأحداث والأحوال والتغيرات المتسارعة .

**إن طفولة الرواية السورية مؤهلة الآن أكثر من أي وقت مضى لأن تتحرر من عوائق تحد من نموها السريع . وهذا رهـن بثقافة متكاملة يـبنـها الكتاب بصدق فني ويتقبلها القراء بحس سليم ، آنذاك يمكن القول بأن الرواية السورية تلعب دوراً قيادياً في نماء الثقافة الوطنية .**



### الرواية .. بين الشعر والقصة القصيرة

القصة القصيرة والشعر على وجه التحديد ، من الفنون الأصيل إلى الذاتية والفردية ، أما الرواية فهي من أكثر الفنون التصاقاً بالمجتمع كتكوين بشري واسع الانتشار على ساحة الزمان والمكان . والرواية عمل اجتماعي ، يرتبط بوظائف المجتمع وتكوينه ، بل هو أكثر تمثيلاً بتيوباً له ، ويمتلك القدرة على تمثله والافصاح عن أحواله والحديث بلسانه ، حديثاً قد لا يكون عاطفياً كالشعر أو مكثفاً كالقصة ، ولكنه حديث الخبير بالأحوال المشفقة على الآمال . إن الشعر مثلاً عزاء للإنسان يقدم في لحظات عابرة ، إلا أن الرواية عزاء طويل الأمد . وقد يصل الشعر إلى مرتبة الحكمة الخالصة ، إلا أن الرواية تريد أن تعيد بناء الأمور على طريقتها الخاصة لتكون تاريخاً وهي ليست بتاريخ وفسانية وهي ليست بمؤلف طبي عن النفس . **الرواية فن الانسان الذي يرغب في حياة أغنى ، وقد لا يفرق بين الوهم والواقع كمصادر لغنى تلك الحياة .** وقد تكون القصة القصيرة « مجهرًا » يدخل في التفاصيل الدقيقة ، إلا أن الرواية تجمع إلى فضيلة المجهر ميزة « التلسكوب » الذي قد يمتد بأنفه الحساس إلى مجاهيل المستقبل ووقائع الماضي .

فإذا ما استثنينا عملاً واحداً أو أكثر قليل تجلت فيه الذاتية والقدرة على التحدي اللغوي للبلاغة .. **فعبد الوهاب الصابوني** مثلاً في روايته اليتيمة « عصام » - إلى إبداع لغة أكثر من سعيه إلى بناء معيار روائي . فإن جميع الأعمال الروائية التي كتبت في الأربعين سنة الأخيرة كانت تدور في فلك الهموم الاجتماعية المتنوعة من وطنية وعاطفية وعائلية ، كما أنها لم تتعد عن التيارات السياسية المختلفة في مظهرها والمتفقة في باطنها على بحث مستمر عن العدالة واحتلال مكان لائق وحر في منظومة العالم الدولية .

وإلى جانب شكيب الجابري والعجيلي وحنا مينة وكوليت خوري ومطاع صفدي وصدقي إسماعيل ، نشطت أسماء في الساء الروائية حاولت أن تتألق نجوماً ، منها ما شاع ومنها ما خبا . ولقد كرس فارس زرزور حياته للرواية ،



## استُتركت في الندوة

- د. عبد الله العجلان - السعودية
- د. عبد الله الطيب - السودان
- د. عابد توفيق الهاشمي - بغداد
- د. عبد الحميد الهاشمي - سوريا
- د. محيي الدين عبدالكوكب - أميركا
- د. فاروق محمد صابر - مصر
- د. عبد الرحمن السبيتي - السعودية

# دور علماء المسلمين في نشأة علم النفس

اعداد: محمد مبارك

★ ساهم الأقدمون من علماء النفس المسلمين بالكثير من الأفكار والدراسات حول النفس الإنسانية من جميع جوانبها التي كان يدور حولها البحث في زمنهم ، تناولوها من حيث أصلها ، ومصدرها وجوهرها واستقلالها عن الجسم ، ومصيرها بعد وفاة الإنسان ، وكافة أحوالها من إدراكية ووجدانية ونزوعية . وكان الحديث عن النفس الإنسانية في ذلك الوقت لا يزال جزءاً من الفلسفة .

وقد أجاد علماء النفس المسلمون في عرض الأدلة على وجود النفس وقسموا الأدلة إلى شرعية وعقلية وحسية .

فن الأدلة الشرعية ما ورد عن النفس كثيراً في القرآن الكريم ، حيث وردت بعض الآيات الكريمة في خلق النفس ، وبعضها عن طبيعتها ، وفي بعضها عن صفاتها .

كما أطل علماء النفس المسلمون في ذكر الأدلة العقلية على وجود النفس ونجدتها عند ابن سينا والغزالي وابن مسكويه وغيرهم ، وبعض هذه الأدلة مأخوذ عن الفلاسفة اليونانيين كأفلاطون وأفلوطين وغيرهما ، وبعضها من اجتهاد العلماء المسلمين ★

وفي مجال الدليل الحديسي على وجود النفس الإنسانية يرى بعض العلماء المسلمين أن وجود النفس أمر بدهي لا يحتاج إلى برهان «ابن ماجة : النفس ص ٢٢» ، ويعبر الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين الحديث» عن وجود النفس من ميدان علم المكاشفة ، ويشارك علماء الإسلام في هذا كثير من فلاسفة أوروبا ، نذكر منهم «لوك» ، الذي يرى أن معرفة النفس حديسية ، وأنه لا يبرهن على وجودها وعلى طبيعتها ، ولكن جهلنا بذلك لا يحولنا الحق في إنكار وجود النفس ، ونذكر أيضاً «مالبرانش» ، الذي يرى أن إدراك النفس شعور بها .

وهناك اتجاه بين الكتاب المسلمين في علم النفس يتمثل في إعادة قراءة التراث العربي في مختلف المجالات وخاصة ما يرتبط منها بموضوعات علم النفس

الحديث ، ونعني بالتراث هنا إنتاج العلماء المسلمين على مر العصور . وفي سبيل الوقوف على ما خلفه علماء الإسلام من أفكار وآراء ، ومدى مساهمتها في نشأة علم النفس الحديث ، ومكانة الفكر الإسلامي في هذا المجال ، نطرح من خلال ندوة هذا الشهر آراء عدد من العلماء والمهتمين بقضايا علم النفس ، وتاريخه .

## القرآن أساس الدراسات النفسية

بدأ الحديث الدكتور عبد الله العجلان (دكتوراه في الشريعة : أصول الفقه) ، وكيل الرئيس العام للتعليم العالي للبنات بالمملكة العربية السعودية قائلاً :



والكيمياء... والذي يعتمد على الملاحظات المنظمة والتجارب المضبوطة ، لا على التأمل والبحث والملاحظات العارضة ، كما لا يعتمد على ما يجري على ألسنة الناس من قصص وأساطير عن السلوك الإنساني ، وليس علماً للنفس كذلك فلا يشغل بجاهتها أو نشأتها أو مصيرها ، ولا شأن له بالروح ولا بالفلسفة ، ولا يعنى بالبحوث الروحية وما وراء الحس .

إن علم النفس بهذا المعنى لم يكن معروفاً لدى علماء المسلمين في الماضي ، بل كان ممتزجاً بالفلسفة ، وكان يعنى بالنظريات الجدلية الفلسفية المحضة في النفس والروح والاختلافات فيما بينها ، وتأثر إلى حد كبير بالفلسفة اليونانية ، لا سيما فلسفة أرسطو الملقب بأبي علم النفس ، كذلك عُني علماء النفس المسلمون بمحاولاتهم دراسة الإنسان من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، وقد أجادوا في كثير منها ، وأخطأوا في بعضها في مجالات فهم النص وفهم الوسائل العملية لممارسة النص ، كما أخطأوا في الاعتماد على كثير من الأحاديث النبوية التي لم تثبت صحتها ، ومع ذلك فلقد كان الخط العريض لفهم الإنسان - صحته وسقمه وعلاجه بمستوى عال - يتفق مع أعلى ما وصلت إليه الدراسات الإنسانية في علم النفس الحديث .

ولقد أسهم الكثيرون من علماء النفس المسلمين في تطوير هذا العلم ولا سيما الإمام الغزالي وابن تيمية وابن القيم ، وغيرهم كثير .

### علم النفس المسلم

ومن الولايات المتحدة الأمريكية تحدث الدكتور محيي الدين عبد الشكور ، أستاذ علم النفس بجامعة ولاية نيويورك ، ملخصاً رأيه فيما يلي :

« إن عالم النفس المسلم يجب أن يكون مسلماً أولاً ، ثم يأتي العلم في المرتبة الثانية ، وأرى أنه يجب أن يجتمع العلماء المسلمون في كافة أنحاء العالم ، وعلى فترات غير متباعدة لمعالجة هذا الموضوع ، والبحث فيما خلفه لنا العلماء المسلمون الرواد في مجالات علم النفس وسائر العلوم .

ويجب أن تشمل مثل هذه اللقاءات علماء في الدين بمختلف فروعه ، وعلماء في مجالات الحياة الأخرى ، ومنها علم النفس ، لأن العلوم متشابهة ومرتبطة ببعضها البعض .

★ د . د . عبد الحميد الهاشمي ★



★ د . د . عبد الرحمن السبيت ★



« كانت أبحاث علم النفس في الثقافات السابقة لبزوغ فجر الإسلام ، أبحاثاً متفرقة في ثنايا كتب الفلسفة ، وليست علماً له ذاتية واستقلال أبحاثه .

ولما كان القرآن الكريم وهو المعجزة الخالدة قد أطلق العقل من أسر التقليد والمحاكاة والجمود ، إذ دعا إلى التفكير والتدبر وتأمل آيات الله في الآفاق والكون والحياة والنفس الإنسانية . وهو إن كان كتاب هداية في أصله ، فإنه قد أشار إشارات عابرة موجزة إلى جوانب متعددة في هذه الحياة . منها أهمية النفس الإنسانية التي تكون محك للهداية ، وعرضة للزيف ، ويطلب من الإنسان أن يتعهد بالخير ويتركها بالطاعة ويباعد بينها وبين أي مؤثر قد يجريها إلى الهاوية ، لتسمو بصاحبها عن الانحراف . ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ ونفس وما سواها ، فأهملها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاه ، وقد خاب من دساها 》 .

وقال تعالى عن النفس المهتدية : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي 》 .

وعن نوع آخر من النفوس يقول تعالى : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة 》 . ويقول سبحانه وتعالى عن النفس الهابطة : ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء 》 .

هذه الاشارات العابرة الموصية في نفس الوقت ، جعلت علماء المسلمين يتطرقون إلى الحديث عن النفس ويفردونها بأبحاث خاصة بها حتى صارت مادة مستقلة بذاتها غنية بأبحاثها عاجلت موضوعات قائمة بذاتها ، ومن هؤلاء العلماء الغزالي وابن سينا والخطيب البغدادي وغيرهم ، وكل هؤلاء علماء شريعة لا صلة لهم بالفلسفة إلا بالقدر الذي يترتبون به على الإسلام في عقيدته وشريعته ، وكانت أبحاثهم في النفس الإنسانية مبتكرة وعلى جانب كبير من الصواب بل كانت لهم الريادة في السبق إلى أبحاث وموضوعات أهم بها بعدهم علماء علم النفس المحدثون .

تكلم ابن سينا عن قوى النفس ، وابن حزم في أصلها ، والغزالي عن أهمية دور المراهقة وخطره ، وتكلموا عن أثر العوامل النفسية في الجسم وأمراضه وشفائه ، واستخدموا طرق علم النفس في علاج الأمراض ، وتكلموا عن الحفظ والذاكرة والنسيان والتعب ، وأهمية الراحة والترويح عن النفس .

ولا تزال أبحاث علماء المسلمين في علم النفس محل احترام الباحثين والدارسين على السواء .. ولكن من الحق أيضاً أن يعترف بأن هذه البحوث والدراسات منشورة في كتبهم ، وهي في حاجة إلى جمع وترتيب وتبويب وتصنيف وفهرسة حتى يسهل الاطلاع عليها . وهو أمر نرجو أن نجد فيه جامعاتنا وكليات التربية فيها على وجه الخصوص للقيام بهذه المهمة .

### علم النفس والفلسفة

ويبدلي الدكتور عابد توفيق الهاشمي ، الأستاذ المشارك بكلية الآداب بالجامعة المستنصرية ببغداد ، برأيه حول علم النفس بمعناه المعاصر ولدى علماء المسلمين فيقول :

« إن علم النفس بمعناه المعاصر ، هو العلم الذي يدرس السلوك الإنساني بمنهج البحث العلمي ، الذي تتبعه العلوم الطبيعية كالفيزياء



الباب علم الحديث وما أفاض فيه العلماء من أمر التعديل ، ثم أسلوب شرح الأحاديث نفسها ومعالجة مسائل الخلاف ورد بعض ذلك إلى ما يعتلج من أحوال النفوس ، فأرى ألا يغفل المتخصصون في علم النفس عن النظر في تاريخ البخاري ومقدمة مسلم وما ذكره ابن حجر والعيني في المقدمات وأصناف الشروح .

وقد تناول أوائل الكتاب أمثال ، ابن المقفع وعبد الحميد والجاحظ مسائل هامة متعلقة بالنفس والأخلاق ، وللجاحظ خاصة عجائب في هذا الباب ، أنظر مثلاً رسالته العثمانية ، وكتايب الأدب الكبير والصغير ، وكتيلة ودمنة لابن المقفع . وكذلك رجال التصوف أمثال المحاسبي والغزالي والمكي أبي طالب . . وحسبي هذا القدر الآن »

### علم النفس قديماً وحديثاً

من سوريا يتحدث الدكتور عبد الحميد الهاشمي ، أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، شارحاً قدم علم النفس ومساهمات العلماء المسلمين فيه : «الواقع هذا بحث طويل ، ولكنني أقول بإيجاز إن علم النفس قديم حديث ، قديم حاولت الإنسانية منذ أوائل عهدها بالحياة أن يفهم الإنسان نفسه وأن يفهم ما حوله . وحديث لما استطاع أن يصطنعه من وسائل وأجهزة واختبارات .

والعلماء المسلمون ساهموا مساهمات كبرى ، وكان الفضل في ذلك للقرآن الكريم ، ذلك أن القرآن الكريم لمس لمسات ، وذكر مواقف نفسية رائعة في تصوير النفس الإنسانية . لناخذ مثلاً ، قصة إبن آدم ، إذ قريبا قرباناً ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، موقف يمثل الحسد ، وكيف كانت أول جريمة على الأرض هي جريمة قتل دافعها مشكلة نفسية ، أزمة نفسية دافعها الحسد بين شقيقين .

كذلك يصور لنا الإسلام مواقف الغيرة ، ومراحلها ، مبادئها ، وآثارها ونتائجها ، في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته .

والعلماء المسلمون أسهموا مساهمات كبرى أذكر منهم الإمام الغزالي ، ولا سيما في كتاب إحياء علوم الدين ، وأذكر ابن الجوزي في كتاب الأذكياء ، وأذكر أيضاً بالتأكيد ابن طفيل الأندلسي الطبيب القيسي ، في كتابه حي بن يقظان ، الذي يعتبر الرائد للكتاب الذي يفتن به علماء النفس المحدثون أمثال ، جان جاك روسو في إميل .

وهناك كتب كثيرة في الواقع قدم فيها علماءنا الأوائل آراء عن الذكاء ، وعن المعرفة والعواطف والإدراك والحواس ، وعن العمليات العقلية في الدماغ ، ولا سيما العالم المسلم الشهير ابن سينا ، الذي كانت له صولات وجولات في هذا المجال .

### ريادة علماء النفس المسلمين

ويدي الدكتور فاروق محمد صادق ، رئيس قسم علم النفس ، بكلية البنات الإسلامية ، بجامعة الأزهر بالقاهرة ، برأيه حول دور علماء المسلمين في نشأة علم النفس المعاصر قائلاً :



د . د . فاروق محمد صادق \*



د . د . عباد الله الهاشمي \*



د . د . محي الدين عبد النكور \*



د . د . عبدالله الطيب \*

إن على علماء المسلمين اليوم أن يجمعوا بين ما توصل إليه من سبقهم من أفكار ونتائج في مجالات النفس البشرية المختلفة ، وبين ما يتفق مع ديننا الحنيف من العلوم المعاصرة .

### دعوة لدراسة مؤلفات علماء المسلمين

أما الدكتور عبد الله الطيب ، من السودان ، الأستاذ الممتاز بجامعة الخرطوم ، وأستاذ التعليم العالي بكلية الآداب ، بجامعة حمد بن عبد الله بفاس في المغرب حالياً ، يشارك برأيه قائلاً : «كان الشعر ، علم العرب في الجاهلية ، ولم يفقد كل ما كان عليه من منزلة بعد الإسلام لمقال رسول الله ﷺ : «إن من الشعر لحكمة» فينبغي أن يهتم العاملون في ميدان علم النفس بجمع ما للشعراء من حكم داخلية في صميم علم النفس ، من ذلك على سبيل المثال :

لا ... العير والمكواة تأخذها قد ... والمكواة في النار

حل النقط كلمة تدل على الصوت عند الحدث ، وضع مكانها «يجزع» ليستقيم الوزن وههنا معنى تجزئة «بافلووف» ، الدالة على العمل العكسي المعدل كاملة ، إلا أن ههنا موضوع التجربة حمار لا كلب . . ولا أريد أن أطيل في هذا الباب ، ولا أقدر على ذلك في هذا المجال فهو باب واسع .

في الإسلام أقبل الناس على تعلم الدين من علمائه ، فقرأوا القرآن الكريم ، ورووا الحديث ، ودرسوا التفسير والفقه وهلم جرا ، وعلى الباحثين في ميدان علم النفس أن ينظروا في كتب الفقهاء فإنهم قد تناولوا كثيراً مما يدخل في أبواب علم النفس الاجتماعي ، وكذلك في ما يتعلق بالأفراد ، وأضرب لذلك مثلين ، الرجل الذي يوصي عند إحساس قرب الموت أو في مرض الموت ، والرجل الذي يغلب عليه الشك بالنسبة للطهارة ، وللفقهاء تعرض لأصناف مما يقع في حياة الأفراد والجماعات من الاضطراب النفسي ونظرات دقيقة ثابتة من لدن أوائلهم كما في مدونة مالك إلى التأخرين كشرح الحواشي والمتون ، وهذا أيضاً باب واسع وما أكثر ما يرد فيه الأسماء ، أسماء الكتب والرجال ، وما يلحق بهذا



### آثار فلاسفة المسلمين

ويوجز الدكتور عبد الرحمن السبيت، وكيل كلية التربية بجامعة الرياض، بالمملكة العربية السعودية، وعضو هيئة التدريس بقسم علم النفس بها، رأيه قائلاً :

« إن دخول علم النفس إلى مجموعة العلوم لم يتم إلا حديثاً ، فهو لم ينفصل عن شجرة الفلسفة إلا في أواخر القرن الماضي ، وعليه فإن علم النفس كان جزءاً من الفلسفة .

وكثير من فلاسفة المسلمين ومفكرهم لهم منزلة جلييلة في تراث الإنسانية الفكري ، بما في ذلك بعض الآراء والأفكار النفسية ، فمع أن هؤلاء المفكرين لم يكونوا علماء نفس بالمعنى المعروف حالياً ، إلا أنهم أضافوا إلى الفكر الإنساني ، حين تطرقوا في كتاباتهم إلى كثير من المبادئ والآراء النفسية .

وعلى سبيل المثال ، فقد تطرقوا إلى مبدأ الثواب والعقاب ، والفروق الفردية ، ومراعاة استعدادات الطلاب في العملية التربوية . كذلك قاموا بدراسة بعض الظواهر النفسية المختلفة كالإحساس والإدراك .

ومجمل القول ، إن هؤلاء الفلاسفة أمثال ، الغزالي وابن سينا وابن خلدون ، قد خلفوا لنا آثاراً لها أهمية كبيرة في تاريخ علم النفس .

### تعقيب

من خلال الآراء المطروحة في هذه الندوة ، يتبين أن دراسات وأفكار ونظريات علماء الإسلام ، في مجالات النفس الإنسانية لم تزل حظها الكافي من الدراسة والتحقيق مع وجود دراسات رائدة لبعض العلماء المسلمين الأوائل مثل ، ( الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ، ابن الجوزي أبو الفرج في كتابه الأذكياء ، الشيخ الطبيب ابن سينا في أحوال النفس ، ابن طفيل الطبيب الأندلسي في حي بن يقظان ) .

والتأمل في كتابات علماء الإسلام في موضوعات علم النفس يجد أفكاراً وآراء ، ربما تكون نظرية بعض الأحيان ، إلا أن التجارب الميدانية في علم النفس أثبتت أصالة هذه الآراء والأفكار صدقها ، مما يدلنا على أن تفكير هؤلاء العلماء كان من العمق بحيث يجاري ، إن لم يفق كثيراً من الأفكار المعاصرة ، ولذا فن المفيد وحتى تعطى لأفكار العلماء المسلمين حظها من التحقيق والدراسة لتنبؤ مكانتها اللائقة ، أن ننظر إلى الموضوعات الواقعة في دائرة علم النفس المعاصر ، وآراء وأفكار ونظريات العلماء المسلمين مثل ، موضوع التعلم ، والتفكير والإدراك والحفظ ، والاستظهار ، والعادات من حيث اكتسابها وتثبيتها والإقلاع عما هو غير مرغوب فيه ، وذلك لتحديد ما يمكن أن يكون منها موضوعاً لدراسة تجريبية تهدف إلى تحقيق أفكارهم ونظرياتهم .

ومن جهة أخرى يجب أن يكون القرآن الكريم وما ورد به من توجيهات وتحذيرات وأوصاف حول النفس الإنسانية ، هي أساس الدراسات النفسية ، كما يجب الاهتمام بالفكر الإسلامي بصفة عامة ، وخاصة في موضوع علم النفس الذي يعتبره البعض من العلوم الحديثة ، في حين أن جذوره قد وجدت في أفكار وآراء ونظريات العلماء المسلمين .

« في الحقيقة أن علماء المسلمين كان لهم دور كبير في نشأة كثير من فروع العلوم الحديثة وتطوير العلوم المعروفة ذلك الوقت ، وأكبر فضل للعرب كان تطوير المنهج العلمي والتجريبي ، في كثير جداً من فروع العلوم ، حتى اللغوية والأدبية والسلوكية ، ولدينا أمثلة كثيرة جداً في ( العلوم الطبيعية مثل ، جابر بن حيان في الكيمياء ، والرازي في الفيزياء ، وفي العلوم الأخرى .

ولو نظرنا لعلم النفس بمعناه المعاصر ، لوجدنا أن كثيراً من المفاهيم الأساسية قد ناقشها علماء المسلمين ، بالطبع دون أن تناقش بطريقة تجريبية معروفة كما هو متبع الآن . فمثلاً ، عن طريق دراسة القرآن الكريم والسنة ، نجد أن هناك كثيراً جداً من التفسيرات عن الذات وعن النفس ، هذه التفسيرات أخذها علماء المسلمين وحاولوا وضع نظريات لها .

أيضاً ثقة الإنسان في الله سبحانه وتعالى ، وثقته في نفسه ، كانت محوراً لدراسات وتنظيات نسق ، وتخطيطات محددة من بعض علماء المسلمين ، وهذه الدراسات لو أردنا أن ننظر إليها نظرة عامة لربتها تدرجات بسيطة دون تعمق .

إن معظم الدراسات حول المحس والإحساس والإدراك قام بها كثير جداً من العلماء المسلمين ، من أيام الغزالي وابن سينا . الخ .

ومهما تشدد أهل علم النفس المعاصرين وخرجوا بنظريات حديثة مثل التعلم الشرطي أو التعلم بالاقتران ، أي إن الإنسان ، عندما يقترب فعل بفعل آخر ، ممكن أن يقوم بالفعل الآخر في غياب الفعل الأول ، فقد وجد أن هذه الأمور قد درست بواسطة الغزالي عن عمق ، حتى أنه استحدث لها بعض المصطلحات إلى الآن ما زلنا نتمتع في دراستها ، ولم نصل بعد إلى نفس العمق الذي اتجه إليه الغزالي . نحن قد اتجهنا تجريبياً حسيماً ، وهو اتجه فكرياً وعمقاً ، أي نظرياً .

أيضاً بجوار هذا نجد ابن خلدون ، قد وضع أسس كثيرة جداً لقواعد التكيف الاجتماعي والتكيف النفسي في المجتمع ، ونظام الأسرة وعلاقات الجماعات ببعضها البعض في المجتمع الواحد ، وأن مقدمة ابن خلدون لتعتبر ثروة لكل من يدرس علم النفس المعاصر ، وخاصة علم النفس الاجتماعي .

وهناك دراسات أخرى كثيرة في العمليات العقلية والتفكير ، ومع الأسف أننا لم نعطيها حقها الكافي من الدراسة المتعمقة ، بل تركنا الفكر الأصيل الذي ينتمي إلى القرآن الكريم والسنة ، واتجهنا إلى التفكير التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة والحس والاستنباط المباشر عن طريق الحواس المحدودة .

ويكفي أن أقول إن علماء النفس المسلمين الأوائل ، حين درسوا العلوم السلوكية اتجهوا بعمق إلى التفكير في سلوك الإنسان ونفسيته على ضوء ما جاء بالقرآن الكريم والسنة ، ولكن علماء النفس المحدثين اتجهوا أكثر إلى النواحي التجريبية وليس إلى النواحي النفسية والروحية .

وخلاصة القول ، أرى أن علماء المسلمين الأوائل الذين درسوا علم النفس قد تركوا تراثاً يجب علينا أن نبدأ من جديد في دراسته ، وتدريسه لأبنائنا في المدارس والكليات ، ونخرج من كل هذا إلى ما يمكن أن يسمى « علم





بمناسبة  
عام  
الطفل

«يتمتع الطفل بالحق في التعلم ، ويكون التعليم مجانياً إلزامياً على الأقل في مراحله الأولى . ويستهدف رفع ثقافة الطفل العامة ، وتمكينه على أساس تكافؤ الفرص من تنمية قواه وتفكيره الشخصي ، وشعوره بالمسؤولية الأدبية والاجتماعية ، ومن التطور إلى عضو مفيد في المجتمع . وتعتبر مصلحة الطفل العليا هي المبدأ الذي يسترشد به المسؤولون عن تعليمه وتوجيهه وفي طبيعتهم والداه» .

المبدأ السابع من الإعلان العالمي لحقوق الطفل  
الصادر عن الأمم المتحدة في ٢٠/١١/١٩٥٩ م

## و

# ثقافة عربية للأطفال

بقلم: عبد الرحمن شلش

### ثروة قومية هائلة

لقد أقرت الأمم المتحدة عام ١٩٧٩ م ، سنة دولية للطفل بمناسبة مرور عشرين عاماً على إصدار الإعلان العالمي لحقوق الطفل . وتعتبر هذه الخطوة عملاً جليلاً على طريق رعاية الطفولة ، إذ تستهدف بالدرجة الأولى رفع مستوى الحقوق المكفولة لها ، إلى جانب مضاعفة الخدمات الواجب تقديمها لأطفال العالم .

وإذا كان العالم احتفل من قبل بمناسبات مماثلة كالسنة الدولية للكتاب ، والسنة الدولية للمرأة ، فإن المناسبة الحالية يجب أن تنال قدراً كبيراً من اهتمامنا بثقافة أطفالنا العرب . وتلك مسؤولية المؤسسات الثقافية في الوطن العربي ، ومسؤولية الجيل المعاصر من مثقفينا .

إن أطفالنا ، أو بساط حياتنا ، يشكلون ثروة قومية هائلة لا تدانيها أية ثروة أخرى إذا ما أوليناهم الاهتمام اللازم والعناية الكافية من حيث التكوين الجسمي والنفسي والعقلي . وهم أمل المستقبل وصناعه ، فمساعدة أسرهم في سعادتهم ، والأسرة السعيدة هي أسرة عرفت كيف تربي أطفالها تربية جيدة ، وتأخذ بأيديهم ليصبحوا عناصر بناءة في المجتمع .

وثقافة الطفل جزء من مهمة الأسرة والدولة معاً ، لأن الأطفال أمانة في أعناق آبائهم وأمهاتهم وحكوماتهم .

ولا شك أن الطفولة أهم المراحل التي تمر بها حياة الإنسان ، ففيها تكون قابليته واستعداداته شديدة التأثر بكافة العوامل المحيطة به .

وباختصار يتأثر الطفل بكل ما حوله في البيئة من ظروف روحية ومادية .

ومن هنا تبرز أهمية السنوات الخمس الأولى في تشكيل شخصية الإنسان ، مما يجعل هذه المرحلة تترك بصماتها على شخصيته طيلة حياته .

والثابت علمياً أن الطفل حتى سن الخامسة يكون أكثر استعداداً



★ تشكل السنوات الأولى للطفل ، شخصيته وتضع بصماتها على هذه الشخصية طيلة الحياة ★

وميلاً للتقبل والتعلم والابتكار ، فهو يرى ، ويسمع ، ويفهم ، ويتذوق ، ويتساءل على قدر نمو مستواه الإدراكي والعقلي ، ويحاول اكتشاف العالم الذي يعيش فيه من خلال الأدوات التي تتوفر له ، وتكون في مستوى تفكيره .

وبالتالي ، فإن مرحلة الطفولة ليست أهم مراحل الإنسان فحسب ، بل أخطرهما على الإطلاق بوصفها تكون شخصيته .





★ الكتاب له دوره الكبير في التنقيف ، حيث يمنح الطفل مجالاً للتخيل ★

## ١ - الكتاب

يشكل الكتاب أول وسيط ثقافي عرفه الإنسان منذ أقدم العصور ، وما زال للكتاب أهميته حتى الآن لما في القراءة من سحر وجاذبية بوصفها أعظم متع الحياة . وليست القراءة ترفاً ، بل إنها ضرورة ، ولا غنى عنها لأي إنسان سواء كان كبيراً أم صغيراً .

ويقوم الكتاب بدور كبير في تثقيف الطفل ، لأنه يحتوي على زاد ثقافي ينمي لديه عادة القراءة ، والتخيل ، والاستيعاب مما يرفع من شأن ثقافته .

ولا أحد ينكر قيمة الكتاب الذي يجد فيه الطفل امتاعاً فكرياً ووجدانياً يصل قدراته العقلية ، فالكتاب جسر إلى القيم والمثل التربوية والحضارية وإلى المبادئ والتراث ، فهو ينقل إلى الطفل كل ذلك بأسلوب واضح مبسط ، وبشكل فني جذاب .

والكتب والمكتبات مواطن للمعرفة ، ومنابع لا تنضب للثقافة . وعلينا أن نعني بطباعة كتاب الطفل وحسن إخراجه وتوزيعه على مستوى الوطن العربي الكبير ، وأن نهتم بإبراز دور العرب الحضاري في تاريخ البشرية من خلال قصص إنسانية تشد أطفالنا دون اللجوء إلى ترجمة قصص المغامرات المسلية والمفسدة معا ، وكلها كتبت لبيئات تختلف تماماً عن بيئتنا العربية .

إن هناك فراغاً في كتب الطفل في المكتبة العربية ، ولئن كانت لدينا بعض الكتب للأطفال ، فهي قليلة ، ولا تسد هذا النقص الذي تعاني منه مكتبتنا في هذا المجال الهام .

ودور النشر العربية مقصرة في طباعة كتب ثقافية جادة تشبع نهم أطفالنا للقراءة المفيدة في شتى موضوعات العلوم والفنون والآداب . ونتساءل : لماذا لا تضاعف هذه الدور من اهتمامها بكتب الأطفال مثلاً نهم بكتب الكبار ؟

وهكذا نتضح لنا أهمية ثقافة الطفل في هذه المرحلة ، فالثقافة العربية ضرورة من أهم ضرورات الحياة لأطفالنا . وهذا ما سنتناوله بالبحث والدراسة في هذا الموضوع .

## فداحة التقصير

إذا عرفنا أن نسبة تعداد الأطفال في الوطن العربي إلى مجموع عدد السكان هي ٤٣٪ ، وعرفنا أن ما تنفقه الحكومات العربية على هؤلاء الأطفال يمثل ٠,٠٣٪ من ميزانياتها حسب دراسات الأمم المتحدة حول الطفولة في وطننا العربي<sup>(١)</sup> ، تبين لنا فداحة التقصير في حق أطفالنا .

ويجدر بنا أن نتعرف على بعض من اهتمام دول العالم بأطفالها . ففي إنجلترا ثار أحد علمائها وحمل حملة شعواء على الحكومة حين رفعت مرة سعر (الشيكلولاته) وصرخ يقول : « قد تضطربنا الظروف لتوزيع الخبز بالبطاقات ونحن نقبل ذلك عن طيب خاطر ، وقد تسن الحكومة بعض القوانين التي قد تحد من حرية الكبار ونحن نقبل ذلك راضين . . لكننا نشور ونرفض أي قيد يمس سعادة الأطفال ورفاهيتهم »<sup>(٢)</sup> .

وفي أميركا يجتمع في كل سنة مؤتمر المعنيين بالطفولة ، وكان الرئيس السابق ريتشارد نيكسون حريصاً على أن يحتفظ بعضوية المؤتمر والاسهام في جهوده برغم مهامه ، وكان من بين حديث له في افتتاح المؤتمر الحادي والعشرين قوله : « يجب أن تكون الطفولة هي حجر الأساس في بناء مجتمعاتنا ، ويجب أن تتوافر لكل طفل عندنا عزته وكرامته ، وأن يتأكد فيه احترامه لنفسه وذاته ، حتى يشب محبا لبلده ، محبا للإنسانية كلها ، وأن يمتلئ قلبه بالوفاء لوطنه ، وبالشعور بالانتماء إليه . . إذ يحس أن وطنه قد حقق له كل العزة والكرامة ، ولبي له كل حاجاته ، فاستحق منه بذلك كل الاخلاص والتقدير والحب »<sup>(٣)</sup> .

وفي روسيا يقول كبير الخبراء في التربية ورعاية الطفولة : « لقد ألغت بلادنا الألقاب والامتيازات ، ولم يعد لدينا أباطرة ولا قياصرة ، لكننا نؤكد دائماً أن في بلادنا قيصراً واحداً سيظل يتمتع بكل الامتياز والتقدير . . وذلك هو الطفل »<sup>(٤)</sup> . تلك ملامح من اهتمام بعض دول العالم بالطفل ، وتبين لنا مدى ما يقدم له من رعاية وعناية .

ومن المؤسف أننا لم نستطع أن نوفر كامل الرعاية والعناية لأطفالنا . فلا يكفي أن تكون لدينا مراكز قليلة تعجز عن تقديم رعايتها وعنايتها للملايين من الأطفال العرب في وقتنا الحاضر . ولا يكفي أن يكون عندنا عيد للطفولة توزع فيه الحلوى والهدايا التي ترسم الفرحة على وجوه البراعم الجديدة ليوم واحد أو لعدة أيام . ولا يكفي أن تقام الاحتفالات والاجتماعات والمؤتمرات التي تقدم لهم كلمات لا تغني ولا تسمن من جوع .

## أهم الوسائط

تمثل ثقافة أطفالنا في وسائل أو وسائط متنوعة ، وهي : الكتاب ، والجريدة ، والمجلة ، والاذاعة المسموعة والمرئية ، والمسرح ، والسينما ، والمعارض ، والمتاحف ، وغيرها من الوسائط الثقافية التي تنقل ألوان الثقافة إلى الطفل .

وسنقتصر تناولنا على أهم هذه الوسائط الثقافية حتى لا يطول حديثنا :



#### ٤ - المسرح

يعتبر مسرح الطفل عالماً كاملاً مستقلاً ، فدrama الأطفال تختلف عن دراما الكبار ، حيث لها طابعها الخاص المميز .

يقول مرسي سعد الدين في مقال له حول مسرح الأطفال : « إذا درسنا نمو الطفل منذ ولادته لوجدنا فيه العناصر التي تكوّن الدراما في الحركة والصوت والبكاء والضحك والايقاع : حركات الأيدي والأرجل في المرحلة الأولى ، والمشي وملاحظة العالم ، ثم الدخول في الجو العائلي أي في النشاط الجماعي المشترك . وكل مرحلة من هذه المراحل تخلق في الطفل جزءاً من أخلاقه وطباعه المستقبلية ، فغامرات المشي والحديث تخلق الثقة في نفس الطفل وتمنحه قوى جديدة ، وبمجرد أن يكتسب الطفل هذه القوى ويبدأ في استعمالها فتظهر مقاومته للكبار »<sup>(٥)</sup> .

وكتابة مسرحية الطفل فن قائم بذاته ، وينبغي أن نراعي فيه نفسية الأطفال وعقليتهم ومدى ادراكهم .

ويجب أن تكون مادة هذا النوع من المسرح نابغة من ديننا ، وتاريخنا ، وظروفنا ، وليست مستمدة من الخارج .

ويستهدف هذا المسرح تكوين جيل له ثقافة مسرحية عربية تؤهله كي يصبح متذوقاً للعروض المسرحية الخاصة بالكبار عندما يشاهدها فيما بعد .

#### ٥ - السينما

تلعب السينما دوراً هاماً في ثقافة الطفل ، فهي مصدر من مصادر معلوماته وخبراته التي يكتسبها من خلال الصورة التي يشاهدها أمام عينيه مجسدة في شكل محسوس تعكس له مناظر من الحياة وعالم الحيوان والنبات والطيور .

وأصبحت قصص أفلام الأطفال نجيء محل الحكايات التي كانت تحكيها لهم جداتهم وأمهاتهم قبل النوم عن الساحرة العجيبة ومغامراتها .

وكانت هذه الحكايات تشد اهتمام الأطفال ، وتشجّد خيالهم لما فيها من سحر وجاذبية ، ولكنها في الوقت ذاته كانت تمثل خطراً على نفسية الطفل لما تزرعه فيها من خوف ورهبة .

ولم تعد الحكاية المسموعة هي شاغل الطفل الوحيد في وقتنا الحاضر ، بل أضيفت الصورة إلى جانب الكلام المكتوب في شكل كتاب مصور أولاً ، ثم لم تلبث الصورة أن تحركت في شريط سينمائي من الأفلام العلمية القصيرة التي تحاطب عقول الأطفال .

ويشعر الطفل بمتعة بالغة حين يجلس كي يشاهد هذه الأفلام التي تستهدف توسيع دائرة ثقافته .

وليس كل ما يقدم من سينما الأطفال بالخارج ، صالحاً لتقديمه لأطفالنا العرب .

وهذا يجعل إنتاج سينما عربية شكلاً ومضموناً لأطفالنا ، ضرورة ملحة من أجل النهوض بجانب من جوانب ثقافة الطفل .

#### اعتبارات رئيسية

ومن الأمور المتفق عليها أن مجالات ثقافة الطفل تختلف وتباين سواء كانت قصة أم مسرحية أم فيلماً أم أغنية ، أم غير ذلك .

وينبغي أن تضيف هذه المجالات جديداً إلى عقلية الطفل بما تجمع بين المعلومات العامة والحقائق العلمية التي تترك تأثيراً في وجدانه .

ومن الضروري أن تحمل هذه المجالات مضموناً إنسانياً ذا انطباع أخلاقي في نفسية المتلقي .



★ ألعاب التسلية ... من الوسائل الهامة لتنمية مواهب الطفل ... وتحديد اتجاهه ★

#### ٢ - الجريدة والمجلة

هما من أهم وسائط ثقافة الطفل ، إذ تنقلان الكلمة والصورة إليه ، وتشاركان بدور مماثل للكتاب في تثقيفه .

فالجريدة اليومية ، والمجلة الأسبوعية أو النصف شهرية أو الشهرية ، دعائم قوية تسهم في إيجاد صحافة جادة لأطفالنا .

ولكن من المؤسف والمخجل أنه لا توجد لدينا حتى الآن جريدة يومية للطفل العربي .

وإذا كانت لدينا مجموعة من المجلات الخاصة بالأطفال تصدر في بعض الأقطار العربية ، فإنها لا تعدو أن تكون أكثر من محاولات تسعى لمخاطبة عقل الطفل العربي ووجدانه ، ولكنها لا تصل إلى كافة أطفالنا .

وتدعونا الحاجة إلى وجود جرائد يومية عربية ، فضلاً عن مزيد من المجلات ، حتى تلبي رغبة أطفالنا في صحافة عربية عصية متطورة .

وأما الترجمات الحرفية لمجلات الأطفال الأجنبية مثل (سوبرمان) و(لولو) و(الوطواط) ، فإنها لا تصلح لأطفالنا الذين يعيشون في بيئات عربية مختلفة عن البيئات التي يعيش فيها الأطفال غير العرب .

#### ٣ - الإذاعة المسموعة والمرئية

نعني بها الراديو والتلفزيون ، وهما من أخطر وسائط ثقافة الطفل بفضل سرعة تأثيرهما ووصولهما إلى الإحساس والوجدان .

فالإذاعة بشقيها المسموع والمرئي صارت الآن تدخل معظم بيوتنا ، إن لم يكن كلها ، فتخاطب الجميع كباراً وصغاراً من خلال برامجها الكثيرة التي تؤثر غالبيتها على نفسية أطفالنا وشخصيتهم .

ومن هنا اتجهت الهيئات المسؤولة عن الإذاعة إلى تخصيص برامج معينة كي يستمتع إليها الطفل العربي ويشاهدها .

وبعض هذه البرامج ليست جيدة من حيث الإعداد السليم ، وتحتاج إلى تطوير . كما أن الحاجة ماسة إلى برامج عربية جديدة تفيد أطفالنا .



ويجب أن نراعي ألا يكون ما يقدم من ثقافة للطفل ليست بقصد التسلية ، بل المهم أن يكون الهدف أولاً وأخيراً هو التمتع والافادة .  
إن الأطفال هم جمهور عريض من المتلقين الذين يقبلون على وسائل نشر الثقافة وتحقيقتها للاستزادة بالمعلومة والصورة الجذابتين .  
وأول ما يجب أن يعرفه المهيمون على ثقافة الطفل العربي ، هو الجمهور الذي يكتب له ، وهم الأطفال الذين يتفاوتون في المستويات النفسية والعلمية واللغوية ، بالإضافة إلى المستويات البيئية والاقتصادية والحضارية .  
وإذا لم يراعوا هذا التفاوت في المستويات ، فإن جهودهم تصبح عبثاً ، ومن الممكن أن تأتي بنتائج عكسية .  
ولا جدال أن هناك اعتبارات رئيسية يجب أن تخضع لها ثقافة الطفل ، وقد حددها أحمد نجيب<sup>(٦)</sup> ، ويمكننا الإشارة إليها :

#### (١) الاعتبار التربوية :

تعد الكتابة للأطفال أياً كان نوعها ، لوناً من التربية على جانب كبير من الفعالية والتأثير ، وبالتالي فإن كاتب الأطفال يعد مربياً بالدرجة الأولى قبل أن يكون مؤلف قصة أو رجل مسرح أو سينما . ويجب أن تحتل هذه الاعتبار مكان الصدارة في أي عملية موازنة بينها وبين غيرها بحيث لا يمكن التضحية بها - ولو بصورة جزئية أو مؤقتة - في سبيل تحقيق حبكة قصصية ممتازة أو في سبيل الوصول بالحدث المسرحي إلى قمة درامية مثيرة .



★ الرسم ، إحدى الوسائل التي نعطي الطفل مجالاً للتخيل .. والابداع واكتشاف قدراته السبقية ★

★ طفل .. ونظرة للمستقبل .. ماذا يفعل الكبار للصغار ؟ ★



#### (ب) الاعتبار الفنية العامة :

والمقصود بها القواعد الأساسية في فن الكتابة بصفة عامة سواء أكان الإنتاج الأدبي قصة أو مسرحية أو أغنية أو صورة فنية .

#### (ج) الاعتبار الفنية الخاصة :

وهي الخاصة بنوع الوسيط الذي ينقل الثقافة إلى الأطفال ، وقد يكون كتاباً أو مسرحاً أو أسطوانة أو فيلماً سينمائياً أو جريدة يومية أو مجلة أسبوعية أو شيئاً آخر ، ولكل وسيط ظروفه وإمكاناته الخاصة التي يجب أن تراعى ، وتقديم العمل الفني الواحد يختلف من وسيط إلى آخر .

#### خطة طموح

إننا نتطلع إلى ثقافة عربية في المحل الأول لأطفالنا الذين يشكلون ما يقرب من نصف تعداد العرب ، ثقافة عربية تضع في اعتبارها التراث الفكري الاسلامي العربي ، على أن تكون ثقافة موجهة تدعمها الأسرة والمدرسة ، وتقدم لها الهيئات المختصة الوسائل والامكانيات اللازمة .

ونرى أن تتحقق هذه الثقافة العربية للطفل من خلال وضع خطة طموح على المستوى العربي ، أي لا تكون خطة محلية ، بل قومية تشارك في إعدادها وتنفيذها الحكومات والهيئات العربية .

ويرتك أسلوب التنفيذ لكل قطر عربي على حدة حسب ما تتطلبه البيئة والظروف .

وتنصرون أن يبدأ تنفيذ هذه الخطة منذ تكوين الطفل في بطن أمه ، وبعد ولادته ، إلى أن يتم مرحلة الطفولة ، ثم تنعده بالرعاية في ظل خطط أخرى حتى نقدم مواطناً عربياً سليماً ، صحيحاً ، سويماً ، معافى .

والبرامج التي تحقق التثقيف لبراعمنا الجديدة المفتحة كثيرة ومتعددة . فالطفل العربي في حاجة إلى وسائل عصرية تنمي من ذكائه ، وترفع من ثقافته ، وتسهم في بناء شخصيته بناء جيداً . فنحن الكتب والصحف والمجلات والمسرح والسينما والإذاعة والزيارات العلمية ولعب الأطفال المعارض والمتاحف .

ولا ننسى دور الأم والأب ، فهما يشاركان بدور على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، وعليهما أن يشرفا على تربية طفلها وتثقيفه إشرافاً تاماً . وليست تربية الطفل قاصرة على الأم وحدها ، وكذلك ثقافته ، بل هي مسؤولية الأب كذلك .

وإذا كانت مشكلة الطفل في الماضي متعلقة بالمرأة ، فإنها الآن أصبحت تتعلق بالرجل أيضاً .

وهكذا ينبغي أن نهتم بإيجاد ثقافة عربية متكاملة وفق قيمنا الروحية وتراثنا وثقافتنا وعاداتنا وتقاليدها الأصيلة .

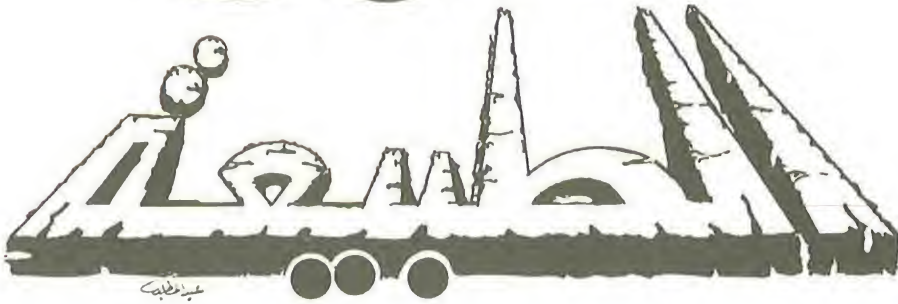
#### الهوامش

- (١) جمال أبو رية ، ثقافة الطفل العربي . سلسلة كتابك . دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٧٨ م . ص (٧) .
- (٢) المصدر السابق ، ص (٥) .
- (٣) المصدر السابق ، ص (٤ ، ٥) .
- (٤) المصدر السابق ، ص (٥) .
- (٥) مجلة المسرح القاهرية ، العدد (٤٥) سبتمبر ١٩٦٧ م ، ص (٤٥) .
- (٦) في كتابه : فن الكتابة للأطفال . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص (٢٥) وما بعدها .

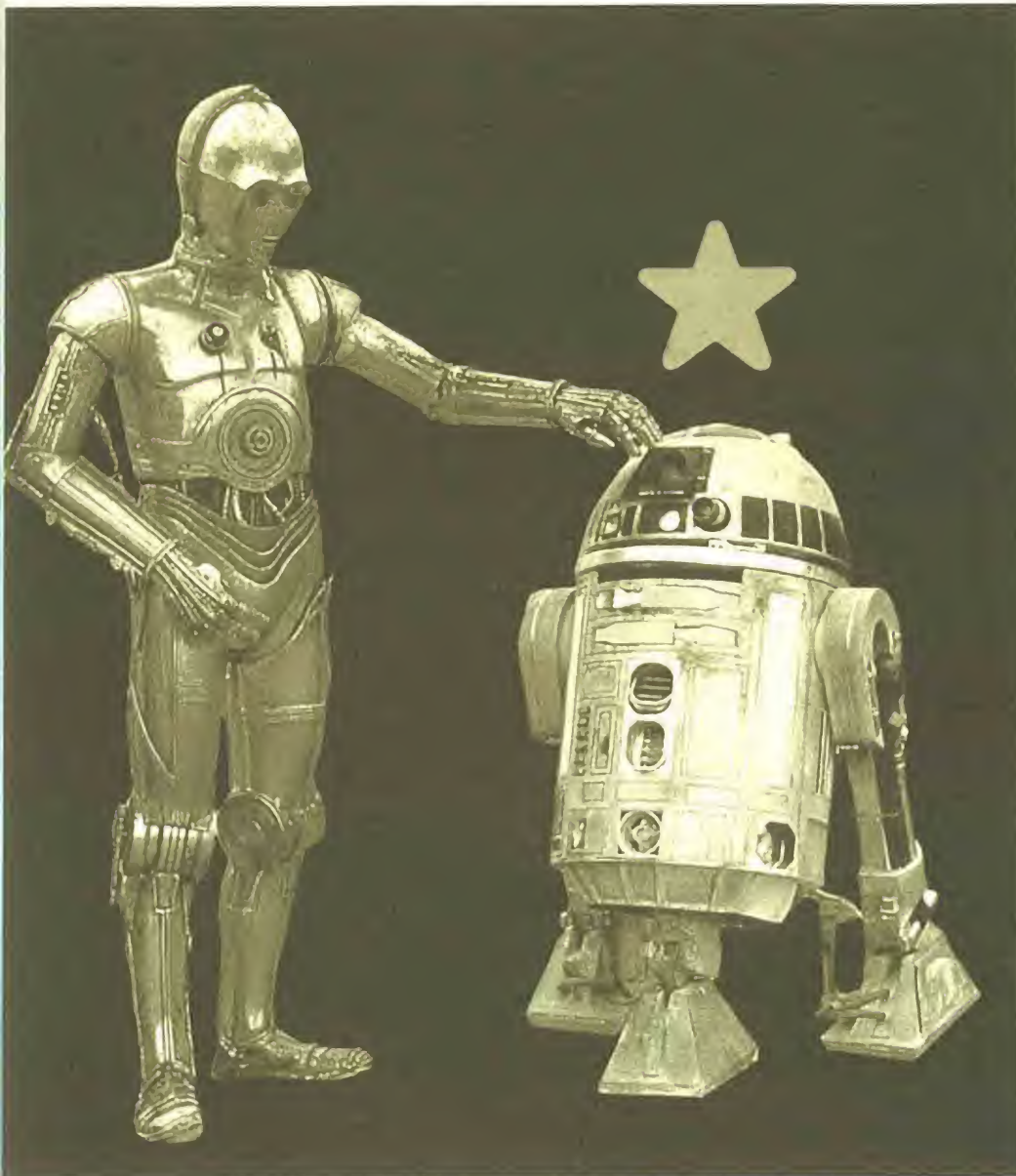




# غزو



عبدالمطلب



★ التحكم الأوتوماتيكي في عصر التكنولوجيا والتطور ★

## رحلة في



## كتاب

تأليف:

ر. ج. فوربس

عرض وتحليل:

محمد الحديدي

● إن كل ما عرفناه وكل ما اخترعناه ليس إلا تفاعلاً بين نظام حياتنا كما وجدناه وبين قدراتنا كما وجدناها وهذا وذلك إنما هو من صنع الله.

● وفي هذا الكتاب "غزو الطبيعة" يدرس المؤلف موضوع التكنولوجيا ويحاول أن يصف لنا أثره على الحياة الإنسانية، وهل تظل الآلة أداة في يد الإنسان.



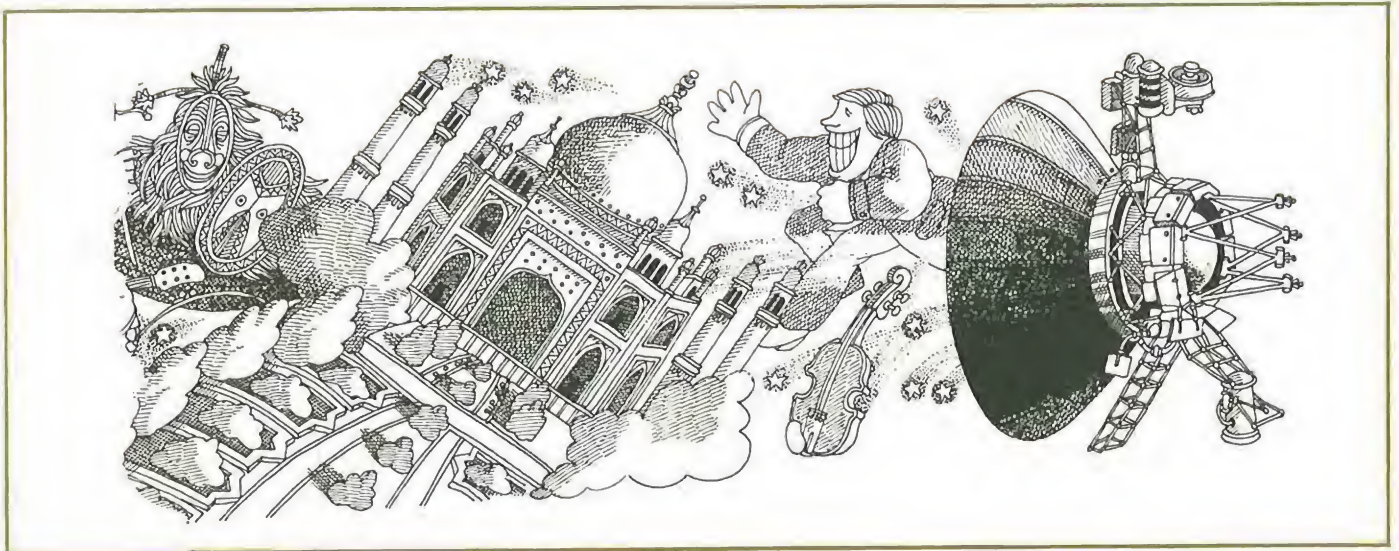


★ « في عصر حرب الاستقلال ، ولستوات بعد انتهائها ، كانت الولايات الأمريكية الجنوبية على أتم استعداد للنظر في إلغاء الرق في المستقبل القريب ، وقد ألغيت العبودية في الشمال والغرب بقرار اجماعي سنة ١٧٨٧ م ، وكان جيفرسون محقاً في أن يأمل رؤيتها تحرم في الجنوب ، ولكن سنة ١٧٩٣ م ، اخترع ويتني حلاجة القطن التي أصبحت تمكن العامل الزنجي من تنظيف خمسين رطلاً في اليوم بدلا من رطل واحد فقط كما كان الحال أصلاً ، أدت وسائل الاقتصاد في الأيدي التي استخدمت في إنجلترا إلى اضطراب الأطفال للعمل خمس عشرة ساعة في اليوم ، وكانوا يضربون بالسياط ليظلوا مستيقظين ، وأدت وسائل الاقتصاد في الأيدي في أميركا إلى ابتلاء العبيد بحياة من الكدح أقسى كثيراً مما كان عليه الحال قبل اختراع المستر ويتني . ولما كانت تجارة الرقيق قد حُرمت في ١٨٠٨ م ، فإن التوسع الضخم في زراعة القطن بعد هذا التاريخ كان لا بد له من استيراد الزنوج من الولايات الأقرب إلى الشمال والتي لا يزرع فيها القطن ، وكان الجنوب الأقصى غير صحي والزنوج يقومون بأعمال تفوق طاقة البشر ، وهكذا تحولت هذه الولايات التي لم يكن قد حرم فيها الرق إلى معامل للتفريخ تغذي الحيوانات الجالبة للريح في أقصى الجنوب . ومن الجوانب المثيرة للاهتمام في حركة المرور هذه أن الرجل الأبيض الذي يمتلك إماء سوداوات كان يعمد إلى إغجاب الأطفال منهم ، هؤلاء يصيرون بدورهم عبيداً ، وعندما يعوزه المال فإنه يلجأ إلى بيعهم للمزارعين لينتهي بهم الأمر إلى أن يسقطوا ضحايا للملاريا أو الحمى الصفراء » ★

برتراند راسل : « أثر العلم في المجتمع »

بالامكانيات الحسية والذهنية التي أودعها الله فينا بالقدر الذي شاءه ، ولو شاء لأعطانا مزيداً من القدرة ولو شاء أعطانا ما يزيد قليلاً على نصيب القردة ، وهكذا فإن كل ما نعرفه وكل ما نخترعه ليس إلا تفاعلاً بين نظام حياتنا كما وجدناه ، وبين قدراتنا كما وجدناها وهذا وذاك من صنع الله ، ولكن هذا لا يعني حقيقة أخرى وهي أننا عندما نصنع منضدة ، فإن هذا الشيء الجديد الذي نصنعه لغرض محدد هو أن نضع عليه الطعام ، سيفرض نفسه على أسلوب حياتنا ، عندما يصبح تناول الطعام على المنضدة شيئاً مألوفاً ، يمكننا من أن ننفق وقتاً أطول وأن نستمتع بسوجباتنا براحة أكثر .. الخ ، وفي النهاية فإن حياتنا تتخذ أشكالاً جديدة وتقاليد جديدة ، ولا فرق بين صنع المنضدة وصنع الطائرات ، كلاهما نتاج لقوانين الكون وطبيعة المادة وقدرة الإنسان الذهنية واليدوية ، كل هذا ليس من صنعنا ، كله من صنع الله ، ولكن هذا لا يعني أننا في الحالتين قد نجعل الأمر خيراً وقد نجعله

أثر العلم ، والتطبيق العلمي ، على المجتمع الإنساني ، كان موضع توقعات وتأملات الكثيرين من الفلاسفة والأدباء . وعندما نرى مفكراً مثل برتراند راسل يصف أموراً بهذه البشاعة ، ثم نرى كاتباً مثل جورج أورويل في رواية « ١٩٨٤ م » يتصور التكنولوجيا وهي تطبق على الناس فتحوهم إلى عبيد لا يستطيع الواحد منهم أن يخلو بنفسه دقيقة واحدة ، ثم الدوس هكسلي وهو يصف لنا التناسل الآدمي في المستقبل ويتخيل « أطفال الأنابيب » ينتجون بمواصفات تلائم مطالب رجال الاقتصاد والصناعة ، وكاتباً أميركياً معاصراً يتخيل أنه باختراع الحاسب الالكتروني أصبح ممكناً توحيد العالم كله في دولة واحدة يسيطر عليها « كومبيوتر » واحد كبير . عندما ترى كل هذا فإنه لا يجعلنا نصدق هذه الكوابيس ، إنه فقط يجعلنا نزداد إيماناً بأن كل شيء في حياتنا يمكن أن يكون خيراً أو شراً ، وإن الله خلق هذا الكون وجعل له نظاماً هو الذي نكتشف نزراً يسيراً منه نسميه « العلم » ، وإننا نكتشف هذا







### الانسان والآلة

يعرض المؤلف في هذا الجزء لتاريخ الإنسان صانع العدد «هومو فابر» كما يسميه علماء **الانتروبولوجيا**، ويقول إن اختراع أبسط أنواع العدد قد يرجع إلى خمسة وعشرين مليون سنة، وإن بعض الكائنات التي هي أدنى من الإنسان قد تلجأ لاستخدام بدائي لشيء أو آخر تستخدمه في التغلب على صعوبة معينة، ولكن الإنسان يتفرد بين الكائنات بقدرته على التفنن في صناعة العدة واستخدامها وقد حياه الله بيد وأصابع لا تماثلها تلك التي تمتلكها فصائل الحيوان ذات الأصابع، وإن الحضارات كانت تقف حائلاً دون التقدم، حتى بعد وجود المعرفة وانفتاح الطريق أمام التطبيق. ثم جاء اكتشاف النار فأحدثت تغيراً هائلاً في المجتمع الإنساني بإمكان شيتين: **الدفع، وطهي الطعام.**

وجاءت النار أيضاً **بالضوء**، ولكنه إلى عهد قريب كان يعتمد على **الشمعة**، وهكذا ظل الاعتماد على ضوء النهار قيداً على حركة الإنسان إلى حين استحداث **الكهرباء**.

أما في **الفنون** فكانت عقائد سكان **مصر وما بين النهرين** هي رائدة كل أعمال النحت والتصوير، وكانت هذه العقائد في أحيان كثيرة تحرم العبث بالمعادن أو محاولة الانتفاع بها. ولكن العائق الأساسي أمام تكنولوجيا العصور القديمة كان هو الافتقار إلى الآلة التي يمكن أن تستبدل بالجهد البشري أو الحيواني، لم يكن هذا عائقاً أمام بناء **الأهرامات**، ولكن هذا كان يستلزم بشراً كثيراً، وبعد هرم **خوفو** أتمودجاً للبناء الشامخ الذي لم تستخدم فيه حتى أبسط أنواع آلات رفع الأثقال، رغم أنه يضم ٢,٣٠٠,٠٠٠ مكعب من الحجر الجيري، تزن كل منها أربعة أطنان، تغلفها مكعبات من الجرانيت جيء بها من أسوان، وكان هذا منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة، ويقدر **هيرودوت** أن مائة ألف فرد كانوا يقيمون في موقع العمل بصفة دائمة، مما يحتم الجيء إليهم بالطعام والشراب ويختلف الحاجيات.

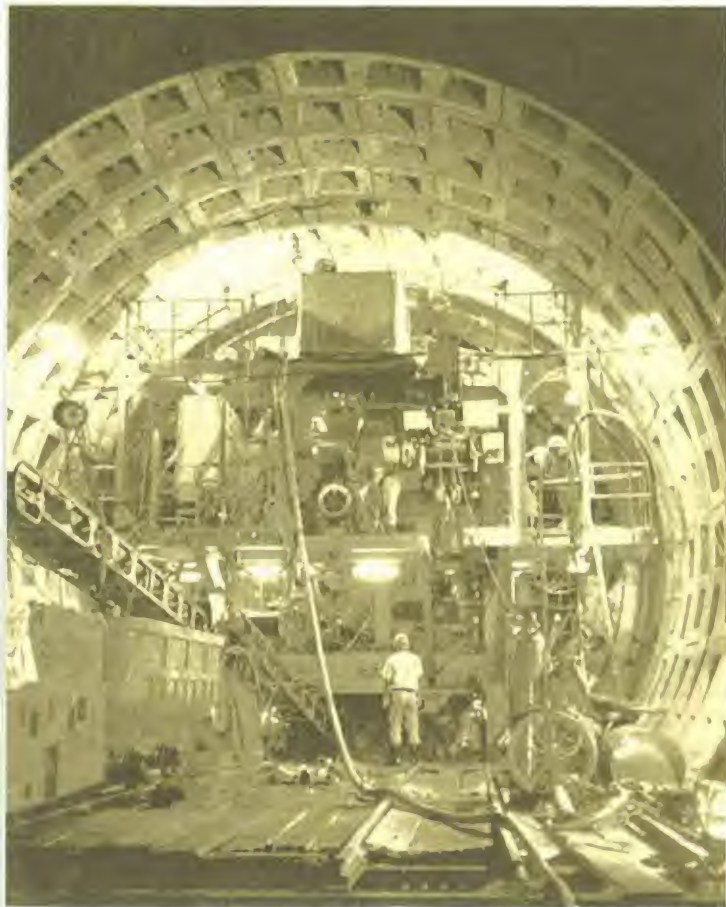
شراً، وقد تصبح المضطدة سبيلاً إلى انفاق الحياة في الطعام والشراب، وتصبح الطائرة وسيلة للدمار وارقة الدماء، وقد تصبحان مجرد وسيلتين لجعل الحياة أسهل وأيسر وأكثر إثماً وفائدة.

وفي هذا الكتاب «غزو الطبيعة» كما هو في كتاب **راسل**، يدرس المؤلف ر. ج. فوريس موضوع «**التكنولوجيا**»، ويحاول أن يصف لنا أثره على الحياة الإنسانية، هل تظل «**الآلة**» أداة في يد الإنسان؟ أم أن تطور التكنولوجيا سوف يستمر في تشكيل الحياة الإنسانية بآثاره العكسية، نحن نصنع الآلة والآلة بدورها تؤثر في حياتنا. وبدلاً من أن تظل أداة في يدنا يأتي يوم نصبح نحن فيه أداة في يد الآلة، ويصبح الإنسان مجرد أشياء تكل هذه الآلة، مجرد «قطع» تسخر لخدمة التكنولوجيا، كما يتصور **الدوس هكسلي**!

والمؤلف: ر. ج. فوريس، عضو أكاديمية العلوم في **هولندا**، وسكرتير الجمعية الهولندية للعلوم، وكان أستاذاً لتاريخ العلوم والتكنولوجيا في جامعة **أمستردام** من سنة ١٩٤٧ م إلى سنة ١٩٦٧ م، ثم عمل مستشاراً دولياً للجنة تاريخ التطور العلمي والثقافي للإنسان التابعة لليونسكو، وله مؤلفات عديدة في هذا المجال منها: «**الإنسان، الصناعات**»، و «**دراسات في التاريخ القديم للبترو**»، ثم مؤلف ضخمة من تسعة أجزاء عنوانه «**دراسات في تكنولوجيا العصور القديمة**»، وسرى في رحلتنا معه إلى أي مدى تصل ثقافته في هذه المجالات المتنوعة التي تضم **التاريخ والأدب والفن والعلوم والهندسة والتكنولوجيا**! وإلى أي مدى نحن في حاجة إلى هذا التنوع الثقافي الذي يعرض له الروائي الشهير ذو الخلفية العلمية العميقة: **س. ب. سنو**، صاحب «**الثقافتين**»، مما يعرض له **فوريس** في كتابه هذا أيضاً.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: «**الإنسان والآلة**»، ثم «**الإنسان والبيئة**»، ثم «**البيئة والإنسان**»، وسوف نتناول كلاً منها على حدة.





★ التقدم الصناعي ★

ويانتشار فكرة احلال الآلة محل الجهد البشري والحيواني ، ظهرت الحدود الضيقة لطاقة الريح والماء ، اللذين يستخدمان في دفع المراوح والعجلات ، وبدأ عصر البخار بتطورات ، وظهرت مشكلة المهارة المطلوبة في صناعة هذه الآلة بدقة تمنع التسرب الذي يحد بدوره طاقتها ودرجة الضغط الممكنة . وفي بداية القرن التاسع عشر كانت هناك ٤٩٦ آلة صنعت بناء على تصميم المهندس الشهير جيمس وات .

وفي منتصف ذلك القرن كان قد استحدثت القطار ووصلت الثورة الصناعية إلى أقوى أثر لها على حياة الإنسان حتى هذا الوقت ، وفي نهاية القرن كان قد تم توليد الكهرباء باستخدام مساقط المياه عن شلالات نياجرا ، وبمجيء عصر الكهرباء انحلت مشكلة نقل الطاقة من مكان لآخر دون الحاجة إلى الحركة .

وقد كان للتطور الجديد في مصادر الطاقة أثره العظيم على الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية ، وأصبح وجود الفحم والحديد هو العامل الأساسي في تطور المجتمعات ، وبمجيء الثلاثينات من القرن العشرين كانت أبحاث استخراج الطاقة من

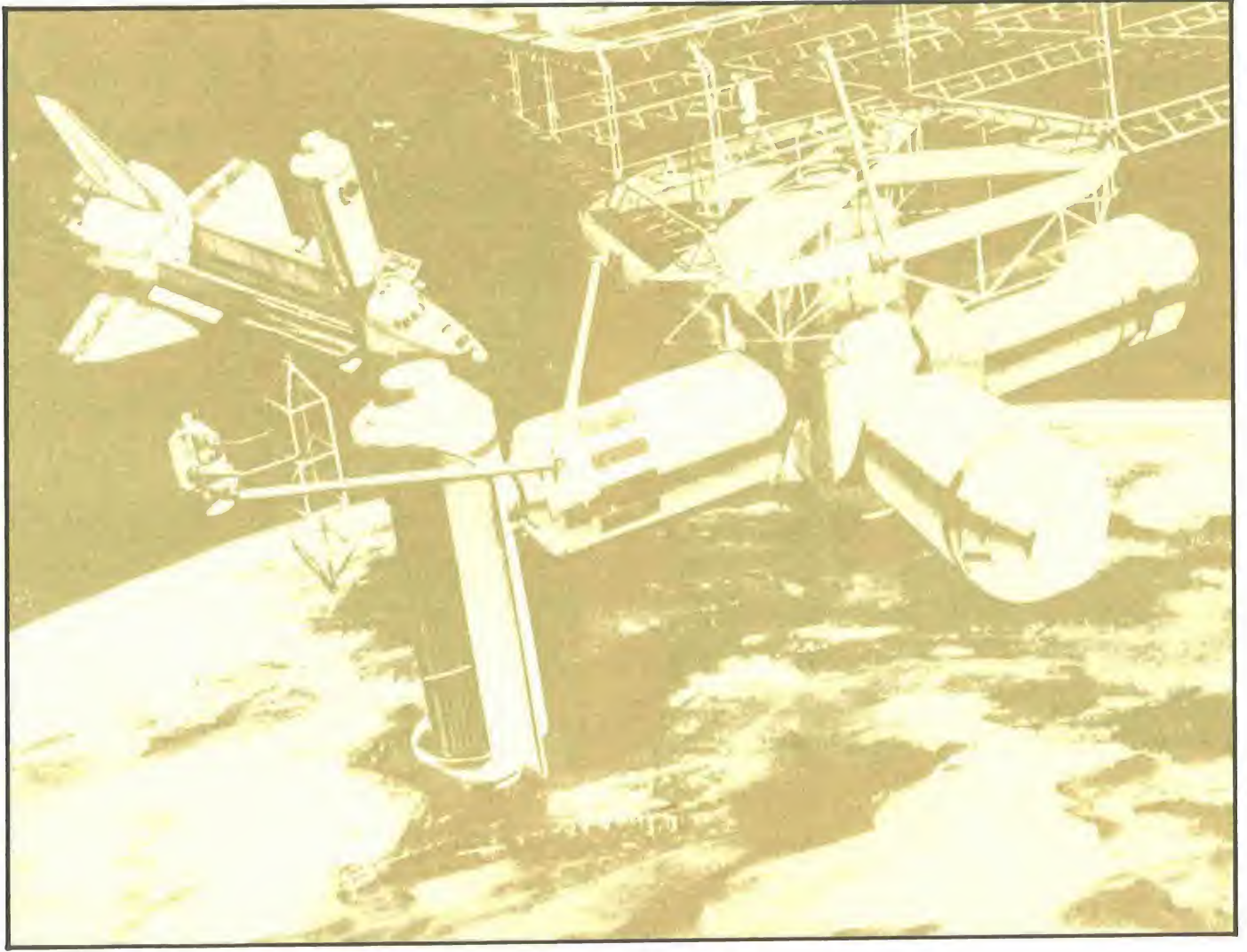


★ حلم الإنسان في الصعود إلى القمر... وقد تحقّق ★

وقد استمر الجيش المصري يستخدم القسي والسهام المزودة بالحجارة في أطرافها ، إلى حين استحداث البرونز الذي جاء منذ ثلاثة آلاف سنة ، ومنذ هذا الحين وكل العدد تصنع من البرونز أو النحاس ، إذا شح القصدير اللازم لصنع سبيكة البرونز . وعندما جاءت الميكنة تحولت « الطوائف » المهنية إلى النقابات وعندما تداعى المجتمع الاقتصادي عمدة التجار وأصحاب الأموال الذين أصبحوا أقوياء بفضل هذا التحول ، عمدوا إلى إنشاء علاقة جديدة غير طيبة بين العمال وأصحاب الأموال ، تطور هذا إلى « المصنع » كما نعرفه الآن . . وفي القرن السادس عشر والسابع عشر توالى تصورات الفلاسفة وخيالهم ، وتحمس فرانسيس بيكون للعلم والتطبيق العلمي ، وتحيل أن العلم هو مفتاح الكون والسبيل إلى معرفة أسرار ، وإلى حياة إنسانية هائلة .

وفيا بين سنتي ١٧٣٠ - ١٨٨٠ م ، جاءت التغيرات الدرامية ، والتي يمكن أن تعد مقدمات لـ « الثورة الصناعية » التي بلغت ذروتها سنة ١٨٨٠ م ، وقد اكتسبت دفعها الأولى في الجزر البريطانية بظهور صناعات اسكتلندا وميدلاند ، وتبعها فرنسا ثم ألمانيا التي تخلفت بسبب التفكك ، وبمجيء سنة ١٨٦٠ - ١٨٧٠ م ، كان المدق غطى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً .





★ غزو الفضاء بأساليب التكنولوجيا المتطورة ★

ودور الآلة في الصناعة ، وتساعدت الإنتاجية إلى درجة أن إنتاج « شمعة ضوئية واحدة » ، (وهي مقياس الضوء الكهربائي) ، في بلد صناعي يتكلف الآن واحداً من ستين مما كان يتكلفه هذا منذ مائة سنة ، وفي مقارنة واحدة يقول لنا المؤلف إنه في مدينة بتسبرج في الولايات المتحدة يمكن بالوسائل الأوتوماتيكية والإدارة الكومبيوترية ، إنتاج القدر من المعدن الذي لا بد له من أربعين ألف رجل ساعة (أي أربعين رجلاً يعملون لمدة ألف ساعة مثلاً) لكي يتم إنتاجه في بلد إفريقي مثلاً ، حيث ما زالت وسائل العمل هي تلك التي كانت سائدة منذ أوائل عصر الحديد .

ولكن ، هل أدى هذا إلى تقوية مركز الانسان في هذا الكون ؟

النتيجة هي النفي القاطع .

#### الآلة ، والبيئة الانسانية

يقول المؤلف : إن التكنولوجيا كانت شيئاً شبيهاً بشجرة الأمل ، تأتي بالثمر الطيب ، وباللعنة التي تحل أيضاً ، إنها على أية حال ، نتاج لذهن الانسان ، ويده !

الذرة قد بدأت ، وفي منتصف الخمسينات كان قد تم بناء محطة توليد للطاقة الذرية في كل من إنجلترا وأمريكا .

وأصبح التقدم العلمي يعتمد أساساً على البحوث ، والبحوث تستلزم مالا لا تحلله إلا الصناعات الكبيرة ، وأثناء سنة ١٩٥٣ م ، أنفقت الولايات المتحدة ما يزيد على خمسة آلاف مليون دولار على البحوث ، نصفها من أموال الصناعات الخاصة .

أما التحكم الأوتوماتيكي فترجع فكرته إلى القرن التاسع عشر ، ولكن التطبيق الحقيقي جاء بعد الحرب العالمية الثانية ، وأمكن لعمليات الإنتاج أن تبدأ وتستمر وتتحاشى الأخطاء مع صيانة الآلات المنتجة ، كل هذا بضغطة زر لا يعقبها تدخل آدمي . وهكذا بدأت الآلة تقوم بعمل الإنسان وبدأ المهندسون يقلدون الحيوان والإنسان فيما يصنعونه من آلات ، وجاء هذا في النهاية بالكومبيوتر .

وليس الكومبيوتر فكرة جديدة ، فقد صنع باسكال أول أداة حاسبة سنة ١٦٤٢ م تقوم بالجمع فقط ، وجاء لايبنتز سنة ١٦٩٤ م فأدخل عليها عمليات الضرب ، وفي سنة ١٩٤٤ م ظهرت أول آلة حاسبة حقيقية . ولكن الكومبيوتر كما نعرفه الآن قد أدى إلى تطور جديد في دور الإنسان





★ استخدام التكنولوجيا في تطوير الزراعة ★



★ الأهرامات الثلاثة .. حيث يظهر هرم خوفو الأول من على اليمين ★

ومن الزحام والضجة والاشعاع ، ويقدر التكنولوجياون أنه بمجيء سنة ٢٠٠٠ م ، ستصل حاجة المدن من الماء إلى خمسة أضعاف ما كانت عليه سنة ١٩٠٠ م . وأن الحل الوحيد هو إعادة تنقية المياه المستهلكة والحد من الاسراف ، ولن تكون التنقية سهلة لأن التوسع في استخدام المنظفات والكميائيات مشكلة عويصة .

أما عن الطاقة ، فالتقدير المتواضع أن الاستهلاك يتزايد بمعدل ٤٪ كل سنة ، وأنه بمجيء سنة ٢٠٠٠ م ، ستحتاج إلى استهلاك قدر من الفحم يصل إلى خمسة أضعاف القدر الحالي ، ويقس العلماء الطاقة على المستوى العالمي بوحدة قياس ضخمة إذا رمزنا لها بالرمز ق ، فإن ق تعادل من الوحدات الحرارية البريطانية عشر ، مضروبة في نفسها ١٨ مرة وهو ما يأتي من ٢٦ ألف مليون طن من الزيت أو ٣٦ ألف مليون طن من الفحم ، ويقدر أن منذ عصر ما قبل التاريخ إلى سنة ١٨٥٠ م ، استهلك البشر من ٦ إلى ٩ ق ، وفيما بين ١٨٥٠ - ١٩٦٠ م ، تم استهلاك ٥ ق ، أما في القرن التالي فيقدر الاستهلاك بـ ١٠٠ ق !!

والأمل معقود على الطاقة الذرية ، فبرغم أخطارها ، تبدو أنها المخرج الوحيد ، وإذا تصورنا مدينة تعدادها نصف مليون تستخدم محطة توليد تقليدية تعمل بالفحم ، فإن عشرة كيلوجرامات من الفحم تكفي لامتداد هذه المدينة لمدة ثلث ثانية ، ولكن عشرة كيلوجرامات من الأيدروجين تستخدم بالتحطيم الذري ( وهو ما يحدث في القنبلة الهيدروجينية ) تكفي لإدارتها لمدة ثلاثة أشهر ، أما إذا أمكن تحويل المادة كلها إلى طاقة بطريقة السحق

لقد أدى تطور نظرية الحرارة إلى اختراع التبريد ، وفي سنة ١٨٧٦ م ، كانت السفن المزودة بوسائل التبريد تجلب اللحوم لأوروبا من استراليا وأمريكا الجنوبية . وسنة ١٩١١ م ، تم التوصل إلى التجميد العميق ، وفي سنة ١٩٢٥ م ، بدأ تزويد ربوات البيوت بالأطعمة المطهية سلفاً . وقد أدخلت الميكنة على الزراعة ، وتحسنت وسائل الري بفضل التكنولوجيا ، وبإمكان حفظ الأطعمة بالتبريد ، وتحسين الإنتاج الزراعي ، إلى جانب وسائل ترشيد التكاثر البشري ، يتسنى قبل نهاية القرن العشرين القضاء نهائياً على الجوع ، ولكن الذي يحدث للآن هو أن قلة قليلة تنعم بهذه الثمار ، ما زالت مئات الملايين من البشر تنضور جوعاً .

ونج عن هذا نقص عظيم في الأيدي اللازمة للزراعة في البلاد المتقدمة ، وبدأ النزوح إلى المدن التي بدأت تتضخم ، وفي الولايات المتحدة ، كان ٧٢٪ من القوة العاملة يعيش على الأرض الزراعية سنة ١٨٢٠ م ، وهم الآن ١٢٪ وباستحداث وسائل مكافحة الحشرات والأفات ، وعلى رأسها د . د . ت . ، الذي يملأ الآن المحيطات والأنهار وتأكله الأسماك ثم نأكلها نحن ، وبتزايد نفايات الصناعة ، بدأ تلوث البيئة يصبح خطراً يهدد البشرية . جاءت المدينة الحديثة بنوع جديد من الحياة ، وكانت الكثافة السكانية في أميركا قبل الاستقلال فرداً في الميل المربع ، وفي المدينة الأميركية الكبيرة الآن يعيشون خمسة عشر ألف فرد في الميل المربع ، وسبعون في المائة من الشعب يعيش فوق واحد في المائة من المساحة ، وتعماني المدينة من زحام المرور وانتشار مناطق الحواري المتخلفة ، ومن تلوث الهواء وتلوث الماء وقلته أيضاً ،



النووي (وهو ما لم يتم لأن ، ولكنه في الطريق) فإن عشرة كيلوجرامات من أي مادة ، قد تكون ماء المحيط مثلاً ، تكفي لامتداد هذه المدينة بالكهرباء لمدة خمسين سنة !!

ولكن ٣٣٪ من سكان العالم يستهلكون ٨٢٪ من الطاقة !! ويصل معدل استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة إلى عشرة أطنان من الفحم سنوياً للفرد ، هذا المعدل هو سبعة في إنجلترا ، وواحد في إيطاليا ، ونصف في الهند ، وخمسة وأربعون من المائة في مصر .

### تصدير التكنولوجيا

يتطرق المؤلف بعد ذلك إلى واحد من أخطر الموضوعات في كتابه وهو : هل يمكن تصدير التكنولوجيا ؟ إنه يجيب بالنفي على هذا السؤال ، ويتخذ الصين التي عاصرت الثورة الصناعية مثالا ، ويقول إن المجتمع الشرقي لا يؤمن بإمكان « غزو الطبيعة » وإن حكام الصين في هذه الآونة كانوا بيروقراطيين وليسوا على استعداد لترك فئة أصحاب الأعمال تنمو كما حدث في الغرب ، وهو لا يفتي أن المهارة والاستعداد للعمل التكنولوجي يتسوفران ، ولكن « التراث » يمنع ذلك .

نجد المؤلف هنا يبدأ الحديث - فجأة - بكلمة « نحن » ، ويتخذ من نفسه متحدثاً باسم العالم الصناعي الغربي ، وكيف « أننا » مطالبون بتصدير التكنولوجيا إلى « هم » ولكن البيئة هناك لا تطبق عليها ذلك ، وهذا هو الموضع الوحيد في الكتاب الذي يفقد فيه المؤلف قدرته على الانقاع ومعها أسلوبه العلمي ، وبالتأكيد ، لا ترد كلمة « اليابان » في هذا الكتاب من أوله لآخره ، ولولا ما يعرضه المؤلف من علم زاهر بالعلوم والسياسات والتاريخ والفلسفة ، لكان يمكن أن يظن القارئ أنه لم يسمع باليابان في حياته !! وتحت عنوان « التكنولوجيا والتطور » يأتي المؤلف ببيان صادر من الجمعية الأمريكية لتقديم العلوم ، وهو : « إن القوى والعمليات التي أصبحت تحت تصرف البشر أصبحت الآن في حجمها وقوتها تمكنه من التأثير على البيئة ، وأصبح ضرورياً الآن توجيه هذه القوة نحو خير الإنسان لأن احتمالات الشر رهيبه جداً » .



\* أندريه ماريو \*



\* فرانسيس بيكون \*

صحيح هذا من الناحية العملية ، ومن حيث المبدأ ، ولكن المرء يشك شكاً كبيراً في أن سيطرة الإنسان على البيئة تصل إلى هذا الحد ، مع ادراكنا أن مكانة الإنسان في الكون - كائنة ما كانت - هي ، كما سبق ، نتاج القدرة التي أودعها الله فيه ووجد نفسه عليها ، ولكن ... هل هي حقاً كذلك : إن تزايد سيطرة الإنسان على البيئة يصاحبه « تلوث » هذه البيئة إلى درجة لا يعلم إلا الله عواقبها ؟

يتطرق من ذلك إلى « عواقب التحكم الأوتوماتيكي » وما يصحبه من ضرورة التخصص ، ويقول إن المهندس العسكري كان إلى عهد قريب صنواً للمهندس الإنشائي ، وكان يمكن أن يترك الخدمة العسكرية ليشتغل إنشائياً ، أما الآن فالمهندس العسكري أصبح يتخصص في أمور تجعله لا يصلح لشيء آخر ، وسيأتي وقت يصبح فيه من يريد أن يكون مهندساً في فرع ما ، متخصصاً إلى درجة تجعله لا يعرف أي شيء آخر .

يا لها من نكسة للثقافة والفنون لو أن هذا وقع حقاً !! يصحب ذلك أن التطور التكنولوجي أصبح يتبع الكشف العلمي بسرعة قصوى ، وعندما أمكن العلماء أن يدركوا إمكانية صنع قنبلة ذرية ، فإن سبع سنوات فقط مضت قبل تفجيرها فوق هيروشيا . ومضت ثلاث سنوات فقط بين اختراع الترانزستور والبدء في تسويقه تجارياً سنة ١٩٥١ م ، وستتان بين اختراع البطاريات الشمسية واستخدامها ، (١٩٥٣ - ١٩٥٥ م) وثلاث في حالة البلاستيك (١٩٥٥ - ١٩٥٨ م) ، بل إن التطبيق التكنولوجي أصبح يكاد يسبق الكشف العلمي ، وفي حالة القنبلة الذرية يقول إن لصوص الخزائن فتحوا خزينة الذرة قبل أن يتمكن صانعو الأقفال من فهم نظام عمل القفل !

ويتنبأ المؤلف بتزايد عظيم في أهمية العمل الحربي ، ويقول إن الرغبة في التفوق الحربي هي التي جاءت بالأقمار الصناعية والهبوط على القمر .

### البيئة والإنسان

في بداية هذا الجزء الأخير من الكتاب يعرض المؤلف لموضوع « الثقافتين » كما أسماه س . ب . سنو ، ويستشهد بفقرة من كتاب لأرثر كوستلر ، يصف فيه استعداد الفرد المعاصر ذي التعليم العادي ، للاعتراف بجهله بكل ما هو تكنولوجي مع حبه للنظائر بادراكه للفن والجماليات ، ويخرج من ذلك بأن إنسان هذا العصر يعيش في عزلة فكرية وعاطفية عن التكنولوجيا التي تحيط به والتي لها كل هذا الأثر على حياته .

ويضيف أن الصحافة تسبب في مزيد من تعقيد هذه المشكلة بجهل كتابها بحقائق التكنولوجيا ، تسمية الكمبيوتر بـ « العقل الإلكتروني » وإطلاق اسم « الذاكرة » على وحدة تخزين المعلومات فيه ، كل هذا يصور الأمور بصورة مخالفة للحقيقة ، وتجعل عامة الناس تتصور أن هذه الأشياء لديها صفات تشبه صفات الحيوان أو الإنسان وهي بعيدة عن ذلك .

ويتنقل من ذلك إلى أن النظرة الفلسفية المعاصرة تعد الإنسان « ملتزماً » بالتكنولوجيا ، التي أصبحت تنطور مستقلة عن إرادة هذا الإنسان إلى درجة تجعلها قادرة على استعباده ، وأن « النظام التكنولوجي » أصبح هو البيئة الثابتة ، هذه البيئة تتميز بأنها :

- ١ - مصطنعة .
- ٢ - مستقلة .
- ٣ - تنمو طبقاً لعملية عقلية ، (من العلة ، أو العلل) .
- ٤ - تضع الوسيلة فوق الغاية .
- ٥ - تجعل أجزاء المشاكل تتشابك إلى درجة يستحيل معها فصل أي مشكلة عن النظام التكنولوجي المسيطر .

ويضيف أن الإنسان أصبح عبداً للشيء الذي استحدثه ليكون هو - هذا الشيء - عبداً له ، وينقل عن نيتشه : قوله إن إعادة تقدير القيم لا بد أن



## التكنولوجيا والفن

هذه الحلقة : الإنسان والآلة والبيئة ، تضم في داخلها النظام الاجتماعي الذي تأتى به التكنولوجيا ، ولكنها - هذه الحلقة - دائماً تتلقى النبض من المعنويات الإنسانية ، والذي يقال الآن هو إن التكنولوجيا سوف تدمر الثقافات ، وإنها ستقضي على الفن بأن تقسم الناس إلى أهل فكر قليلين ، وجماهير عريضة من مستهلكي الفن الذين يأكلون ما يعطى لهم بلا تمييز . ولكن التاريخ لا يعطينا ما يدل على تعارض التكنولوجيا مع الفن ، وقد كانت التكنولوجيا على جانب عظيم من التقدم في أثينا بيريكليس ، وكانت فلورنسا في عصر مدينتي مركزاً صناعياً عظيماً ، وكذلك باريس أيام إنشاء الأكاديمية الملكية .

الواقع أن التكنولوجيا والفن شيان متلازمان ، وإن كان الممارسون فريقين مختلفين ، وإذا كانت التكنولوجيا قد تسببت بالوسائل الجماعية أو الجماهيرية في الهبوط بمستوى الفن ، فإنها من ناحية أخرى قد نشرت الثقافة وجعلتها في صوت كل إنسان ، قد أوجدت ما أسماه أندريه مالرو « المتحف الذي لا جدران له » .

### تعليق

إلى جانب ما أسلفناه عن إغفال المؤلف لدور اليابان في تاريخ التكنولوجيا ، وما يمكن استنباطه من هذه الحالة الفريدة ، فإنه قد أغفل أيضاً تجارب الصين وكوريا ، وكلتاهما تنتمي إلى تراث بعيد عن مهد التكنولوجيا في أوروبا وأمريكا .

كما نأخذ عليه أنه لم يعط للجوانب السياسية حقها من الدراسة ، وبصفة خاصة قدرة الحكومات على قهر الشعوب ، وقدرة أصحاب المذاهب العنصرية على استخدام التكنولوجيا - ولو في المستقبل - في تحقيق الكابوس المرعب الذي يتخيله الروائيون الذين أتينا على ذكرهم في البداية .

وفي هذا فإن كتاب راسل « أثر العلم في المجتمع » وهو يتعرض للعلم ولتطبيقاته ( التكنولوجيا ) يعد أوفى من هذا الكتاب ، إلا أن كتاب فوربس يحوي الكثير عن تاريخ العلم والتكنولوجيا وتطوراتها مما لا يأتي به كتاب راسل .

والحقيقة تبقى : سواء كانت التكنولوجيا شراً أكثر منها خيراً ، أو خيراً أكثر منها شراً ، فإن عالم اليوم - والمستقبل - ينقسم إلى نوعين من المجتمعات ، تكنولوجي ، وغير تكنولوجي ، وكلما كان المجتمع غير تكنولوجي - ومهما خيل لأهله أنهم ينعمون به من مميزات - فإنه سيكون هو الضعيف والفقير والمتخلف ، وبعبارة أخرى ، هو مخزن الخاسمات والأيدي العاملة الذي يمد السادة التكنولوجيين بما يحتاجونه . وأبسط ما يضاف لذلك : الحرب ، والحرب الحديثة لا تنسى إلا للتكنولوجيين وحدهم ، والقنبلة عندما تسقط ، سواء كانت ذرية أم غير ذرية ، فإنها لا تفرق بين الشجاع والجبان ، ولا هذا وذاك تختلف ميته بتأثيرها التكنولوجي .

تؤدي إلى أن العلاقة بين الغاية والوسيلة قد انعكست بتأثير التكنولوجيا ، وإن الإنسان لم يعد ينظر إليه على أنه « غاية » وإنما هو « وسيلة » مادية للجهاز الصناعي ، أو بعبارة أخرى ، الوسيلة التي يتحقق بها هذا النظام الاجتماعي الجديد .

وما تزال القنبلة الذرية أمودجاً واضحاً لهذه الفكرة ، والذين يهتمون النظام التكنولوجي يخلق هذا الشيء المخيف وبداية عصر الرعب النووي ، يتجاهلون طبيعة القرار الذي اتخذ بشأن إنتاج أول قنبلة ، صحيح أن هذا القرار كان سياسياً ولكن العلماء الذين اشتغلوا بصنع القنبلة كانوا متساقين وراء اهتمام مجرد بالظاهرة العلمية ، هذا الاهتمام كان سابقاً بوقت طويل لاستخدام القنبلة في قتل إخوتهم في الإنسانية .

وبينا يمضي العلم مضطرباً في منطق تشحذه رغبة العلماء في كشف أسرار المادة ، فإن التكنولوجيا تفتقر إلى هذا التركيب الداخلي الذي كان يمكن أن يحدد تطوراتها المستقبلية . إن « نظرية العمل » التي تسيّر التكنولوجيا بمقتضاها ما هي إلا وسيلة براجماتية لمواجهة الحاجات الناشئة عن البيئة الإنسانية ، هذه الدوافع البشرية هي التي تحرك التطبيق التكنولوجي .

وتوفر التكنولوجيا مجالا واسعاً للاختيار ، فالإنسان يستطيع السفر على قدميه أو على ظهر دابة أو بالقطار أو السيارة أو الطائرة . . الخ ، كل هذه الوسائل ما عدا الأولى والثاني جاءت بها التكنولوجيا ، ولا تقتصر الفوائد هنا على هذا ، فهي أيضاً تخفف تكاليف السفر وتجعلها في مكنة أغلب الناس ، بعد أن كان السفر قصراً على الأغنياء أو المغامرين ، ولكن هذه القدرة على الحركة هي التي أدت إلى ازدحام المدن وبالتالي الحد من الحرية ووسائل المتعة . . . فهي تعطي ثم تأخذ ، وأما من حيث تأثيرها على تكوين الإنسان ، فإنها بتمييزاتها وعمورها ، بالضجة والزحام من ناحية ، وبالتكييف ووسائل النقل والخدمة الصحية من ناحية أخرى ، لا يبدو أنه قد أصبح لها تأثير على التكوين البيولوجي للإنسان ، ويبقى هذا السؤال بدون إجابة : إلى أي مدى قد تأثر تكوين الإنسان بفعل الأشياء التي تسبب هو في إيجادها ؟

ولكن التأثير على الحياة الجماعية واضح جداً ، القانون مثلاً ، أغلب القوانين التي نعيش في ظلها الآن نتجت عن استحداث السيارة والطائرة والأسلحة النارية والذرية . . الخ ، وهذا بدوره يؤكد قول بأن قدرة الإنسان على ممارسة التكنولوجيا تفوق قدرته على استخدامها بحكمة . ومن نتائج ذلك توسيع سلطة الحكومات وتدخلها في أخص أمور الشعوب ، وهذا هو موضوع رواية أورويل التي سبقت الإشارة إليها ( ١٩٨٤ م ) ، والتي اقترت الآن ، وهناك من يقول إنه إذا لم يصبح العالم بالصورة التي يرسمها أورويل في هذه الرواية فإن بعض الفضل في ذلك يرجع إلى تحذيره للعالم بكتابتها .

يجرد تضخم المدينة ووصولها إلى ما هي عليه الآن قد أدى إلى شكل جديد من أشكال المجتمع الإنساني ، بشكل تسوده الأنماط والقوالب وتختلف في العلاقات الاجتماعية والأسرية والأخلاقيات والعواطف ، وقد أدت حياة البذخ بمشهورها الجديد إلى عزلة الفرد عن المجتمع ، صحيح إن هذا كان دائماً هو الحال ، فقد كان الأغنياء في المجتمعات القديمة منعزلين عن بقية الناس ، ولكن التكنولوجيا قد ساعدت على توسيع نطاق البرق إلى درجة أن أسلوب الحياة في المجتمعات التكنولوجية قد أصبح واحداً تقريباً ، فالغنى لا يجوز شيئاً لا يناله الفقير .





موضوع  
خاص



المغاور

عجائب

الطبيعة:

★ نفق في مغارة جعيتا، حيث تظهر الرواسب الدقيقة على الجانبين ★



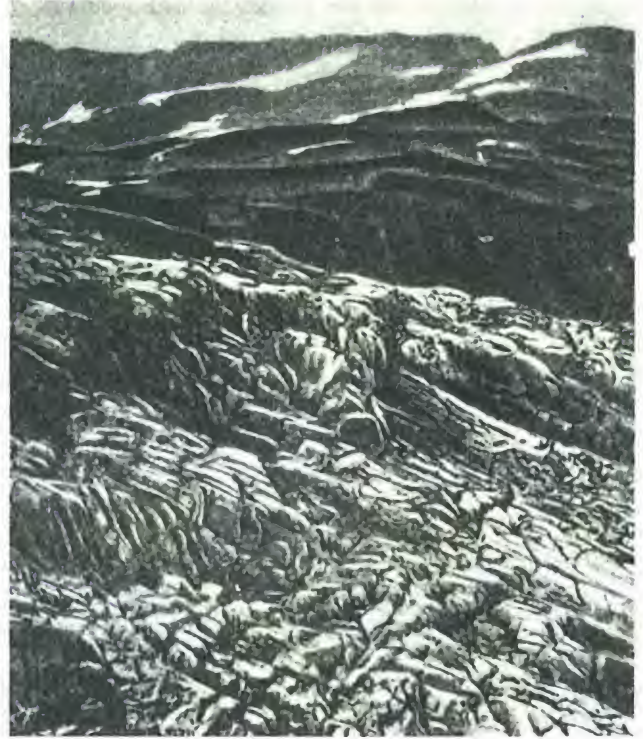




★ صورة خفوس  
في كلس مضبة  
يايلا، في الغرم ★



★ ميدان الجروود « الكارست »  
فوق جبال سيليرن  
في سويسرا ★



الدوار بسبب الارتفاع ، فتصعد درجاته ، وأنت ممسك بالدرازين الندي نحاشياً للانزلاق الخطر ، فتطل من علر على مناظر تسحر الألباب تحت قبة ترتفع لأكثر من خمسين متراً ، يتقطر الماء من جوانبها بصمت ، أو يسيل تحت قدميك في مجار معقدة ، فتقف متأملاً ، وقد تملكك الدهول أمام هذه العجائب الطبيعية ، التي لا تجد لها تفسيراً ، لا في النشرة السياحية الوصفية المقتضبة ، ولا لدى الدليل السياحي الذي يندر أن يسمح له وقته الضيق أو حصيلته العلمية المحدودة ، تفسيراً يروي غليل فضولك للمعرفة ، وتعطشك لاستشفاف مكنونات أحشاء الأرض .

### رحلة مع قطرة الماء

ما نراه داخل المغارة هو نتيجة عمليتي هدم وبناء تجريان بصورة أبدية ، سرمدية ، تحت أبصارنا ، ولكن أعياننا المتناهية في القصر بالنسبة للزمن الذي يستغرقه تشكل هذه التكوينات الصخرية ، هي التي تجعلنا عاجزين عن أن ندرك كنه هذه الأشكال المستغربة . ولا مندوحة من العودة مؤقتاً إلى سطح الأرض كي نتبع خطى قطرة الماء ، مقتفين أثرها ، مرحلة فرحلة . فهي المسؤولة عن كل ما نراه عيوننا ، من مشاهد لا يكتفي أن نقف أمامها مشدوهين مأخوذين ، بهذه اللوحات التي لم تمسها يد مخلوق ، والتي نراها بكل بهائها ورويقها دفعة واحدة ، والتي استغرق صنعها مئات الآلاف ، وربما بضعة ملايين السنين الطوال . نعم لنعد إلى سطح الأرض ولنخرج ، إلى حين ، لنرى سطح الجبل وكل الهضبة التي تقع فوقها ولا سيما إلى الشمال منها .

### الجروود .. أو الصحارى الكارستية

من المعروف لدينا جميعاً أن لدى الماء قدرة كبيرة على الإذابة ، فمن السهل مثلاً أن نذيب قليلاً من السكر أو الملح أو الصودا في كوب من الماء ، حتى ولو كان

★ لا تبعد مغارة جعيتا أكثر من بضعة عشر كيلو متراً عن بيروت العاصمة اللبنانية ، إذ يتفرع عن الطريق الشمالي الساحلي العريض درب معبد يذهب بك شرقاً ، مصعداً في الجبل ، ضمن واد مخضوضر بغاية غير كثيفة ، كتلك الغابات التي نجدها على كل سفوح الجبال المطلة على ذلك البحر اللازوردي ، أي البحر الأبيض المتوسط ، حيث تتناثر شجيرات السنديان والصنوبر والبقيص ونباتات الأريقي والصعتر وسواها من النباتات العطرية ، ناشرة في الجو عبيراً يتأرجح مع نسائم البحر الندية فيبعث في الإنسان إحساساً غريباً كله رشاقة في النفس وتسام في الروح ونسيان عابر لهموم الحياة ومشاكلها ★

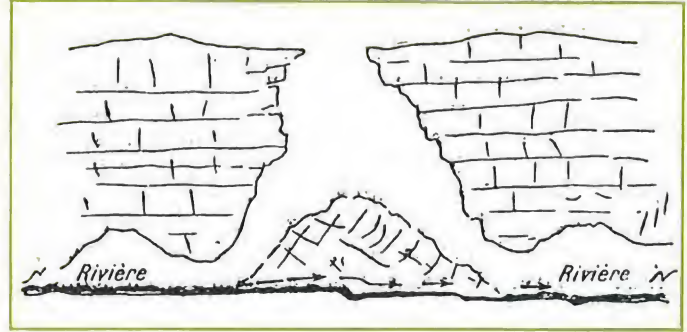
وفجؤك وأنت في هذه النشوة بناء صغير يقوم على الجانب الأيسر من الوادي يشتمل على مقصف وحانوت لبيع المصنوعات اليدوية السياحية ومكتب لبيع البطاقات للراغبين في زيارة المغارة الأعجوبة ، مغارة جعيتا ، التي تكشفت عن مكنوناتها لأول مرة قبل ربع قرن من الزمن .

وتدخل بعد قليل مع الداخلين ، من زوار وسياح وطلاب من مختلف المستويات وعلماء ، عبر دهليز مستقيم محفور في الصخر الأصم ، تنيره مصابيح الكهرباء بشكل ينعكس عن دوق رفيع ، إلى أن تبلغ كهفاً ، يعرض تارة ويضيق أخرى ، إلى أن تصل إلى المغارة الرئيسية ، وهي مغارة جعيتا ، ومعناها بالسريانية « خريس الماء » .

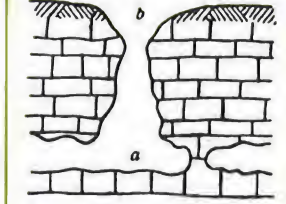
وهنا يتدخل النور الكهربائي مرة أخرى لينتج الأشكال الطبيعية التي تعرض نفسها أمام ناظريك انطباعاً فتناً تحار في تشبيها بما سبق لك وخبرته في حياتك من مشاهد وأشياء مصنوعة ، ومن نباتات وثمار ، وحتى حيوانات ، أو أعمدة رشيقة في هياكل أثرية متهدمة ، تشهد عليها جدرانها السامقة وأبراجها .

ثم يشير الدليل إلى سلم حديدي يمكنك أن ترقاه إذا كنت ممن لا يخشون





★ شكل رقم ١٤ ★  
تشكيل لغ في صخور قابلة للذوبان  
تجوف باطني «أ»  
لغ .. أو محقن «ب» ★



★ صورة لدحل هيت ، قرب مدينة الرياض ، وتعطي صورة  
السيارة التي داخل الدائرة ، فكرة عن أبعاد الخفص ★

١ . ونرى عندها أن سطح هذه الطبقات الكلسية ، الذي كان في الماضي صقيلاً ، مستوياً ، منسجماً ، وقد أصبح مشوهاً قد خددهته تحزيزات متفاوتة في عمقها ، تفصل عن بعضها بأعراف وبحافات حادة . وقد يبلغ عمق هذه الأتلام نصف متر ، وربما أكثر من ذلك . أما الأعراف فتكون عبارة عن سروات مصغرة لها شكل أسنان المنشار . وهذه الأشكال هي نتيجة لعمل الماء الجاري على سطح الصخور الكلسية والتي يعمل فيها تذويباً . وتغطي هذه الأشكال الغربية التي تتخذها هذه السطوح - التي تدعى «لايين» في اللغة اليوغوسلافية - تغطي مساحات كبيرة أحياناً وعرة للغاية مما يجعلها خالية من الدروب ولا سيما إذا كانت الأعراف والأتلام نامية جداً . وتسمى هذه الرقع القمرية المظهر ، والعارية من النبات والترية ، الجرد في أعالي جبل لبنان وجبل الزاوية في سورية ، لهذا يطلق الجغرافيون على هذه المساحات الخالية «الصحاري الكارستية» لاستحالة إقامة البشر فيها لأن الماء يفر فيها ، أي هي بلاد عطش رغم كثرة أمطارها . وهكذا لا يجري الماء هنا على السطح ، أي لا ينساب بشكل مائل حسب الانحدار بل يفر عمودياً بين شقوق الصخر الرأسية والأفقية .

ويبرهن لنا الكارست - نسبة لجبال الكارست اليوغوسلافية - أن الماء ، الذي يجري تحت سطح الأرض سالكاً في فصات الصخور الكلسية ، أو الجبسية ، يستطيع أن يذيب الصخور المذكورة لأنه حامض يعمل في وسط قلوي ، فيشكل فيها تجاويف باطنية ، كما يعمل السوس في الخشب . فإذا كانت هذه التجاويف كبيرة الأبعاد وقريبة من سطح الأرض ، فإن الطبقات العليا منها قد تنخفض تلبية لنداء الفراغ تحتها ، فتشكل هوته في خفص ، مثل خفص المذنب في القصيم في السعودية ، أو أكثر عمقاً وأقرب للشكل الأسطواني حيث يظهر الماء في قاع الخفص مثل عيون الخرج وخفص دغرة جنوب شرقي الرياض .

ويكون الخفص عموماً على شكل قع ، أو محقن ، أي ضيق الفوهة بالأعلى وعريضاً بالأسفل ويظهر في منخفض من الأرض أو على خصرة جبل مثل دحل هيت الواقع شرقي الرياض بمسافة ٢٠ كم تقريباً . (شكل ٣ و ٤) .

بارداً . ولكن هذه المواد ستذوب بسرعة أكبر في لو كان هذا الماء ساخناً . فماء بعض الآبار وكل العيون المعدنية يهرن على أن الماء يذوب في الطبيعة بعض المواد التي يصادفها أثناء مسيرته الباطنية ، ولا سيما ماء الينابيع الحارة ، وأفقر أنواع المياه بالمواد المنحلة هو ماء السدود المتجمع على أثر الأمطار أو السيول الشديدة . ولكن غالبية الصخور غير ذوابة ، حتى ولو كانت في الماء الساخن الذي لا يستطيع أن يستخلص منها سوى جزيئات ضئيلة للغاية . بيد أن هناك صخوراً أخرى ، كالمالح الصخري والجبس والصخور الكلسية ، تكون قابلة للذوبان بصورة متفاوتة حتى أن الماء ليستطيع أثناء تسله من خلال شقوقها أن يأتكل منها شيئاً فشيئاً ، وجزئة فجزئة ، فيزيد من عرض الفصات التي يسلكها فيشكل فيها تجاويف مختلفة أبعادها .

ويعمل ماء الأمطار الحار على غاز الكربون ، والذي امتصه من الجو بكميات زهيدة أثناء هطوله ، والذي جعله حامضاً - بلغة الكياوين - أقول يعمل بنشاط أكبر ، لا سيما بعد أن زادت حموضته أثناء تسله بين جذور النباتات والمواد العضوية الأخرى ، فيؤثر في الصخور الكلسية وعلى فحات الكلسيوم الداخلة في تركيب بعض الصخور . أما المالح الصخري فيذوب بسرعة ، ويذوب الجبس  $SO_4Ca2H_2O$  ، أو كبريتات الكلسيوم المائية ، بصورة أكثر صعوبة ، ولكن بصورة أسرع من الأنهدريت  $SO_4Ca$  أو كبريتات الكلسيوم ، ويظهر طعمه في مياه هذه الصخور الذي يصيب الكثيرين بأسهال شديد كماء عيون الخرج وخفص دغرة جنوب شرقي الرياض في المملكة العربية السعودية ، أو عين الحمام جنوب شرقي حلب في سورية . ولكن يظل ذوبانه على كل حال أفضل من الصخور الكلسية .

ويمكن التأكد بسهولة من ذوبانية الصخور الكلسية في الجبال المرتفعة ، أي فوق نطاق النباتات كما في منطقة مغارة قاديشا في لبنان ، قرب غابة الأزس الشهيرة . فهناك نجد سفوحاً صخرية مائلة ينساب من فوقها ماء المطر وذوب الثلوج (شكل





★ انكاش سيجف .. وانكاش فطرية ★

الجيولوجية في العالم . ويقع في منطقة سيفين ، جنوبي فرنسا ، وهو جسر طبيعي يخترقه نهر الأرداش . ويمر النهر كله من تحت القنطرة الطبيعية حيث يبلغ عرضه أربعين متراً وارتفاعه ٣٥ متراً وسماك الكتلة الصخرية ٦٥ متراً (شكل ٦) .

أما في المناطق ذات المناخ الأكثر جفافاً ، ولا سيما في الجبال ذات المناخ الأكثر جفافاً ، خاصة في الجبال ذات الصخور الكلسية ، فينمو ويتطور ما سميناه بالكارست ، والنتاج عن عمل الماء التذويبي في باطن الأرض . وتتميز هذه الأشكال الطبيعية بكثرة الأفاع والخفوس والأودية العمياء حيث تغور مياه الأنهار فجأة . في جوار زحلة ، في لبنان يقع ، فوار عين الدارة المتشكل في الصخور الكلسية الجوراسية على ارتفاع ١٦٠٢ متر . وقد أثبتت تجربة تلوين الماء بمادة الفيلورسين أن هذا النهر الباطني يغذي عين فوار انطلياس الذي يبعد عنه بمسافة ١٨ كليو متراً ويقع قريباً من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، والذي ينخفض بحوالي ١٥٤٠ متراً عن مستوى قاع فوار عين الدارة حيث يغور الماء ، مثلما تتميز هذه المناطق بندرة الأشجار لانجراف التربة مع المياه الباطنية . وينجم كل هذا عن تسرب ماء الأمطار بسرعة في مغارات باطنية مما يؤدي لتجفاف سطح الأرض في معظم المناطق ، ويظهر مستنقعات في مناطق أخرى في نفس الوقت .

وتكثر هذه الأشكال الكارستية في جبل لبنان وفي جبل الأطلس الأوسط في المملكة المغربية جنوبي فاس ومكناس ، وفي جبال الديناريك اليوغوسلافية ، ولا سيما تلك الجبال التي تحمل اسم الكارست والذي منحتة لكل البقاع المائلة في العالم .

وإذا كانت هذه الخفوس ، أو الدحول ، عديدة في المناطق ذات الصخور الكلسية ، كما في أواسط شبه جزيرة قطر (شكل ٥) ، فإن من الخطر الجسم تشييد العمارات الضخمة فوقها أو تمديد السكك الحديدية ، إذ تكون أمثال هذه المناطق عرضة لخفوس جديدة تحت جدران العمارات أو تحت قضبان سكة الحديد مما يؤدي لكوارث . هذا كما يحتاج بناء السدود التخزينية ، في مناطق ذات صخور كلسية ، لدراسات متعمقة يشترك فيها المهندسون مع علماء الجيولوجيا والجيومورفولوجيا ، وأكبر دليل على ذلك ما عاناه المهندسون الأتراك والألمان قبل حوالي عشرة أعوام عند بناء سد كيبان على نهر الفرات في تركيا ، حيث تسربت مقادير هائلة من المياه المخزونة من بحيرة السد ، من خلال الشقوق والتجاويف الصخرية الجانبية ، مما اضطر القائمين على بنائه إلى اللجوء لعمليات ترميم وحقق كميات كبيرة من الاسمنت أدت لنفقات إضافية ضخمة .

أما في الأقطار ذات المناخ الرطب ، مثل يوغوسلافيا ، فإن الخفوس الصخرية ، الناجمة عن وجود تجاويف باطنية مسبقاً ، سرعان ما تمتلئ بالماء وتشكل بحيرات أو مستنقعات . وقد تغور أنهار بكاملها في مغاور باطنية ، تاركة أوديتها السابقة جافة ، ولكن على مسافة ما ، تعود هذه الأنهار للظهور على شكل ينابيع فوارة تثير ضجيجاً هائلاً كنبح الهرمل الذي يؤلف رأس نهر العاصي في شمالي لبنان ، أو عين الزرقاء التي تصب في نهر العاصي شمالي بلدة جسر الشغور ، والتي هي عبارة عن مياه منخفضة الروح التي تختفي في كهف البالعة . وقد تظهر هذه الأنهار أحياناً ضمن الأفاع الناجمة عن الخفوس ذاتها ، أو تتلاق الأفاع فيما بينها باطنياً بفعل شدة عملية التحلل ، فلا تنفصل عن بعضها بأكثر من جسور طبيعية صخرية كلسية مثل جسر القوس (بون دارك) الذي يعتبر أحد الأعاجيب





★ مدخل مغارة «جعميتا»، حيث تظهر الرواسب الدقيقة على الجانين ★

## المغاور

وتكون المغاور في أغلب الأحيان نتيجة تحلل الصخور الكلسية بفعل المياه الباطنية المشحونة بغاز الفحم . وهكذا تكون مناطق الكارست غنية بالمغاور ، مثل مغارة جعميتا ، ومغارة قاديشا ومغارة الرويس في قضاء جبيل في لبنان ، ومغارة الضوايات في منطقة صافيتا في سورية .

ولكن هذه الكهوف قد تظهر في مناطق غير ذات صخور كلسية ، فنجدها في صخور الأنهدريت كمغارة دحل شرقي الرياض ، أو في الصخور الجبسية كما في منطقة عيون الخرج وخفس دغرة الذي نصبت مياهه بعد ضخ مفرط . وبناء شكل الكهوف ذاته على أنها ناجمة عن العمل التذويبي الذي تقوم به المياه الباطنية . فنحن لا نكون هنا أمام تجويف منعزل في الجبل بل نجد أماننا في أغلب الأحيان بضعة قاعات أو كهوفاً متفاوتة الأبعاد ذات سقف قبلي الشكل ، تتواصل فيما بينها بواسطة ممرات ضيقة ومنخفضة على شكل سراديب ، تهبط أو ترتفع ، أو بواسطة أروقة عريضة .

وقد تكون منظومة الأروقة والممرات والقاعات على نفس المستوى ، أو حسب سطح مائل ، أو على عدة مستويات متطبقة فوق بعضها البعض ، وتكون أخفض القاعات هي أغناها بترك الماء أو بالأنهار الباطنية ، وتنتج جميعاً عن شبكة شقوق كان يجري الماء فيها ، والذي راح يعمل شيئاً على تعريضها وذلك حسب قابلية الصخور التي يسري فيها للذوبان . ففي بعض الكهوف لا تزال تجري أنهار باطنية حقيقية ، كما في مغارة قاديشا ، في حين نجد في الأخرى بحيرات متباينة الأبعاد وملئمة بماء راكد (شكل ٧) ، كما في مغارة جعميتا .

## اكتشاف مغارة جعميتا

★ لقد اكتشفت جعميتا بطريق الصدفة على يد شخص يدعى طومسون عام ١٨٣٦ م ، وكان في رحلة صيد في هذه المنطقة فوجد نفسه فجأة عند مدخل المغارة وفي عام ١٨٧٣ م ، دخلها الأخوان ماكسويل وويلسون وهكذا توالى عليها المستكشفون إلى أن افتتحت رسمياً عام ١٩٥٦ م ، وتشير إلى ذلك لوحة رخامية عند المدخل .

وعند مدخل المغارة درج يتجه إلى أسفل تسير عليه قبل بلوغ بداية المغارة عند سفح الجبل . وفي مدخل المغارة تقع بداية النهر الذي يسمع له هدير شديد ، وتقتد مجاري المياه الباطنية لمسافة بضعة كيلومترات ، ويقدر علماء الجيولوجيا أن تكويناتها استغرقت أكثر من مليون سنة لكي تأخذ شكلها الحالي .

وتتدلى الرواسب على الجانين لتتقدم مشاهد تأخذ الألباب ، فبعضها يتخذ شكل عنقيد ، والبعض الآخر على شكل زهور متباينة ، في حين تبدو الأخرى على هيئة حيوانات ، وبينها ما يبدو على شكل أقشة ملونة مدلاة بشكل متناسق ومنها ما يشبه الطيور ، وآخر على شكل أشخاص ، وقد تم صنع هذه الأشياء في معزل عن مفهوم الزمن لأن تكوين سنتيمتر واحد من هذه الرواسب قد يتطلب مائة عام . وزينت وزارة السياحة اللبنانية بعض السواقي بثرات كهربائية ملونة تحت الماء ، وعند اقتراب القوارب منها تنعكس هذه الأنوار عليها وعلى الركاب فتعطي منظراً خلاباً كله ألوان زاهية هي ألوان قوس قزح وقد اكتسب الماء من أضواء الثريات الملونة بريقاً خاصاً يبعث على الدهول لفرط روعته وبهائه ★

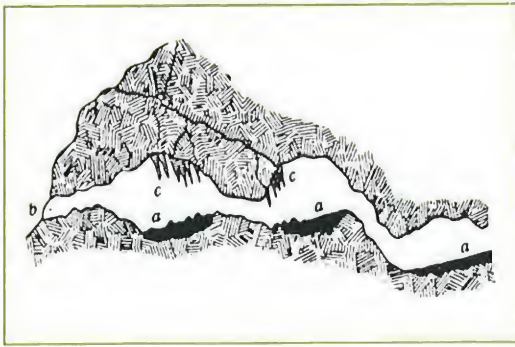




★ شكل رقم ١٧ و ١٨ ، بحيرة صغيرة في مغارة جيمينا ★



★ شكل ١٦ ، جسر الغوس «بوان دارك» جنوب فرنسا والذي يخترقه نهر الاردانس ★



★ شكل رقم ١٩  
مقطع طولاني  
رسوبيات قاع  
الكهف (A)  
المدخل (B)  
قاعات (C)  
ذات صواعد  
ونوازل ★

يكون عليه أن يسلك عمراً ضيقاً ومتعرجاً ، يرتفع تارة وينخفض أخرى كي يؤدي به إلى قاعة كبيرة ، ولبعض القاعات مخارج إضافية تكون أحياناً على شكل آبار عمودية .

هذا وتكون أبعاد المغاور متفاوتة جداً ، تتراوح بين قاعة قريبة من سطح الأرض وبين تيه لا يكاد ينتهي من القاعات والممرات . وهكذا فإن مغارة الماموت الهائلة في ولاية كنتكي في الولايات المتحدة تحوي ٢٠٠ رواق يبلغ طولها الاجمالي ٢٥٠ كم ، ولكن المسافة لا تتجاوز ١٦ كيلو متراً على خط مستقيم بين مدخل هذا التيه ونهايته ويبلغ ارتفاع القاعة الرئيسية ٣٠ متراً .

أما في مغارة جيمينا ، فإن المسافة المكتشفة فيها لا تتجاوز ستة كيلو مترات ، ولكن الجزء المستغل سياحياً لا يزيد طوله عن ٦٥٠ متراً فقط ، أو عشر طول المغارة المكتشف . ويعود ذلك لوجود فواصل صخرية مرتفعة ، فضلاً عن وجود شلالات تحول دون الاتصال بين البحيرات والقاعات الرئيسية ، وما تخفي من المغارات الداخلية أكثر بهاء وأبعاداً من جيمينا نفسها ، إذ يبلغ طول قاعة الف ليلة وليلة قرابة كيلو متر ونصف بعرض يقارب ٦٠ متراً ، ويبلغ ارتفاع قبتها إلى ثمانين متراً ، أي أعلى قبة جوفية معروفة بالعالم مثلها تشتمل على زمر من الصواعد والنوازل متناهية في صفاتها وجمالها والتي تتخذ أشكالاً غاية في الإبداع والجلال .

(شكل ٩)

ويبلغ طول مغارة كونغور في جبال الأورال الروسية ٢,٥ كيلو متر وتقع معظم المغاور الأخرى في شبه جزيرة القرم وفي جبال القفقاس وفي جبال الطائي المحاذية للحدود الأفغانية والصينية .

وتكون أرضية المغاور مفروشة على الغالب بأنقاض الصخور المتساقطة من السقف ومغطاة بطبقة رقيقة من غبار . وترقد هذه الفتحات الصخرية فوق أرضية

وتنفذ هذه الكهوف على سطح الأرض بواسطة مدخل ، ضيق أحياناً ، وعريض تارة ، واقع على سفح جبل أو على خاضرة واد (شكل ٨) ، وغالباً على جانب جروف شبيه قائمة ، وأحياناً على مستوى البحر . ومن هذه الفتحة يمدخل السائح ، أو المكتشف ، إما إلى القاعة الأولى مباشرة ، وربما تكون هي الوحيدة ، أو

★ النوازل بالأعلى .. وكساء إحدى الصخور ، برواسب صاعدة ★

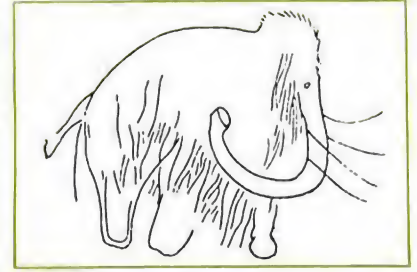




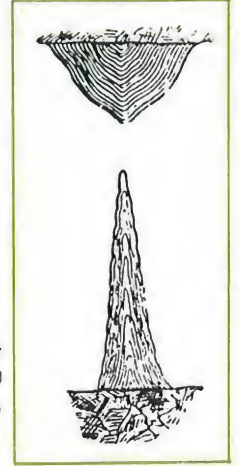
★ شكل رقم ١٢٠  
ترسيب  
على  
هيئة  
زهرة  
القرنبيط ★



★ شكل رقم ١٤٠ مغارة الألاس ، كهف «كونفور» في الأورال ★



★ شكل رقم ١١٠ ، رسم يمثل قبل الماسوت المنتشر ، من تنفيذ  
إنسان بدائي ★



★ مقطع  
لصاعدة  
ونازلة ★

★ أعمدة صاعدة من «الكليست» النقي ، فحات الكليوم ★

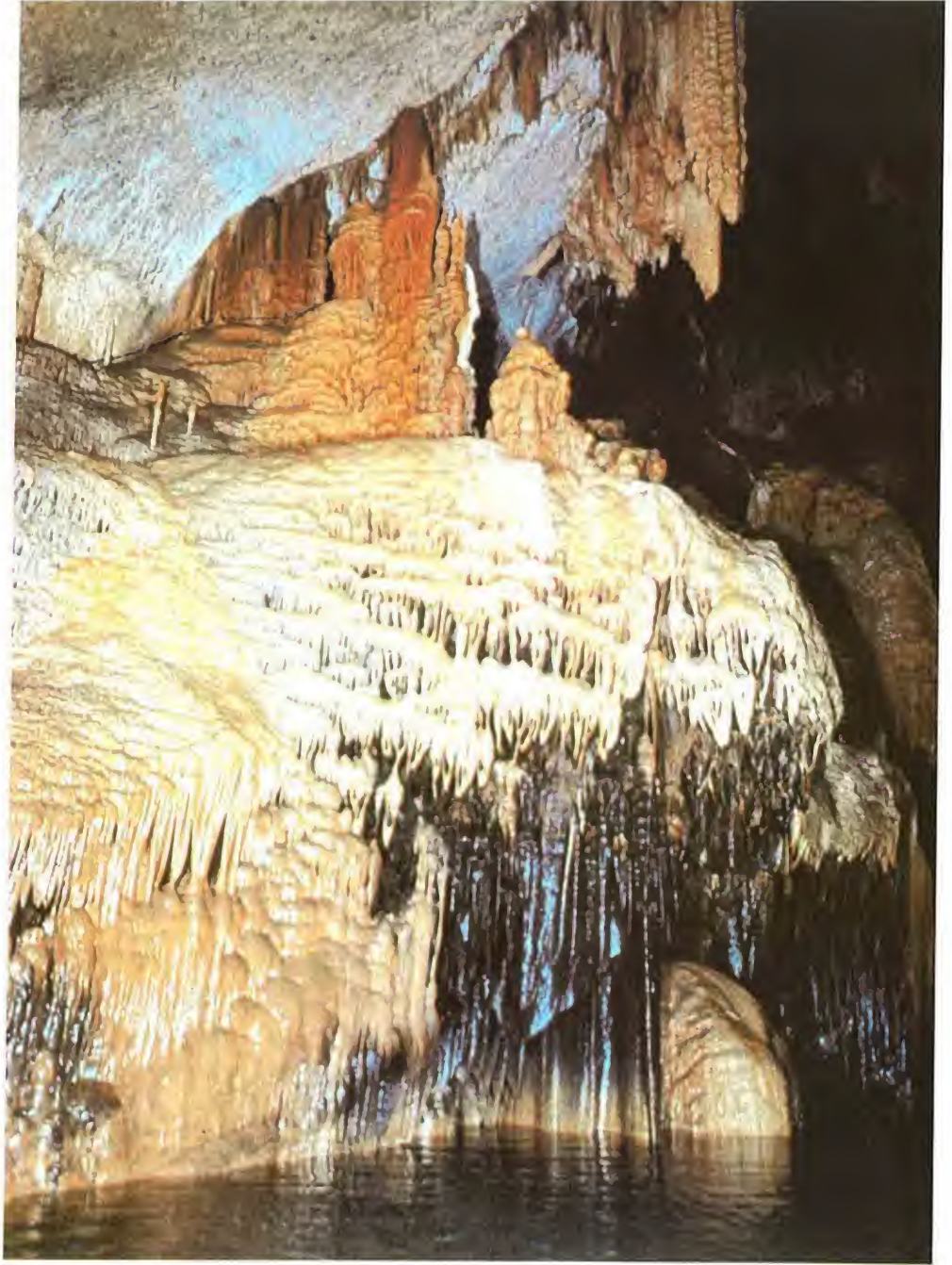


المغارة مباشرة أو فوق طبقة من غرين خلفه الماء الجاري في المغارة أو نقله الريح على شكل غبار . ويعثر المكتشفون وعلماء المغاور في هذه الرواسب على عظام سكان الكهوف القدماء من بشر وحيوانات : كالدبية والأسود والسمور والضباع والذئب وأبناء آوى والشعالب ، فضلاً عن فرائس هذه الوحوش . ونذكر من بين سكان المغاور الأخرى الخفافيش وبعض الطيور كالبلوم والحمام ، التي لا تظهر هياكلها العظمية إلا في الكهوف القريبة من سطح الأرض . وقد ترك الآدميون البدائيون الذين كانوا يقطنون هذه الكهوف عظامهم وعظام الحيوانات التي كانوا يعتمدون عليها في غذائهم ، ورماد مواقدهم ، وبقايا الأشياء التي كانوا يصنعونها من أدوات حجرية وعظمية وسواها ، مثلما ترك الإنسان القديم على الجدران رسومات لحيوانات كان يطاردها أو يخشاها كالماسوت . ( شكل ١٠ )

ولهذا يكون لعدد كبير من المغاور أهمية تاريخية تسمح بالتوصل لدلائل جزيلة الفائدة عن العالم الحيواني في الأزمنة القديمة وعن مستوى معيشة البشر البدائيين . ولكن من الواجب أن تم دراسة هذه البقايا بصورة منهجية وباشراف علماء ، وإلا تعرضنا لحسارة مادة علمية على قدر كبير من الأهمية . وهكذا قضي على العديد من المواقع الأثرية على أيدي هواة غير مختصين أو غير مؤهلين .

هذا ، وفضلاً عن التوضعات الهشة التي ذكرناها ، فلإننا نعثر فوق أرضية العديد من المغاور ، على تكوينات قاسية ناجمة عن رواسب المياه المتسربة من الأعلى والمترسخة من قباب القاعات . وهكذا يترسب جزء من الكلس الموجود على شكل محلول أثناء بقاء القطرة معلقة قبيل سقوطها وترسب القسم الآخر في الأسفل بعد سقوطها . وهكذا تتشكل تدريجياً وببطء شديد ، ولكن بصورة دؤوبة ، وبعد مضي





★ إحدى البحيرات ، وتظهر من فوقها الرواسب الدقيقة جداً في مغارة جعمينا ★

المتطبقة بشكل أنيق ، كأنها من صنع أمهر الصانع ، وذلك باختلاف أحجام وأشكال الصخور التي ترسب فوقها على أرضية المغارة . . ولا غرابة في ذلك فهذه المادة الكلسية هي التي ترسب حول حبة الرمل في جوف الحار فتعطي اللؤلؤ الطبيعي أو الاصطناعي الياباني المزروع ، أو تدخل مع عناصر أخرى كالصوديوم عند اختلال عملية الاستقلاب في جسم الإنسان لتؤلف الحصاة في الكلية أو المرارة أو المثانة ، أو ترسب في داخل الفم عند قاعدة الأسنان من الداخل فتشكل ما يسميه أطباء الأسنان القلح ، وهي المادة البيضاء التي نراها حول فوهة

عشرات الآلاف من السنين ، أقول تتشكل النوازل التي تتدل من الأعلى والصواعد التي تسمو نحو العلاء تدريجياً . وإذا كان الماء يترشح من عدة نقاط في سقف القبة فتتشكل غابة حقيقية من أعمدة هي الصواعد والنوازل ومع توالي الزمن تنمو هذه الأشكال الصاعدة والهابطة إلى أن تتلاحم أعمدة كاملة صخرية .

ويمكن الحصول على مناظر ساحرة بجهاها بعد تسليط الأنوار الاصطناعية الملونة عليها (شكل ١١) ، وهذا الترسب الذي يعتري مادة كربونات الكالسيوم المنحلة يعطي أشكالاً أخرى مثل زهرة القنبيط (شكل ١٢) ، أو الستائر والسجف المخملية





★ أعمدة مساعدة من الكلسيت ، التي ، فجوات الكلسيم ★

صنبور الماء ، أو تشكل مع الملح حبيبات بيضاء حول عيدان القش في المكيف الصحراوي .

### عودة إلى مغارة جميعنا

ولنعد الآن ، بعد هذه اللوحة العلمية ، لتأمل هذه الأعجوبة الفريدة في أبعادها ، والتميزة في سائر عالمنا العربي حتى الآن ، على الأقل ، والتي تعتبر بحق

من أكثر المغارات الكارستية في العالم جمالا ، هذا إذا لم نقل إنها أجملها قاطبة ، فحيثما تجولت فيها تراءت لك مناظر متباعدة تتنافس في إبداعها وبهاؤها ، كأنك تطوف قاعات متحف أثري ، متعدد الأجنحة ، صنعت معروضاته من مادة واحدة ، هي الكلسيم ، ولكن بأشكال ومظاهر شتى ، مما يسمح لخيالك أن يسرح طليقاً ليتصور أشباه هذه الأشكال من سابق مرثياته وذكرياته ، فهو يمثلها تارة بالزهور ، وتارة أخرى بالحيوانات ، أو بالمعابد ، أو بالسائر ، أو بالثرثريات (النجف) المدلاة من السقوف ، إذ ما عليك إلا أن تترك لتصوراتك العنان كي تتمثل من الصور ما



وأمكن الحصول على معلومات أثرية قيمة تعود لفترة ما قبل التاريخ ، من رسوم ملونة أو محفورة ومصنوعات بشرية بدائية .

### المغارة الجليدية

هذا وتستأثر الكهوف الجليدية بمجاذبية من نوع آخر ، إذ يكون تأثير التنوير أشد فعالية وتوجهاً لتعدد أوجه بلورات الجليد التي تتألف منها الصواعد والنوازل . فتكون الحرارة هنا منخفضة سواء في الشتاء أو الصيف . ومن جهة أخرى فإن الرطوبة على جدران المغاور وعلى سقفها ، وحيث لا يتقطر الماء ، تشكل بلورات من الجليد الجميلة والكبيرة ، والتي تعكس نور الشموع أو المشاعل على وجيهاها التي لا تحصى وكأنها ثريات الكريستال .

ومن أشهر الكهوف الجليدية في العالم نذكر مغارة تشاتيرداغ في شبه جزيرة القرم ، وفي منطقة أورنبورغ في الأورال . أما مغارة كونغور فتضم زمرة من القاعات لكل منها اسمها ، وتتصل فيما بينها بممرات تشكل في مجموعها متاهة طولها كيلو متران ونصف ، وأقرب كهف من المدخل هو مغارة الجليد ( شكل ١٤ ) ، التي تحوي صقيعاً في سقفها وصواعد ونوازل . أما في الجزء الداخلي الأقصى من المغارة ، وحيث لا يدخل الهواء البارد مطلقاً ، فتظل الحرارة دوماً أعلى من الصفر . وفي هذه المغارة عدة بحيرات صغيرة لا يتجمد ماؤها مطلقاً . وتبلغ مساحة أكبرها ٧٥٠ متراً مربعاً ويصل عمقها إلى ستة أمتار . وهناك فتحات عمودية تصل بعض هذه القاعات مع السطح وهي المسؤولة عن تجمد مياه بعض الكهوف لأنها تتسبب

بجلو لها وتشاء ، ولكي تمجد في قلبك ولسانك مبدعها الفعال لما يشاء . وقد ظلت مغارة جعيتا التي اكتشفت ، علمياً ، واستغلت ، سياحياً ، منذ حوالي ربع قرن من الزمن ، ظلت تستأثر بأكثرية السياح الذين يقصدون لبنان ، وفي عام ١٩٥١ م ، بدأت عمليات الكشف عن مكنوناتها من بحيرات جوفية ودهاليز وممرات ضيقة متعرجة متعددة المستويات بفضل الهواة والعلماء المختصين .

### علم المغاور Spéléologie

إذا كان هناك هواة ومختصون في رياضة تسلق الجبال alpinistes ، وهي رياضة لها قواعدها ومخاطرها ، فإن علم المغاور هو رياضة وعلم قائم بذاته في آن واحد . فهو علم يهتم بتشكيل وباكتشاف الكهوف الطبيعية في باطن الأرض ، وقد عرفت أوائل الحملات للتنقيب عن المغاور وكشفها على يد العالم مارتل Martel الذي اكتشف وارتاد بعض كهوف منطقة سيقين في جنوبي فرنسا بين عامي ١٨٨٣ و ١٨٨٧ م ، وقد قام بعمليات ارتياد جريئة في هوات ظلت مجهولة حتى ذلك التاريخ .

وابتداء من عام ١٨٨٨ م ، أخذ رواد المغاور باستعمال أدوات علمية مدروسة كالسلام المعدنية الخفيفة ، والتنوير بمصابيح كهربائية ، واستعمال أدوات ارسال واستقبال الراديو ، وتالت الاكتشافات في مناطق أخرى من العالم ، ولا سيما أكبر مغارة في العالم ، وهي مغارة الماموت في الولايات المتحدة الأمريكية ،

★ إحدى البحيرات . . ويرج بيرا المائل ، القريب الشبه بينه وبين بيرا المشهور ★







★ كهوف قارة في الاحساء بالملكة العربية السعودية وعلى اليمين تظهر كتل صخرية منهارة من الأعلى ومصورة بين جداري العج ★

بفعل مياه الأمطار وتحمر حبات الرمل من رباطها، فينفرط عقدها لتعود كنباتاً متحركة بيضاء اللون تجدها في شمالي شرقي جبل قارة (شكل ١٥) .

### الخلاصة

تقدم لنا المغاور الكلسية، ومنها مغارة جعيتا، الواقعة على السفح الغربي من جبل لبنان، تقدم لنا مادة للتأمل، تبهر نظر السائح، وتلهب خياله برؤى لا يجد لها تفسيراً لأول وهلة، بل يقف مشدوهاً، لتتلاشى انفعالاته وأحاسيسه في خضم الحياة الصاخب بعد قليل .

أما العالم فله موقف آخر، إنه يفكر قبل كل شيء في الزمن الذي استغرقته عمليات الهدم والبناء، أي إذابة كتل صخرية كلسية هائلة بفعل قطرات الماء الدائبة، وكيف استطاعت أن تشيد من هذه الأملاح المنحلة فيها، والتي تشعر بطعمها، فنقول إن هذا ماء ثقيل على المعدة وذاك ماء خفيف عذب فرات . . . وكم من الزمن استغرق بناء هذه الأشكال العجيبة، وسيجد تفسيراً مرضياً ذلك حينما يعود لمعلوماته في الجيولوجيا، إذ سيرى أن عمر كوكبنا الأرضي يمتد على أربعة مليارات ونصف من السنين . فلو افترضنا أن تاريخ الأرض هذا قد اختصرناه وضغطناه في سنة واحدة، فسنجد أن الإنسان ظهر في الساعتين الأخيرتين، ولا تحتل كل الفترة التي انقضت بين هجرة رسولنا الكريم ﷺ ووقتنا الحاضر أكثر من عشر ثوان من آخر السنة المذكورة، وبعبارة أخرى لا يعادل عمر الإنسان - هذا إذا مد الله تعالى في عمره وبلغ السبعين - سوى ستة أعشار الثانية من تلك السنة التي اعتبرناها هي عمر الأرض التي عليها نعيش .

بنشوء تيار هواء شديد في فصل الشتاء . أما في الصيف فإن الهواء البارد يخرج من هذه المغاور، ولكن ليس من الفتحات العلوية بل من فوهة مدخل المغارة . ونظراً إلى أن تفرغ هذا الهواء يكون بطيئاً جداً فلا يكون لدى هذه الكهوف ما يكفي من الوقت لكي ترتفع الحرارة فيها بصورة محسوسة .

وهناك مغاور جليدية في بعض أقطار أوروبا الأخرى، ومن أهمها مغارة ديشاو في هنغاريا التي ينتشر فيها الجليد على مساحة يبلغ ٧١٧١ متراً مربعاً، ويبلغ حجم الجليد فيها ١٢٠٠٠٠ متر مكعب، ويصل ارتفاع بعض جدران الجليد فيها إلى ١٥ متراً .

### أنواع أخرى

وهكذا نخلص إلى أن هذه المغاور المعقدة الأشكال والتي أصبح اكتشافها ورسم مخططاتها علماً قائماً بذاته، إنما تنحصر في تكوينات جيولوجية معينة هي الصخور الكلسية النقية القليلة الشوائب . فالصخور الكلسية الدولوميتية  $CO_3CaMg$  لا تسمح بإعطاء كهوف جميلة بل تنصف بأشكال تشبه من بعيد أطلال مدينة تعرضت لغارة جوية عنيفة . كما أن سرعة ذوبان الصخور الجبسية لا تؤدي لنشوء أكثر من خفوف عريضة القعر تعد عيون الخرج من أجمل نماذجها . ولا تؤلف صخور الأنهيدريت بعد ذوبانها سوى مغاور ضئيلة الأبعاد من القاع مثل دحل هيت القريب من الرياض .

أما الصخور الكلسية الرميثة كتلونات جبل قارا في منطقة الأحساء في السعودية، والمؤلفة من كتبان رملية ساحلية، بيضاء قديمة تلاحت حياتها فيما بينها بملاط من أملاح الكلسيوم، فتعطي مغاور طريفة، دون صواعد أو نوازل، مغاور منيرة هي عبارة عن فجوج عميقة ضيقة جداً، ناجمة عن تحلل الملاط الكلسي



# لوحة فناني



مصير

★ عضو مجلس إدارة الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية .

★ عضو الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب .

★ عضو جماعة الصحافيين الكويتيين .

★ عضو الاتحاد العام للصحافيين العرب .

★ مؤلف كتاب «بداية مسيرة الفن التشكيلي في الكويت» .

★ اشترك في أكثر من ٦٠ معرضاً فنياً داخل الكويت والدول العربية وأمريكا .. وفرنسا وإيطاليا ويوغسلافيا .. والهند .

★ صمم وأشرف على أول نصب تذكاري (للمعلم) لجمعية المعلمين الكويتيين .

★ الجوائز التي حصل عليها : الجائزة الثانية عام ١٩٧٤م ، المعرض العام للجمعية الكويتية للفنون التشكيلية .

★ لوحات هذا الفنان عموماً ، تشع بالانارة «الشكلية» التي ترغبك أن تقف أمامها طويلاً في حالة من الدهشة ، فهو يعتمد في أسلوبه على الفكرة التي تحمل أكثر من وجه واحد . . ومستوى واحد ، بالنسبة لعين المشاهد .

★ وفي لوحته «المصير» ، التي نراها على الصفحة المقابلة ، نلاحظ رؤية جديدة في اللعب بالخط واللون في هارموني متناسق الابقاع ، حيث تسيطر الخطوط على كل مساحة اللوحة وكأنها تركض في كل اتجاه كـ «الأخطبوط» الذي يحاول السيطرة على أكبر مساحة لاقتناص فريسته .

★ في اللوحة ، يظهر لنا تأثره بأعمال «الديكورات» المسرحية التي تحاول تجسيد فكرة ما عن عالم المجهول . . وعن خطر ما يتهدد الكون . . وذلك من خلال الأشكال الثابتة في خلفية اللوحة ، في هدوء يعطي الإحساس بالركود والانكماش ، ثم تعزف الخطوط الدقيقة في مساحاتها الكبيرة ، عزفاً جماعياً ، مسيطراً على كل المساحة .

★ في أسلوبه يتجه إلى الرمز والسريالية والتجريد ، ولكنه يحتفظ بألوان البيئة التي يعيش فيها ، محاولاً بذلك طرح فكرة ما عن موضوع ما يمس بيئته .

★ يحاول في هذه اللوحة أن يؤكد رؤية كالحلم المزعج ، تلك الرؤية التي تنظر إلى الخليج كمصدر ثروات كبير ، تريد أن تسزفه قوة هائلة ، تشبه ذلك «الأخطبوط» الذي حاول تجسيده وسيطرته الطاغية على مساحة اللوحة ، ثم يقابله في ذلك ، الهدوء والطمأنينة في خلفية اللوحة ، لشعوب تلك المنطقة التي تنعم بالسلام . .

وربما حاول في لوحته . . تجسيد فكرة أكبر . . فكرة سيطرة الحرب على العالم بجميع أسلحته الفتاكة ، على مجتمعات وشعوب آمنة .

عبد الرسول سليمان

★ من مواليد الكويت عام ١٩٤٦م .

★ خريج دار المعلمين

الكويت التربية الفنية

★ مدرس بمدرسة

الصادق المتوسطة للبنين .









# المنجزات العلمية في الحضارة الإسلامية وأثرها في حضارة أوروبا

بقلم: د. محمد محمد العرينان

لم تقتصر منجزات العرب الحضارية على المجال النظري من العلوم ، حيث استطاعوا أن يسبقوا قدماً في كل اتجاهات هذا المجال ، إلى جانب ابتكارهم عدداً من العلوم التي نبتت من طبيعة دينهم ولغتهم ، وحاجتهم إلى فهم الأول فهماً صحيحاً وتطوير الثاني ، واستحقوا بذلك أن يدون لهم التاريخ هذا السبق الحضاري . وفي نفس الوقت لن ينسى لهم التاريخ أيضاً منجزاتهم الحضارية في المجال العلمي ، والذي نعتز أن العرب اعتمدوا في بداية الأمر ، وفي بعض العلوم ، على الرصيد الحضاري الموجود في البلاد التي تم فتحها على أيديهم ، إلا أنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، فلم يكن ذلك سوى نقطة بداية لسجل حافل بالمنجزات العلمية التي أثرت الحضارة الإنسانية بشكل لم يسع مؤرخوا الحضارة إلا أن يصفوا مشدوهين أمام هذه الظاهرة الخلاقة ، فيقول أحدهم ، وهو المستشرق ( روم لاندو ) : « وحين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال ٢٠٠ سنة انقضت على وفاة الرسول ( ﷺ ) ليس غير ، وعمق ذلك التقدم ، أمر يدعو إلى الدهول حقاً »<sup>(١)</sup> .

ظهره للآخر ، ويتخذ طريقاً معاكساً ، بل الواقع أن الأول كان باعثاً من البواعث الرئيسية للثاني »<sup>(٢)</sup> .

هنا نجد يشير إلى حقيقة غاية في الأهمية ، قليل من المستشرقين يعترف بوجودها ، تميز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات ، تلك هي دور الدين الإسلامي ، ليس فقط في عدم كونه حجر عثرة أمام التقدم العلمي ، بل باعتباره أساساً لهذه العلوم بقرر طبيعة منجزات العرب ومداها .

ذلك الرباط الوثيق بين تعاليم الإسلام ومبادئه والرصيد الضخم من المنجزات العلمية في الحضارة الإسلامية ، عبر عنه المستشرق روم لاندو بشكل أكثر وضوحاً حيث يقول : « والظاهرة المذهلة حقاً في إسهام العرب الرياضي هي الصلة الوثيقة ما بين مكتشفاتهم في هذا العلم وبين مبادئ الدين وأوامره ، فلأغراض الدين أمسى من الأمور المهمة جداً على المسلم أن يضبط موضع الكعبة وأن يجدد على وجه الدقة مواقيت شروق الشمس وطلوع القمر .. ولا تجاز هذه المهام المختلفة كلها اضطر

هذا الدهول في الواقع قاد المستشرق روم لاندو إلى البحث عن تفسير لهذه الظاهرة . فطرح سؤالاً مهماً للغاية ، اختلف حول الإجابة عليه كثير من كتاب الحضارة الأوروبيين ، وخاصة المستشرقين منهم ، بين متعصب ومنصف ومتجاهل . فقد تساءل عن الدوافع الرئيسية وراء هذا الخضم من المنجزات العلمية عند العرب ؟

وقد حرص لاندو هذه الدوافع بما يلي : « رغبة متقدمة في اكتساب فهم أعمق للعالم كما خلقه الله ، وقبول للعالم المادي لا يوصفه دون العالم الروحي شأنًا ومقاماً ولكن باعتباره صنواً في الصحة والروسخ ، واقعية قوية تعكس في صدق وإخلاص طبيعة العقل العربي اللاعاطفي ، وأخيراً فضولهم النهم الذي لا يعرف الشبع ، فقد كان إيمانهم بأن كل شيء في الوجود صادر عن الله ابتداءً بقرصة البعوضة إلى الطاعون الذي يقضي على بلاد برمتها ، فإن كلاً من هذا يكشف عن قدرة الله ، ومن هنا فهو جدير بالتأمل والدرس . ففي الإسلام لم يول كل من الدين والعلم



العرب إلى إنشاء طرائق رياضية كان لابد لها - إلى جانب شرطي البساطة والصفة العلمية - أن تكون بالغة الدقة<sup>(٣)</sup> ويقول أيضاً مؤكداً هذه الحقيقة: «إن تطویر الرياضيات من مرحلتها الإغريقية البدائية إلى مرحلتها العربية العالمية لتقدم لنا مثلاً قاتناً على الطرائق التي تستطيع بها المعتقدات الدينية الراسخة لشعب من الشعوب أن تكيف وتشكل حتى الجهود الدنيوية التي ينطوي عليها حقل علمي خالص كحقل الرياضيات. ذلك أن الفرق بين الرياضيات الاغريقية والرياضيات العربية ليس فرقاً علمياً فحسب ولكنه يدل أيضاً على تغيير عميق في ضروب الاستشراف الروحي والأيدولوجي»<sup>(٤)</sup>.

### نائل الاسلام

فالإسلام، كعقيدة وتعاليم، هياكل السبل من أجل نهضة علمية شاملة لكل جوانب الحياة وربط هذه النهضة العلمية بالدين مما أضفى عليها تلك اللمسة الإنسانية التي تضمن لنتائجها أن يكون هدف خدمة البشرية. فقد كان السلف يبتغون بالعلم والإنتاج رضا الله تعالى، قبل أي شيء آخر، ومن شروطه أن يكون بناء لا هداماً وأن يكون متقناً مخلصاً يبذل فيه أقصى الجهد. هذه الرغبة الحقيقية في كون العمل منتقناً، خاصة عندما استوجب البحث في ميادين الشريعة وعلوم الدين واللغة، دفعت العلماء المسلمين إلى البحث عن منهج يضمن الدقة ويقلل من إحتمال ورود الخطأ، قادهم هذا إلى إرساء قواعد مناهج البحث العلمي المبني على الصد والتجربة، والذي ندرك الآن أهميته القصوى في التقدم الحضاري. فإلى العرب يعود شرف ادخالهم هذا المنهج الذي أملت عليه رغبتهم في فهم دينهم فهماً صحيحاً وتحقيق ما جاء في الشريعة الإسلامية من أحاديث نبوية وأقوال سلف. أفادوا من هذا المنهج، الذي طبق أساساً على العلوم الدينية، وعندما انتفوا إلى الميادين العلمية، كان له الأثر الفعال في منجزاتهم العلمية، انتقل هذا المنهج فيما بعد إلى أوروبا ليكون لبنة أساسية في بناء صرح حضارتهم.

اعترف بعض المستشرقين المصنفين بسبق العرب في هذا المجال وأكدوا أهميته، فيقول المستشرق ديورانت: «تطبيق الطرائق التجريبية العلمية في علم الكيمياء، التي اكتشفها العرب، هي من أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخره». ولما أعلن روجر بيكون هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها جابر بن حيان بمجساة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قسماً من نور المسلمين في الشرق<sup>(٥)</sup>.

ويقول المستشرق «هل»: «وإن تفوق العرب الواضح على الاغريق في هذا الميدان يعزى إلى استخدامهم للتجارب العلمية في استجلاء الغموض والمظاهر المهمة في دراسة الطبيعة في حين اعتمد الإغريق على التأملات البحتة»<sup>(٦)</sup>.

وتقول المستشرقة هونكة: «لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس، كما أنهم أيضاً لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم القريب دون مناقشة أو تحقيق، فبذ البدء ادهشوا العالم بالحرية الموضوعية، والشجاعة العلمية اللتين استبقوا بهما نتائج السالفين وأقواهم ليشبعوها نقداً وبحناً وتفصيلاً»<sup>(٧)</sup>.

ويقول المستشرق سيديو: «فللمنهج التجريبي، الذي هو أساس التقدم العلمي، ظل هذا المنهج طوعاً بين العلماء العرب، وفي مدرسة بغداد تجلت الروح العلمية المبنية على عدم التسليم بما لا يستند إلى التجربة، هذا المنهج وهذه الروح أصبحت أداة بيد علماء الزمن الحديث قادتهم إلى الوصول إلى أجملة اكتشافاتهم»<sup>(٨)</sup>.

ما إن رسم المهدف أمام العلماء المسلمين، وحرر الإسلام العقل بعقيدة تحاطب العقل والقلب معاً، واكتشفوا الوسيلة، وهي مناهج البحث العلمي، حتى شرعوا في تشييد صرح الحضارة الإسلامية في مختلف جوانبها، والتي ظلت - كما يعترف

المستشرق ديورانت - على مدى خمسة قرون تترجم العالم كله في القوة والنظام، وسطة الملك، وجميل الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح الديني، والأداب، والبحث العلمي، والعلوم والطب والفلسفة»<sup>(٩)</sup>.

ولن أدعي أنني أستطيع استقصاء جميع منجزات العرب العلمية، فليس من اليسير الاحاطة بأعمال العلماء العرب في هذه الميادين، وذلك مطمح صعب يحتاج إلى تضافر جهود متكاثفة. لذا فاكثف بأن أعرض لها بشكل عام محاولاً تبيين قيمة هذه المنجزات وأثرها في نهضة أوروبا، معتمداً في إقرار هذه الحقائق على اعترافات المستشرقين المصنفين أنفسهم، والذين لم يعمهم التعصب الأعمى عن اثبات قيمة هذه المنجزات وأثرها البالغ في أوروبا، وجدير بنا أن نبحت عن شواهد من أقوال علماء الغرب، نظراً لوجود اتجاه التظليل وحجب الحقائق حول طبيعة منجزات العرب وعلاقتها بنهضة أوروبا.

### علم الرياضيات

نبدأ بعلم الرياضيات، باعتبارها أم العلوم التجريبية، هنا نجد أنفسنا أمام اعتراف تاريخي لا تنصل منه، ذلك بأن العرب تعين عليهم أول الأمر أن يعتمدوا في المقام الأول على رصيد المكتشفات والمعلومات التي ترجوها عن الاغريق، ولكن الحقيقة أن العرب ما لبثوا أن وجدوا أن الرياضيات الاغريقية لا تلائم غرضهم، وعلى أيديهم عرفت الرياضيات ذلك التحول الذي مكنها آخر الأمر من أن تصبح الأساس الذي قام عليه العلم الغربي الحديث<sup>(١٠)</sup>.

نالت الرياضيات الشيء الكثير من اهتمام العلماء العرب وعنايتهم وسرعوا فيها ووضعوا فيها مؤلفات كثيرة ترجم معظمها الغرب وأفادوا منها بطرق مشروعة أحياناً وملئوة في أحيان أخرى. يقول قدرري طوقان:

«لقد كانت كتب العرب في المثلثات معيلاً للغربيين، نهلوا منها واقتبسوا عنها، وغادى بعضهم فنسب لنفسه نظريات وبحوثاً بينما هي مأخوذة عن العرب، فقد ظهر حديثاً أن ريجيو مونتانيوس مثلاً قد نسب لنفسه موضوعات في المثلثات ثبت أنه أخذها عن كتب العرب. ويعترف كاجوري، وسميث، وسيديو، وسارتون وسوتر، بأن بعضاً من النظريات والبحوث نسبت في أول الأمر إلى ريجيو مونتانيوس وغيره ثم ظهر بعد البحث والاستقصاء أنها من وضع العرب وإنتاجهم»<sup>(١١)</sup>.

ولتبيان أهمية علم المثلثات في المجال العلمي، ودور العرب فيه، نقبس قول قدرري طوقان حين يقول: «لولا العرب لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن، فإليهم يرجع الفضل الأكبر في وضعه بكشف علمي منظم... ولا يخفى ما لعلم المثلثات من أثر في الاكتشاف والاختراع وفي تسهيل كثير من البحوث الطبيعية والهندسية والصناعية»<sup>(١٢)</sup>.

اشتهر علماء مسلمون كثيرون اعتبر عدد منهم رواداً لهذا المجال السديق من العلوم، وعلى رأس هؤلاء الخوارزمي، الذي بقيت مؤلفاته في الجبر والحساب مرجعاً للعلماء والتجار والمحاسبين، وظلت ولمدة طويلة أيضاً مؤلفات علماء أوروبا في الحساب لا تخرج في مادتها عن كتاب الخوارزمي.

ولم تكن مؤلفات العرب في هذا الحقل مرجعاً للعلماء الأوروبيين، وأساساً لمؤلفاتهم فقط، بل استخدمت متناً تعليمياً أساسياً في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر. يقول المستشرق بارتولد: «وظل الخوارزمي ثقة في أوروبا حتى عصر النهضة»<sup>(١٣)</sup>.

ولخص المستشرق روم لاندو اسهام العرب في مجال الرياضيات بما يلي: «نقل علم الحساب الإغريقي وتبسيطه وجعله أداة طيعة للاستعمال اليومي عن طريق





★ البرهان على نظرية فيثاغورس ★



- ★ صفحة من
- ترجمة
- لاتينية
- وضعها
- بيزا أرجيلانا
- عام
- ١٥٣١م
- ٨٩٣٨
- المقالة
- الزهراري
- في الأدوات
- الجراحية
- والطبية
- أنتى فيها
- عليه
- روسته
- بأنه
- جراح عظم ★

## العلوم الطبية

العلوم الطبية نجدها أكثر ما شغل العلماء المسلمين بجانب الرياضيات والكيمياء ، ففد القرون الأولى للإسلام كانت دراسة الطب تؤولف قسماً مهماً لثقافة أحكم أمرها<sup>(٢١)</sup> ، أنرى العلماء المسلمين الحضارة الإنسانية ببحوثهم وابتكاراتهم في هذا المجال ، منطلقين في هذا على الأسس الإسلامية حيث إننا نلمس هنا دور الإسلام كدافع رئيسي لتقدم علم الطب عند العرب ، أدرك هذه الحقيقة أحد المستشرقين قائلأ : « صحيح أن بحوثهم الطبية كانت ذات طبيعة علمية بالمعنى الدقيق ، ولكن الروح التي دفعتهم وحركتهم كانت عميقة الجذور في إيمانهم كمسلمين »<sup>(٢٢)</sup> .

وسوف نلمس قيمة منجزات العرب في هذا الحقل المهم في حياة الإنسان ، وذلك من خلال اعترافات بعض المستشرقين الذين اعترفوا بقيمة هذه المنجزات وأثرها في نهضة أوروبا ، فالمستشرق روم لاندو يقول : « وإذا كان من واجبتنا أن نعتبر فلق الذرة والقبلة الذرية رمزاً لأروع المنجزات العلمية في منتصف القرن العشرين ، فلن يبدو من مجرد المصادفة أيضاً أن تكون جهود المسلمين الطبية المبكرة قد قادتهم إلى اكتشاف لا يقل عن هذا الكشف الذري ثورية ، ولن يكون في أغلب الظن أكثر منه نفعاً »<sup>(٢٣)</sup> .

ومن أشهر رجال العلم الرازي الذي ألف العديد من الكتب الطبية والتي ترجم معظمها إلى اللغة اللاتينية وطبعت عدة مرات كانت أولها عام ١٥٠٩ من الميلاد ، ظلت أوروبا تعتمد على كتبه زمناً طويلاً<sup>(٢٤)</sup> . عن كتاب « الحاوي » للرازي يقول المستشرق ديورات : « وكتاب الحاوي للرازي في عشرين مجلداً ويبحث في كل فروع الطب ، ترجم إلى اللاتينية ، وظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة وأهم مرجع هذا العلم في بلاد الرجل الأبيض »<sup>(٢٥)</sup> .

وعن ابن سينا ، العالم العربي الآخر ، يقول جوستاف لوبون : « وكانت كتب ابن سينا قد نقلت إلى أكثر لغات العالم وظلت مرجعاً عاماً للطب على مدى ستة قرون ، وبقيت أساساً للبحوث الطبية في جميع جامعات فرنسا وإيطاليا »<sup>(٢٦)</sup> . ويقول حيدر بامات عن كتب العالمين الرازي وابن سينا : « ومن التوفيق

اصطناع الأرقام العربية والنظام العشري ، واختراع علم الجبر في مفهومه المعروف في العصور الحديثة ، ووضع أسس حساب المثلثات وخاصة الكروية منها »<sup>(١٤)</sup> .

ويقول المستشرق « هل » : « ومن تراث العرب علم حساب المثلثات ونظريات الزوايا والقياس . ولم يكن في استطاعة ( كبار علماء الغرب ) أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه دون أساس من علوم العرب ، وما ساهموا به في ميادين الرياضيات ، ذلك أن العرب أحبوا تدعيم نظرياتهم بنماذج عملية »<sup>(١٥)</sup> .

ويقول أيضاً : « ألف الخوارزمي كتاباً لتدريس الجبر ودعمه بالأمثلة ، وظل الغربيون يستخدمون تلك المقالة الأولى التي ترجمت إلى اللاتينية حتى القرن السادس عشر الميلادي »<sup>(١٦)</sup> .

وتقول المستشرق هونكة : « إن علم الجبر لا يزال حتى اليوم يحتفظ بطابع عربي ويعتبر العرب المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثات ، وهذا ميدان لم يخضه الاغريق البتة ، ولم يعرفوا عنه شيئاً ، ولقد تابع الأوروبيون تطويرهم لهذا العلم على أساس ما ورثوه عن العرب أكثر مما ورثوه عن ديكارت نفسه »<sup>(١٧)</sup> .

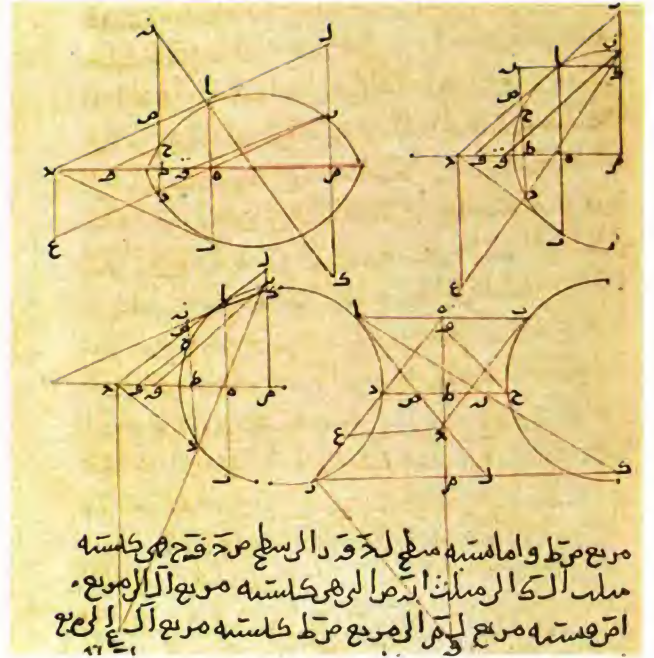
وتقول أيضاً : « والحقيقة التي لا مرية فيها هو أن العلماء العرب قبل غيرهم من العلماء بمئات السنين ، وعلى وجه التحديد بسبعمئة سنة ، وقبل أن يوجد إنجليري أو ألماني حسابها الفرق ، قد وفقوا إلى القيام بسلسلة من التحقيقات الكبيرة الهامة في العلوم والرياضيات عاجلوا فيها قضايا أساسية »<sup>(١٨)</sup> . ويقول حيدر بامات : « ونرى علوم الحساب والهندسة والجبر مدينة لعلماء المسلمين بما انتهوا إليه من اكتشافات أساسية فيها »<sup>(١٩)</sup> .

وقام المستشرق سيديو بسرد عدة أمثلة تثبت مدى التقدم الذي أحرزه العرب في العلوم الرياضية ، مؤكداً بأنهم سبقوا الأوروبيين إلى أغلب الاكتشافات التي نسب الغربيون شرف اكتشافها إلى أنفسهم ظلاً وبهتاناً ، ويقول بعد هذا السرد : « نستطيع أن ندعي بأننا كلما أمعنا وتعمقنا في دراسة المخطوطات العربية القديمة زادت لدينا الشواهد الدالة على التقدم الذي أحرزته العلوم الرياضية عند العرب »<sup>(٢٠)</sup> .





★ رسم تخطيطي لتكوين العين في إحدى رسائل حنين العنبر في العين ★



★ رسم ايضاحي من نسخة بخط ابن الهيثم، للترجمة العربية لكتاب «المخروطات» لابولونيوس ★

وقد صح من الباحثين الغربيين أن العرب هم الذين ابتدعوا في الصيدلة، وأنهم أول من اشتغل بتحضير الأدوية الطبية، وقد جدوا في البحث عن العقاقير في مظانها المختلفة وابتكروا الكثير جداً من أنواعها، ولا يزال الكثير منها يحتفظ في اللغات الأجنبية بأسماء العرب<sup>(٣٧)</sup>.

هذا قليل من كثير من منجزات العرب في الحقل الطبي، والتي بلغت شأواً عظيماً مما دفع بعض العلماء الأوروبيين إلى أن ينسبوا كتبهم إلى أسماء عربية لسرف قيمتها. تقول المستشرق هونكة في هذا الشأن: «لقد احتلت الأسماء العربية مقاماً كبيراً ولجأ بعض الأطباء من شمالي إيطاليا إلى جمع كتبهم ناسبها إلى أسماء عربية، وذلك بغية رفع شأن هذه الكتب واعلاء كلمها»<sup>(٣٨)</sup>.

### العلوم الطبيعية

أما منجزات العرب في حقل العلوم الطبيعية فقد كانت واسعة النطاق مما جعل **دوهنبولد** يعلن بأنه يجب أن يعتبر العرب هم المؤسسون الحقيقيون للعلوم الطبيعية<sup>(٣٩)</sup>. **وابن الهيثم**، العالم العربي، يعتبر في مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور والأحقاب، وهو من أئمة علماء الضوء، رتب تآليفاته في علم الطبيعة على الأربعة والعشرين كتاباً<sup>(٤٠)</sup>.

وعن تأثير هذه العلوم في الغرب تقول المستشرق هونكة: «لقد كان تأثير هذا النابغة (الحسن بن الهيثم) العربي على بلاد الغرب عظيم الشأن، فسيطرت نظرياته في علمي الفيزياء والبصريات على العلوم الأوروبية حتى أيامنا هذه»<sup>(٤١)</sup>.

وتقول أيضاً: «وعلى أكتاف العرب ارتفع نجم العطاء الخمسة في القرون الوسطى في ميدان الطبيعة»<sup>(٤٢)</sup>. ويقول المستشرق سيدو: «اتفق للعلوم الطبيعية عند العرب مثل ما اتفق للعلوم الرياضية من الرقي»<sup>(٤٣)</sup>. ويقول جوستاف لوبون: «بحث علماء الطبيعة في النباتات وفي تطبيقاتها على الطب على وجه الخصوص، وأنشأوا حدائق زرعوا فيها أندر النباتات وأكثرها طرفة»<sup>(٤٤)</sup>.

أن تفلت أثر علماء المسلمين الطبي من يد التخريب فترجم في جميع أوروبية وطبع ولاقت كتب كثير منهم كالرازي وابن سينا وأبي القاسم وابن زهر وغيرهم انتشاراً عجيماً، حتى أن مؤلفات هؤلاء بقيت في قرون كثيرة أساساً لتعليم الطب في جميع جامعات الغرب»<sup>(٣٧)</sup>.

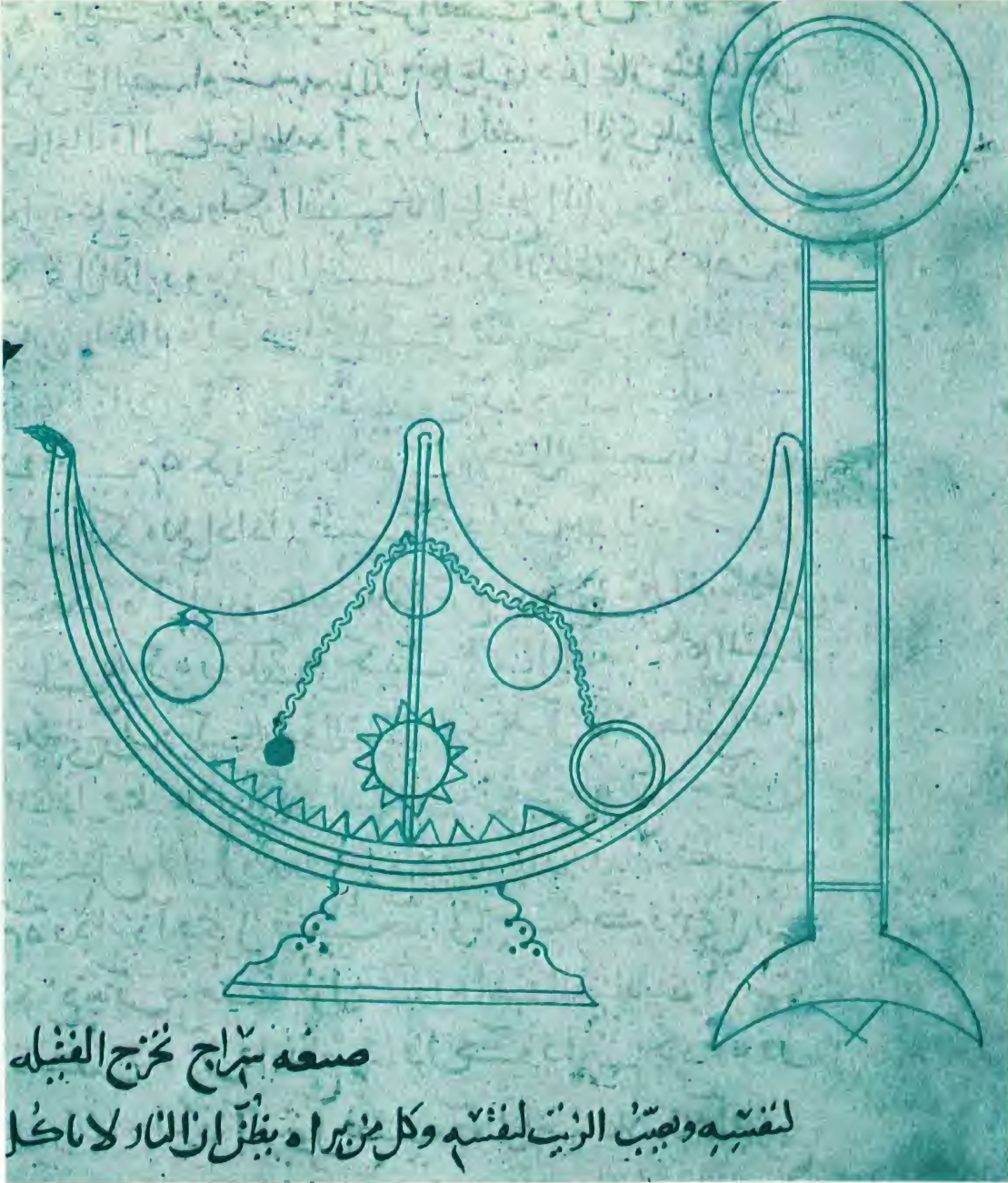
ويعترف المستشرق ويسلر بأن علم الرمد علم مستحدث إسلامي، ظلت شهرة أطباء رمد العيون العرب وتعمق معرفتهم - على حد قوله - بطرق أنواع العلاج لا تجارى<sup>(٣٨)</sup>. وإلى العرب يعود فضل آخر في علم الطب، والذي اعتبرته المستشرق هونكة فتحاً مجيداً في عالمه، وهو معالجتهم للأمراض العقلية والعصبية وتعمقهم في دراستها وكيفية علاجها<sup>(٣٩)</sup>. وقام المستشرق ديورانت بعمل إحصائية لعدد أطباء بغداد في العام ٩٣١م حيث وجد أنه كان هناك حوالي ٨٦٠ طبيباً مرخصاً في بغداد وحدها<sup>(٣٠)</sup>.

وعن الجراحة وطول باع العرب فيها يقول جوستاف لوبون: «إن أهم تقدم للعرب في عالم الطب هو ما كان في الجراحة ووصف الأمراض وأنواع الأدوية والصيدلة، وظهرت للعرب عدة طرق يعود الطب الحديث إلى بعضها بعد اهمالها قرونًا كثيرة»<sup>(٣١)</sup>. ويقول أيضاً: «وعلم الجراحة مدين للعرب، أيضاً، بكثير من مبتكراته الأساسية، وظلت كتبهم فيه مرجعاً للدراسة في كليات الطب إلى وقت قريب جداً»<sup>(٣٢)</sup>.

ويروي حيدر بامات قول العالم الفيزيولوجي الشهير **هالر** بأن كتب **ابن القاسم القرطبي** كانت هي المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر الميلادي<sup>(٣٣)</sup>. وينقل لنا المستشرق ريسلر اثبات مؤرخ علم الطب **نوبرجير** في أن تنظيم المستشفيات هو أحد المستحدثات التي قدمتها الحضارة الإسلامية<sup>(٣٤)</sup>.

كما عني العلماء المسلمون بعلم الصيدلة عناية فائقة وذلك باعتبارها تابعة بالضرورة لعلم الطب، ألف فيها الأطباء العرب العديد من الكتب، التي أصبحت نواة أساساً لعلم الصيدلة الحديث<sup>(٣٥)</sup>. وأثبتت المستشرق هونكة بأن العرب هم أول من افتتح الصيدليات العامة<sup>(٣٦)</sup>.





★ رسم  
بياني  
من  
السر  
المتروقة  
تلفاً  
من  
وكتاب الخيل  
لأحمد بن موسى ★

صغره سراج تخرج الفيلة  
لنفسه ويحب الزيت لنفسه وكل من رآه يظن ان النار لا تاكل

#### علم الكيمياء

وكما برع العرب وقدموا المنجزات العظيمة في حقول الرياضيات والطب والعلوم الطبيعية ، كذلك كانت اسهاماتهم في علم الكيمياء بالغه في التوسع والعمق ، مما يجعلهم بحق مؤسسي هذا العلم ، وهذا ما اعترف به المستشرق ديورانت قائلاً : « ويكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا «كيمياء بوصفها علماً من العلوم ، ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة والتجارب العلمية والعناية برصد نتائجها » (٤٥).

ويشير المستشرق «هل» إلى قيمة هذه المنجزات في هذا الفرع المهم من العلوم بقوله : « وتجلت المجهودات الرائعة التي قام بها العرب في ميادين الكيمياء في زيادة أنواع المواد المحيطة تجهيزاً صناعياً ، وفي تحسين الطرق التي وصلت من الإغريق تحسيناً تاماً ، وتطبيقها على معظم المواد المختلفة ، وإن تفوق العرب الواضح على الإغريق في هذا الميدان يعزى إلى استخدامهم للتجارب العملية في استجلاء الغموض والمظاهر المبهمة في دراسة الطبيعة وذلك على حين اعتمد الإغريق الأول على التأملات البحتة » (٤٦).

ويقلل المستشرق جوستاف لوبون من شأن المعارف التي انتقلت من اليونان إلى العرب فيما يتعلق بعلم الكيمياء ويعزو معظم الاكتشافات إلى العرب ، وذلك مثل المركبات المهمة كالكحول والتقطير ، والتي تعتبر أهم أسس الكيمياء (٤٧) . ويقول : « ويظهر لنا مدى اكتشافات العرب الكيميائية من كثرة ما كان مجهولاً قبلهم من المركبات التي وصفوها لنا في كتبهم » (٤٨) .

#### علم الفيزياء

وعلى الرغم من ضياع كتب العرب المهمة في علم الفيزياء ، والتي لم يبق منها إلا أسماؤها ، إلا أننا نستدل على حد تعبير جوستاف لوبون - على أهمية هذه الكتب في الفيزياء من القليل الذي وصل إلينا منها ، والتي نقلت إلى اللغات السلاتينية والإيطالية فيما بعد (٤٩) .

وذكر حيدر بامات عدداً من الاختراعات ذات النفع الصناعي ، والتي تمت على أيدي العرب ، خص بالذكر منها اختراع البارود وصنع الورق من القطن والكتان ، بينما اقترن اختراع البارود بأسماء روجر بيكون والبرت الكبير زمناً طويلاً (٥٠) .



وبلغ العرب في علوم الميكانيكا درجة رفيعة من المعرفة والاتقان مما جعل المستشرق سيديو لا يرى ضرورة في الاسهاب في إيضاح درجة الكمال التي انتهت إليه الفنون الميكانيكية، فيكني لثقلها أن ترجع البصر إلى الساعة المائية التي أرسلها هارون الرشيد إلى شارلمان فوصل إلينا وصفها، والهدايا التي قدمت إلى عاهل الصين، فهي تغنيها عما جاء في كتب المؤرخين عن تفاصيل جميع العجائب الماثلة التي اشتمل عليها قصر الخلفاء ببغداد<sup>(٥١)</sup>.

ويقول جوستاف لوبون: «كما أن معلومات العرب في مجال الميكانيكا العملية واسعة جداً ويستدل على مهارتهم في هذا الحقل من بقايا الميكانيكا التي انتهت إلينا وعن وصفهم لها في مؤلفاتهم»<sup>(٥٢)</sup>.

وهكذا ظلت الأمة الإسلامية حاملة لواء النهضة في مختلف جوانبها وكل أبعادها ولعدة قرون، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا غارقة في الظلام أغرق العلماء المسلمون جميع نواحي المعرفة بمؤلفاتهم وابتكاراتهم. ولنتبين مدى تأثير هذه العلوم عموماً في حضارة أوروبا نذكر وصف المستشرق سيديو الذي يقول:

«إن التأثير الذي بثه العرب في الغرب عبر عن نفسه، وبدت مظاهره في جميع فروع الحضارة الحديثة، ولقد رأينا أنه تكون منذ القرن التاسع حتى القرن الخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف الأدبية في التاريخ، وظهرت منتجات ومصنوعات ثمينة، تشهد بالنشاط الذهني المدهش في هذا العصر وجميع ذلك تأثرت به أوروبا بحيث يؤكد القول بأن العرب كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة»<sup>(٥٣)</sup>.

ويقول في مجال آخر: «ونحن إذ نرى شوق العرب إلى العلم قد حفزهم إلى النبوض بمختلف فروع المعارف البشرية طلباً للحقيقة وحدها، لا يسعنا سوى الإعجاب المطلق بجهود الشعب العربي الذي أدى بمثاله النبيل إلى بعث الآداب والفنون في أوروبا»<sup>(٥٤)</sup>.

ثم يعترف بمحاولات الغرب الجادة في إنكار هذا الدور ورفضه ذلك بقوله: «لقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب، ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء، وليس من مفر أمامنا إلا أن نرد لهم ما يستحقون من عدل إن عاجلاً أو آجلاً»<sup>(٥٥)</sup>.

وعن فضل العلم بصفة عامة يقول بريزو: «العلم هو أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية إلى العالم الحديث، فالأغريق قد عمووا ووصفوا النظريات ولكن روح البحث وتركيم المعرفة اليقينية وطرائق العلم الدقيقة والملاحظة الدائبة المتطاولة التي كانت غربية عن المزاج الإغريقي، إنما كان العرب هم أصحاب الفضل في تعريف أوروبا بهذا كله، وبكلمة: كان العلم الأوروبي مدينياً بوجوده للعرب»<sup>(٥٦)</sup>.

ويقول المستشرق «هل»: «وعندما نفكر في الحضارة العربية بتبادر إلى الذهن مباشرة نشاط العرب وإنتاجهم في تلك الميادين من العلوم إذ لعب العرب، ونستعمل اللفظ في أوسع معناه، دوراً عالمياً، فقد تناولوا ما وجدوه بالدروس، ووضعوا ثمرة جهودهم بين يدي الأجيال التالية كأساس يبنون عليه»<sup>(٥٧)</sup>.



١ - بارتولد، ف «تاريخ الحضارة الإسلامية» ترجمة حمزة طاهر- دار المعارف بمصر ١٩٦٦م / الطبعة الثانية.

٢ - بامات، حيدر «مجلي الإسلام» ترجمة عادل زعيتر- دار إحياء الكتب العربية / القاهرة ١٩٥٦م.

٣ - ديورانت، و. ل «قصة الحضارة» ترجمة محمد بدران- لجنة التأليف والترجمة والنشر / الطبعة الثانية ١٩٦٤م.

٤ - ريسلر، جاك «الحضارة العربية» ترجمة غنم عبدون- الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٥ - سيديو، ل. أ «تاريخ العرب العام» ترجمة عادل زعيتر- عيسى البابي الحلبي / الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٦ - طوقان، قدرى حافظ «تراث العرب العلمي» دار القلم بالقاهرة / الطبعة الثانية ١٩٦٣م.

٧ - الطويل، توفيق «العرب والعلم» دار النهضة الحديثة.

٨ - لاندو، روم «الإسلام والعرب» ترجمة منير بعلبكي- دار العلم للملايين، بيروت / الطبعة الأولى ١٩٦٢م.

٩ - لوبون، جوستاف «حضارة العرب» ترجمة عادل زعيتر- عيسى البابي الحلبي / الطبعة الرابعة ١٩٦٤م.

١٠ - منتصر، عبد الحليم «تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه» دار المعارف بمصر / الطبعة الخامسة ١٩٧٣م.

١١ - هل، ي «الحضارة العربية» ترجمة د. إبراهيم أحمد العدوي- مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة ١٩٥٦م.

١٢ - هونكة، ستيفريد «أثر الحضارة العربية في أوروبا» ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي- المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر / الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

## المواضع

- (٢٩) أثر الحضارة العربية في أوروبا، ص ٣٢٧.
- (٣٠) قصة الحضارة، ج ٢، مجلد ٤، ص ١٩٠.
- (٣١) حضارة العرب، ص ٤٩٤.
- (٣٢) نفس المصدر، ص ٤٩٤.
- (٣٣) مجالي الإسلام، ص ١٤٨.
- (٣٤) الحضارة العربية، ص ١٩٦.
- (٣٥) تاريخ العلم ودور العلماء العرب، ص ٢٤٩.
- (٣٦) أثر الحضارة العربية في أوروبا، ص ٣٢٩.
- (٣٧) العرب والعلم، ص ٤٣.
- (٣٨) أثر الحضارة العربية في أوروبا، ص ٣٣٢.
- (٣٩) مجالي الإسلام، ص ١٥٠.
- (٤٠) تاريخ العلم ودور العلماء العرب، ص ٢٣٣.
- (٤١) أثر الحضارة العربية في أوروبا، ص ١٥٠.
- (٤٢) نفس المصدر، ص ٣٣٣.
- (٤٣) تاريخ العرب العام، ص ٣٨٠.
- (٤٤) حضارة العرب، ص ٤٨٧.
- (٤٥) قصة الحضارة، ج ٢، مجلد ٤، ص ١٨٧.
- (٤٦) الحضارة العربية، ص ١١٨.
- (٤٧) حضارة العرب، ص ٤٧٥.
- (٤٨) نفس المصدر، ص ٤٧٧.
- (٤٩) حضارة العرب، ص ٤٧٣.
- (٥٠) مجالي الإسلام، ص ١٤١.
- (٥١) تاريخ العرب العام، ص ٣٣٥.
- (٥٢) حضارة العرب، ص ٤٧٣.
- (٥٣) تاريخ العرب العام، ص ٢٦٥.
- (٥٤) نفس المصدر، ص ٣٤٨.
- (٥٥) نفس المصدر، ص ٣٧٠.
- (٥٦) الإسلام والعرب، ص ٢٤٥.
- (٥٧) الحضارة العربية، ص ١٠٥.
- (١) الإسلام والعرب، ص ٢٤٦.
- (٢) المصدر السابق، ص ٢٤٦.
- (٣) المصدر السابق، ص ٢٤٧.
- (٤) نفس المصدر، ص ٢٤٨.
- (٥) قصة الحضارة، ج ٢، مجلد ٤، ص ١٩٦.
- (٦) الحضارة العربية، ص ١١١.
- (٧) أثر الحضارة العربية في أوروبا، ص ١٤٣.
- (٨) تاريخ العرب العام، ص ٣٣٩.
- (٩) قصة الحضارة، ج ٢، مجلد ٤، ص ٣٨٢.
- (١٠) الإسلام والعرب، ص ٢٤٩.
- (١١) تراث العرب العلمي، ص ١٩.
- (١٢) المصدر السابق، ص ١٨.
- (١٣) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٨٠.
- (١٤) الإسلام والعرب، ص ٢٤٧.
- (١٥) الحضارة العربية، ص ١٠٨.
- (١٦) نفس المصدر، ص ١٠٩.
- (١٧) أثر الحضارة العربية في أوروبا، ص ١٥٩.
- (١٨) نفس المصدر، ص ١٦٢.
- (١٩) مجالي الإسلام، ص ١٣٤.
- (٢٠) تاريخ العرب العام، ص ٣٧٨.
- (٢١) مجالي الإسلام، ص ١٤٥.
- (٢٢) الإسلام والعرب، ص ٢٥٨.
- (٢٣) الإسلام والعرب، ص ٢٥٨.
- (٢٤) حضارة العرب، ص ٤٨٩.
- (٢٥) قصة الحضارة، ج ٢، مجلد ٤، ص ١٩١.
- (٢٦) حضارة العرب، ص ٤٩٠.
- (٢٧) مجالي الإسلام، ص ١٤٦.
- (٢٨) الحضارة العربية، ص ١٩٨.



# أغنية إلى تبوك

★ عين الشاعر موجها للغة العربية في (تبوك) لكن ظروفًا عائلية  
قاهرة منعت من الالتحاق بوظيفته. فكتب هذه الأبيات تحية للمدينة ★

شعر: خليل خلايلي



كانت (تبوك) ولم تنزل في خاطري  
أملًا يرفُّ على رقيق مشاعري  
أحببها من فجر غُمري واحدة  
فيحاء تنشر كلَّ ربح عاطر  
وعشقها غيلًا ومسرَّح عانة  
وظلال باسقة ونغمة طائر  
ولذكر غزوتها يُهدِّدُ خافقي  
بالكبرياء وكل زهو آسر  
ويُعطر التاريخ في صفحاته  
ألقًا يفيض لكابر عن كابر  
من للمفاخر والمروءة والتُّدى  
إن لم تكوني أنتِ ظئر مفاخر  
يندى بمخضَّل الرِّواء جبينها  
وبتبه عطفًاها بيض مائر



يا ظبيةً بين النفوذ ومدين  
رعت فأبهجت الغداة نواظري  
هل للمتميم في لقاءك حيلة  
ترجى لوصل أو لعقد أواصر  
فلأنا على عهد المودَّة لم أزل  
أرنو إليك بكل طرف حائر  
لكنها هيأت أنت عصية  
وأنا أنوء بفعل جد عائر  
فلاهلك الأبرار ألف تحية  
تهدي إليهم من محب شاعر



# العلاقة المتقاربة المتعارضة بين الصحافة والأدب!



جان دومرسون



★ عيناان براقان وأنف مدبب وذكاء حاد ورقة بالغة .. هكذا وصف أحد الصحفيين الأديب الصحفي «جان دومرسون» الذي تولى إدارة تحرير الصحيفة اليومية الفرنسية الشهيرة «لو فيجارو» في نفس الوقت الذي قبل فيه عضواً بالأكاديمية الفرنسية .. كان ذلك في عام ١٩٧٣ م ، عندما كان «دومرسون» موزعاً بين الصحافة والأدب ، كلاهما يجذبه وكلاهما لا يغني عنه في حياته العملية .. من هذا المنطلق قال «دومرسون» ذات مرة : «مهنة الصحفي كمهنة الكاتب تحتاجان ممن يمارسهما أن يعطي نفسه كلية وبغير حساب» .

وفي عام ١٩٧٧ م ، ضاق «دومرسون» بالإدارة ، فتخلى عن منصبه كمدير للتحرير ، واكتفى بامتلاكه الصحفي للصحيفة ، فاختير سكرتيراً عاماً للجنة الفلسفة والعلوم الإنسانية بهيئة اليونسكو العالمية .. وعاد إلى الكتابة باصدار مذكرات شخصية تحمل عنوان «المتشرد» ، أخذت مكانتها في دنيا الأدب الفرنسي .. فن هو «جان دومرسون»؟!★

فالكتابة الصحفية والكتابة الأدبية ، كلاهما كتابة .. وفرق كبير بين الكاتب الصحفي والمحرر أو الخبر الصحفي .. أما الصحافة فهنة يبدأ صاحبها من الصفر ثم يتدرج بالممارسة والخبرة ، بينما الأديب يولد أديبا ، صغيراً ثم يكبر لا يهم .. وقصتي مع الصحافة كانت قصة عادية ، أما قصتي مع الأدب ، فقد بدأت بالرفض .. بعثت بروايتي الأولى إلى الناشر «جالمار» فلم يرد ، فبعثت بها إلى الناشر «جوليار» الذي اتصل بي في اليوم التالي ليخبرني بالموافقة ويبشرنى بأن الرواية ستحدث الدوي الذي أحدثته رواية «فرنسواز ساجان»



## بين الصحافة والأدب

- ما هي مهنتك الحقيقية؟
- ★ أحاول أن أكون كاتباً .
- وعلى جواز سفرك؟
- ★ كاتب .
- وعندما كنت مديراً لتحرير «الفيجارو»؟
- ★ كانت تكتب الكلمة التي لا زلت أعتز بها «صحفي» .
- إذن غيرت المهنة؟!
- ★ كلا ، ولكن صفحات الجواز امتلأت ، وعند تجديد الجواز ، كتبوا كلمة «كاتب» التي أعتز بها أيضاً .
- ولماذا هذه الازدواجية؟
- ★ ليس في الأمر «ازدواجية»



## ● الكتابة لاتعطل الصحافة، بينما تعوق الصحافة انطلاق الكاتب.

هذه الرؤية، فقد أقدم على قراءة  
رواية كتبها «سائق تاكسي» أو «عامل  
مقهى» وأعزف عن قراءة رواية كتبها  
قائد جيش أو وزير أو مدير.

### ● وكيف أصبح «شاتو بريان» كاتباً؟!

★ لكل قاعدة استثناء، وفي التاريخ استثناءات ثلاثة: يوليوس  
قيصر، الذي كان إمبراطوراً وكاتباً متميزاً... وسان سيمون، الذي  
كان قديساً وأديباً كبيراً... وشاتو بريان، الذي كان سفيراً ووزيراً  
للخارجية وصاحب مؤلفات أدبية مرموقة.

### ● وكلوديل وسان-جون بيرس.

★ وجيرودو، وموران، ولامارتين... كلهم كانوا شعراء...  
ولم أقل إن مهنة السفير تعطل عن الأدب... ولأعذر لحك فوتييه (مدير  
تحرير الموند) وفيليب تيسون (مدير تحرير باريس) فلقد عطلتها  
الإدارة عن الأدب... ولك أن تعرف أن والدي كان سفيراً للجهة  
الشعبية.

### بين الدراسة والحياة

### ● وماذا عن دراستك؟!

★ درست كل شيء ولم أدرس شيئاً... في المدرسة العليا تخصصت  
في دراسة الفلسفة، ولكن الفيلسوف «التوسير» قال لي: «يمكنك  
أن تعد رسالتك في أي فرع آخر غير الفلسفة، فلست تصلح  
لها ولا هي تصلح لك»... وقال لي والدي: «عش حياتك  
بالعرض لأنك لا تحتل السلم الوظيفي»... وعملت بالنصيحتين،  
تركزت الفلسفة وتخصصت في دراسة الأدب، ورغم تعييني مديراً لتحرير  
«الفيجارو» تركت الوظيفة لكي أنفرغ للكتابة... وقلت لنفسي: «إن  
العقل الجاد تماماً لا يمكن أن يفرز أدباً» فتخلّيت عن عقليتي  
الجادة وأنتجت أدباً جاداً.

### ● وهل عشت حياتك بالعرض فعلاً؟!

★ عشتها بالعرض الأدبي وليس بالعرض الدنيوي... عشت لأكتب  
ما أشاء لا لأكتب ما يطلب مني، ولكني لم أعش حياة الرقص والحفلات  
والاحتفالات والسهرات المنزلية، فتلك أشياء تزعجني وتؤرقني، لا أحبها

الأولى... وأخذت أنتظر هذا الدوي  
بعد نشر الرواية الأولى والثانية  
والثالثة والرابعة ولكن شيئاً لم يحدث،  
ولم يكف «جوليار» في كل مرة عن  
ترديد بشراً... المهم أنه وفر علي جهد  
الاتصال بالناشرين وانتظار قراراتهم  
وتحمل رفضهم... ونتيجة اليأس من  
تحقق البشري كتبت بعنوان «شكرا  
وإلى اللقاء» شكرا للأدب وإلى لقاء  
معه... وهكذا اقتنعت بأن تعرف  
القراء على اسمي لم يكن من خلال  
الكتب التي وزعت منها عدة آلاف،  
وإنما تحقق ذلك من خلال خمسمائة ألف  
نسخة توزع يومياً من صحيفة  
«الفيجارو»... حتى جائزة الأكاديمية  
الفرنسية التي حصلت عليها عام  
١٩٧١م عن رواية «مجد الامبراطورية»  
لم تحقق لي أي نوع من أنواع الشهرة إلا  
لدى بعض الكتاب والنقاد  
والمثقفين...

● والآن، هل ينظر إليك القراء على أنك صحفي أم  
كاتب روائي؟  
★ كاتب صحفي.

### بين الادارة والأدب

### ● وهل عطلت إحداها الأخرى؟

★ الكتابة لا تستطيع أن تعطل  
الصحافة، بينما العكس صحيح... ومن  
الصعب أن تتيح الادارة الفرصة كاملة  
للكاتب، أية إدارة وأي كاتب... بل  
كثيراً ما تقف الادارة حائلاً دون تطور  
الموهبة وإزدياد عطائها... ومن خلال





## الكاتب يقول أحيانا مالا ينبغي أن يقال ويخفي في أحيان أخرى ما كان ينبغي أن يظهر

ولا أعرف حتى كيف أمارسها لو اضطررت أو عنت لي .

### الأدب والتاريخ

● هل من حق الكاتب أن يضفي مسحة أدبية على التاريخ؟ .. أذكر مثلاً قدمته أنت في رواية «مجد الامبراطورية»، فقد صورت العلاقة العاطفية بين الليدي آن كنجستون والكولونيل فيتز-جيرالد تصويراً أعتقد أنه من خيالك .

★ أولاً، من حق الكاتب بل لا بد وأن يضفي مسحة أدبية على التاريخ، إذا كان عمله أدبياً، وإلا تحول إلى مؤرخ ولم يعد أدبياً . ولكن ليس من حق الأديب أن يغير في الوقائع والأحداث التاريخية، فهي ملك للتاريخ وحده .

ثانياً، لست معك في اعتقادك الخاص بقصة الحب المعروفة بين آن كنجستون وفيتز-جيرالد، فلم أضف أي شيء من عندي، كل ما هنالك أنني صورت القصة بشكل روائي وبأسلوب تتطلبه الأحاسيس والعواطف . كذلك لا ينبغي أن يتطرق إلى ذهنك كما حدث لبعض النقاد، ارجاع أحداث أسرة «فودروي» في رواية «في حب الله» - التي عرضت بالتلفزيون مؤخراً - إلى حياتي الخاصة، فهي أسرة عادية تعرفت إليها وراقني أن أفيد من أحداث حياتها الغربية إلى حد بعيد، لأن تلك الأحداث تشكل مادة روائية خصبة وتحتوي على عناصر فنية صالحة تماماً للفن الروائي شكلاً ومضموناً . وأعتقد أن الأدباء جميعاً قد خاضوا مثل هذه التجربة مرات ومرات، فليس كل ما يكتبه الأديب أحداثاً خاصة به أو حياة عاشها بنفسه . . أليس كذلك؟!

### الواقع والخيال

● كذلك .. ولكن ما هو الحد الفاصل بين الواقع والخيال في الأدب وبعيدا عن التاريخ؟

★ هو الفرق بين «نابليون» و«راستينيك» . . الشخصيتان ذكرهما التاريخ، التاريخ المجرد من ناحية، والتاريخ الأدبي من ناحية أخرى . . ومات الاثنان، ولكنها ظلا في ذاكرتنا . . أليس كذلك؟!

أقول لك الحق، إن شخصية «راستينيك» لا تزال وستظل عالقة بذهني أكثر من شخصية «نابليون»، لأن «أونوريه دو بلزاك» رسم الشخصية الأولى - وهي شخصية خيالية وليست واقعية - بدقة بالغة وبتفاصيل تكاد تقترب من التصوير الفوتوغرافي، لما عرف عن «واقعية بلزاك»، بينما كتب المؤرخون عن «نابليون» كتابة صماء بكاء لا حياة فيها ولا أبعاد . . رحل الاثنان ولكنها بقيا في ذاكرتنا بقاء مجرداً، لا نرجعه كل مرة إلى الواقع والخيال . . وتلك هي قدرة الأدب ومقدرة الأديب .

● ولكنك عندما تكتب اليوم عن شخصية واقعية، شخصية موجودة بالفعل، فعلى أي نحو تكون هذه الكتابة؟ .. أذكر مثلاً «سارتر» أو «ديستان» أو «ساجان»؟

★ الكاتب يقول أحيانا ما لا ينبغي

أن يقال ويخفي في أحيان أخرى ما كان ينبغي أن يظهر . . المهم هو أن يتفق القول ورؤيته الخاصة، ويكون الاخفاء من مقتضيات العمل وليس لمزاج خاص . . وأنا أقول الحقيقة أيا كانت ولا أميل إلى الخداع أو الاثارة أو خدمة الموضوع على حساب الواقع . هكذا علمتني الصحافة وهكذا فعلت في كتاباتي الأدبية . . ولا يخفى عليك أن في الصحافة مدارس فكرية وفنية كثيرة منها ما يسمى «بمدرسة الاثارة» . . وكذلك في الأدب .



وأعود إلى النماذج الانسانية التي طرحتها أمامي كمثال، فأقول إن كل شخصية من هذه الشخصيات لها جوانب عديدة، والكاتب الذي يتناولها ليس مجبراً بأي حال على تناول كل هذه الجوانب، لأنه ينطلق من مفهوم عام، عليه أن يختار ما يؤكد هذا المفهوم ويدعمه، ولكن بأمانة وصدق حتى لا



## ● الخلود الأدبي من ورق .. فماذا يبقى من الأديب غير الكلمات؟!

هذه عبارة لك ، فما هو تفسيرها؟

★ الأدب عشق ، والعشق مرض ، والمرض كارثة ، خاصة إذا كان مزمناً .. والأديب على هذا النحو السيكولوجي ، إنسان مهموم بالأدب ويقضيا الحياة .. والغريب في الأمر أنه يسعد بذلك المهم ويستمتع به ، ويرفض تماماً أن يشفى منه .. إن الأديب بطبعه «مازوشي» أي يسعد بتعذيب نفسه ، وهذا أفضل من «السادى» الذي يسعد بتعذيب الآخرين ، وهو «غيري» يتم بالآخرين ، وهذا أفضل من «الأناني» الذي يتم بنفسه .. هذا هو تفسيري لتلك العبارة ، وقد قلتها ولم يكن في ذهني هذا التفسير ، ولذلك أترك لغيري يفسرها كيفما شاء ، ربما فسرها أفضل مني ، وهذا هو دور النقد والنقاد .

### ماذا عن خلود الأديب؟!

● هل تؤمن بالخلود؟! .. أعني خلود الأدب والأديب .  
★ الخلود من ورق .. فإذا يبق من الماضي غير الكلمات؟! .. وهذا هو سر تمسك الأديب بالأدب أو كما سميت منذ قليل «كارثة الأدب» .. فالذي يبقى ليس الكاتب وإنما ما كتب .. ومع أننا نعيش عصراً زائحاً ومزدحماً بالأدب ، بحيث تصعب التصفية ويصعب البقاء ، فإن كل أديب يتصور أن أعماله باقية وسط هذا الزحام وخالدة بالتالي ، هذا الخلود الذي ينسحب عليه ليخلد اسمه وليس شخصه ، وهذا أمر طبيعي .. أوسكار وايلد أو شاتو بريان أو غيرهما ، خلد كل منهم كلماته لأنه كإنسان لا يمكن أن يخلد .

دعني أقول لك إن قصة الخلود أتاحت وسوف تتاح لكبار الكتاب الذين أنتجوا أعمالهم قبل الحرب العالمية الثانية أو خلالها ، أما من جاءوا بعد ذلك ، فإن فرصة الخلود أمامهم أضعف بكثير ، نظراً لكثرتهم

يطغى جانب على آخر فيضر بالشخصية ككل .. وبمعنى آخر ، فلا يجوز تغليب جانب ضعيف على جانب قوي ، حتى ولو كان ذلك التغليب يخدم تلك الرؤية .

«سارتر» ينبغي التركيز على «فلسفته» أكثر من «أدبه» وعلى «حياته الاجتماعية» أكثر من «حياته الدينية» وعلى «ضعف بصره» أكثر من «قصر قامته» .. «ديستان» ينبغي التركيز على «سياسته الداخلية» أكثر من «سياسته الخارجية» وعلى «طول قامته» أكثر من «نحافة جسمه» .. «ساجان» ينبغي التركيز على «أسلوبها» وليس «موضوعاتها» وعلى «حيويتها» وليس «جمالها» .. وهكذا .. وأهم من هذا كله ما يسمى «بمفتاح الشخصية» ..

وفي النهاية أشير إلى حقيقة هامة ، هي أن كل «شخصية» مهما بلغت من عظمة أو من جوانب عظيمة لا تصلح بالضرورة لأن تكون شخصية روائية .. وقد يعثر الكاتب على «شخص» عادي يصلح تماماً «شخصية فذة» في عالم الأدب .. وقد يكون الكاتب ملامح لشخصيته من عنده ، تفوق كل الشخصيات الواقعية .. وأذكر هنا مرة ثانية «شخصية راسينيكا» .



### هل الأدب .. كارثة؟!

● «الأدب كارثة تحل على الإنسان الذي تجعل منه أديباً»





## لقد تراجع أهمية الكلمة المكتوبة أمام وسائل التثقيف والإعلام المتطورة!

والحكام القدامى ، والتراجيديا ارتبطت بالطبقة الأرستقراطية ، أما الرواية فقد صاحبت الطبقة البورجوازية .. ولقد ولت الإمبراطوريات وانقرضت الأرستقراطية ، فهل تبقى البورجوازية طويلاً؟! .. إلا أن أدباً بلا رواية يعد أدباً ناقصاً ومبتوراً .

### وماذا عن نفسك؟!

- هل لك أن تصف نفسك بصفات ثلاث ، على الرغم من أن الذين كتبوا عنك وصفوك بخمس عشرة صفة؟!
- ★ مرح .. ساخر .. متسامح .
- هل تعتقد أن لعينيك الزرقاوين دخل في شهرتك؟!
- ★ ولو طالت قامتي عشرة سنتيمترات؟!
- ولو كان لك أن تختار بين مهنة ديحول ومهنة بروس .. أو بين ديحول وبروست؟!
- ★ بروس .. بروس .. بدون أدنى تردد .. ومع هذا فأنا أقدر ديحول تماماً وأحترمه .
- أصدرت خمس روايات هي «الحب متعة» و«حب لاشيء» و«خداع البحر» و«مجد الامبراطورية» و«في حب الله» .. وأصدرت ثلاثة كتب بين المذكرات والدراسات هي «إلى جوارجان» و«شكرا وإلى اللقاء» و«المتشرد» .. أليس كذلك؟!
- ★ كذلك .. حتى الآن !

نقلا عن مجلة « LIRE » الفرنسية

ونظرا لتراجع أهمية الكلمة المكتوبة أمام وسائل التثقيف والاعلام المتطورة والمؤثرة ، الميسرة والميسورة ، كالراديو والتلفزيون والمسرح والسينما بل وأشرطة الكاسيت والفيديو وما يمكن أن يظهر في المستقبل القريب أو البعيد .



ودعني أقول لك أيضا إن «الأدب الفرنسي» لم يعد وحده في الساحة العالمية ، فقد أخذت آداب أخرى طريقها إلى الساحة مثل «أدب أميركا اللاتينية» وأبرزه الأدب الأرجنتيني والأدب البرازيلي والأدب الكوبي ، وكذلك «الأدب التركي» و«الأدب الافريقي» وخاصة المكتوب باللغتين الفرنسية والانجليزية وكذلك «الأدب المغربي» المكتوب باللغة الفرنسية .. بينما آداب أخرى كانت قد أخذت مكانها في أعقاب الحرب العالمية الثانية مثل «الأدب الأمريكي» و«الأدب الاسباني» و«الأدب الايطالي» .. أما «الأدب الروسي» فلم يبق غير «الكلاسيكي» منه .. ولكي أكون شاملا وصادقا فلإني لا أعرف عن «الأدب العربي» شيئا ، وربما كان ذلك تقصيرا مني! ..

فإذا انتقلنا إلى أنواع الأدب ذاتها ، وجدنا أن لكل عصر نوعه ونوعيته ، من الأدب ، فالملاحم كانت من نصيب الأباطرة والقيصرة





★ ثبت عضوية المجلس ★



# مجمع اللغة العربية

الطريق إلى مجمع اللغة العربية في دمشق ، بل الخطوة الأولى التي يخطوها المرء إليه ، تثير في النفس ماثات الذكريات ، وتفتح أمامه صفحات شيقة ومثيرة من التاريخ . لا بد لك ، حين تريد الذهاب إلى المجمع من أن تمر بأكبر وأقدم سوق تجاري في عاصمة الأمويين ... السوق الذي لا تقل شهرته عن شهرة دمشق نفسها ، بل لعل اسمه يقترن باسمها ، ونعني به «سوق الحميدية» ، هذا السوق الطويل ، الذي لا تدخله السيارات ، ولا وسائل الركوب الأخرى ، يعج بالحركة ، ويضج بالنشاط ... فانت مضطر أن تقطعه سيراً على الأقدام ، بخطوات وثيدة ، لكي تتحاشى صدام زحام المارة ، من الزوار والسائحين ، وصغار الباعة .

وحين تنتهي من سوق الحميدية ، يطل عليك سوق صغير جميل ، يدعى سوق «المسكية» ، وهو خاص بالوراقين وباعة الكتب المدرسية ، وينتهي بالباب الغربي للجامع الأموي الكبير .. ولكن علينا أن نتعطف يساراً من آخر سوق الحميدية ، إلى طريق ضيق صغير ، شديد الزحام ، يدعى «باب البريد» . ولا علاقة حالياً لهذا الطريق بأي بريد ... ولكن باب البريد هذا ، ذكره أحد الشعراء القدامى ، المغرمين بدمشق فقال :

ما بين جايها وباب بريدها

قمر يغيب وألف شمس تطلع

وينتهي بنا باب البريد ، الذي كان يغيب فيه قمر الشاعر ، لتطلع ألف شمس من الحسان والفتات - على حد قوله - ببناءين شاغخين ، شموخ قاسيون وبردى .. بناءين أثريين متقابلين من الحجر الضخم المنحوت ، شيدا في عهد الملك العادل ، منذ مئات السنين . ويشغل



★ العلامة  
عمد كرد  
علي  
مؤسس  
الجمع  
ورئيسه  
الأول ★



★ د. حسي سح

رئيس مجمع اللغة العربية ★



★ شاعر الشام خليل مردم ★





★ صورة قديمة  
لأعضاء المجمع  
العلمي العربي  
في أوائل عهد تأسيسه :  
الجالسون  
من اليمين :  
أمين سويد  
أنيس سلوم  
محمد كرد علي (الرئيس)  
طاهر الجزائري  
سعيد الكرمي  
والوقوف :  
متري قندلفت  
عيسى اسكندر المعلوف  
عبد القادر المغربي  
عز الدين التنوخي ★

# بعد سنتين عاماً من تأسيسه

بقلم: عبد الخني العطرني

## قصة المجمع منذ تأسيسه

حين قامت الثورة العربية سنة ١٩١٦ م ، وانتهت بتأسيس الحكومة الفيصلية العربية في ديار الشام ، يوم الخامس من تشرين الأول ( أكتوبر ) ١٩١٨ م ، واجهت الدولة قضية اللغة العربية ، لأن اللغة التركية كانت لغة البلاد الرسمية ، والأتراك يتولون معظم رئاسات الدوائر . وكان الموظفون العرب أنفسهم يجهلون الانشاء العربي . أمام هذا كان على الحكومة أن تتدارك الأمر ، وتستبدل التركية بالعربية في الدور والمدارس . وتم ذلك في وقت قصير .

فقد أنشأت الحكومة شعباً إدارية وفنية ، لختلّف أعمال الدولة . منها الشعبة الأولى للترجمة والتأليف ، مهمتها نشر الثقافة بين الموظفين ، واستبدال المصطلحات التركية بالعربية . وكان أول الأعضاء العاملين في شعبة الترجمة والتأليف السادة : أمين سويد ، أنيس سلوم ، عز الدين علم الدين ، عيسى اسكندر المعلوف ، سعيد الكرمي وغيرهم .

ثم رأت الحكومة بعد ذلك ، أن تجمع فروع الثقافة في دائرة واحدة ، فضمت أمور المعارف العامة إلى شعبة الترجمة والتأليف . وجعلتها كلها « ديوان المعارف » ، وأسندت رئاسته إلى العلامة محمد كرد علي . وكانت مهمة الديوان النظر في أمور المعارف ، وتأسيس دار للآثار ، والعناية بالكتب . واتسعت أعمال ديوان المعارف ، فقامت الحكومة بتقسيمه إلى قسمين : الأول يعنى بأعمال المعارف العامة ، والثاني يختص بأمور اللغة والمكتبات والآثار . ومن أجل هذا أصدر الحاكم العسكري رضا الركابي أمراً بتسمية ديوان المعارف بالمجمع العلمي . وكان ذلك في الثامن من حزيران ( يونيو ) عام ١٩١٩ م . وهكذا استقل المجمع العلمي عن ديوان المعارف ، وعهد برئاسته إلى الأستاذ محمد كرد علي . وكان أول من سمي من أعضائه الأساتذة : أمين سويد ، أنيس سلوم ، سعيد الكرمي ،

الواحد - إلى اليمين - المكتبة الظاهرية ، أكبر مكتبات سورية حيث يرتادها كل يوم مئات من رواد العلم ، وطلاب المعرفة .. أما البناء العظيم الآخر ، فيشغله مجمع اللغة العربية موضوع حديثنا هذا .

## نشأة المجمع

نحن الآن أمام مبنى المجمع العلمي العربي في دمشق ، هذا المجمع الذي تأسس في الثامن من حزيران ( يونيو ) من العام ١٩١٩ م ، بينما صدر مرسوم انشاء مجمع اللغة العربية في القاهرة في ١٢/٣/١٩٣٢ م ، ولم يبدأ عمله إلا في مطلع العام ١٩٣٤ م ، كذلك تأسس المجمع العلمي العراقي في ٢٦/١١/١٩٣٧ م .

مدخل بناء المجمع يدعو للدهشة والتأمل . والبناء كله ، كما أسلفنا ، من الحجر الأثري الضخم ، والمدخل كبير ومرتفع جداً ، ينتهي بك ، بعد خطوات ، إلى باب خشبي جميل .. فإذا ما تجاوزته ، أطلقت عليك باحة كبيرة ، تتوسطها بركة ماء كبيرة ، تتدفق فيها المياه بهدوء - شأن بيوت الشام القديمة - ويحيط بهذه البركة عدد من أشجار الكباد والليمون والأزهار ، والطيور تنتقل فيه أمنة مطمئنة ، لا يعتدي عليها صياد ، ولا يفكر بإيذائها أحد . وحول باحة المجمع تتوزع مجموعة من الغرف ، إحداها قاعة كبرى تدعى قاعة الرئيس الراحل محمد كرد علي مؤسس المجمع ، وهي مخصصة للمحاضرات والحفلات واستقبال الأعضاء الجدد .. تقابلها غرفة واسعة أخرى مخصصة للاجتماعات . وهناك عدد آخر من الغرف ، خاصة بأعمال المجمع وموظفيه القدامى الطيبين ، الذين تجاوزوا على الغالب سن الشباب ، وأولعوا بالعلم والمعرفة .. ويعلمو الطابق الأرضي ، طابق آخر ، وزعت غرفه على أمين سر المجمع وكبار موظفيه .



عبد القادر المغربي ، عيسى اسكندر المعلوف ، متركى قندلفت . عز الدين علم الدين . ثم انضم إليهم الشيخ طاهر الجزائري .

### غايات وأهداف المجمع

كان أعضاء المجمع يعقدون جلساتهم في إحدى الغرف العلوية من دار الحكومة . ثم صدر الأمر بتسليم المجمع بناء المدرسة العادلية في باب البريد ، وعقد المجمع أولى جلساته في مقره الجديد في الثلاثين من تموز (يوليو) ١٩١٩ م ، الموافق للثالث من ذي القعدة ١٣٣٧ هجرية . وأصدر المجمع بعد ذلك منشوراً حدد فيه غاياته وأهدافه التي تتلخص بما يلي :

١ - النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ، ونشر آدابها ، وإحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون .

٢ - جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة ، وتأسيس دار كتب عامة .

٣ - جمع الآثار القديمة ، عربية وغير عربية ، وتأسيس متحف لها .

٤ - إصدار مجلة خاصة بالمجمع ، تنشر فيها أفكاره وأعماله .

وقد وجه المجمع معظم عنايته ، وجل اهتمامه في بدء تأسيسه إلى اللغة العربية ، وعمل على إنقاذها - في الدواوين والمدارس والمجالات العامة - من الكلمات الدخيلة ، التي لصقت بها ، وأضعفتها ، وعمل على إبعادها واستبدالها بكلمات عربية أصيلة مشرقة . واستطاع بذلك أن يحقق كثيراً من النجاح . . وقاد المجمع حملة تعريب شاملة في بلاد الشام ، واستطاع من خلالها أن يعيد للغة العربية اشراقها ووجودها . . وروحها .

### محاضرات المجمع

أقر المجمع إقامة محاضرات دورية في قاعة المحاضرات ، التي أطلق عليها فيما بعد اسم الرئيس المؤسس محمد كرد علي . وكانت المحاضرة الأولى في السابع عشر من نيسان (إبريل) ١٩٢١ م ، من نصيب الشيخ عبد القادر المغربي عن معلقة طرفة بن العبد . . وكانت المحاضرات تلقى مرة كل أسبوعين ، فلقيت من الإقبال ما دفع المجمع إلى جعلها أسبوعية . وكان المستمعون يقفون على الأبواب . . ويتعلقون بالنوافذ . . . وشاء المجمع أن يوسع رسالته الثقافية . . فقرر القاء محاضرات على السيدات في موضوعات علمية وأخلاقية وأدبية ، واشترط أن يكون بناء المجمع خالياً من الرجال والموظفين ، وأن تقوم بتنظيم المحاضرات النسائية إحدى المعلمات .

### احتفالات المجمع ومهرجاناته

اهتم المجمع بالأحداث الأدبية ، فكان يقيم حفلات تأبينية وتكريمية ومهرجانات عامة ، تتناول الشخصيات الأدبية الكبيرة ، حتى صارت هذه

المناسبات معرضاً للفكر العربي ، سواء في المحاضرات التي تلقى ، أو في الشعر الذي ينشر ، وأسهمت في دعم اللغة العربية وتحبيب الناس بها . وكانت أولى حفلات التأبين التي أقامها المجمع للعلامة الراحل الشيخ طاهر الجزائري في الخامس من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ م . ومنها أيضاً حفلة أخرى لتأبين المرحومين محمود شكركي والأوسي ومصطفى لطفي المنفلوطي . وأقام في صيف ١٩٢٥ م حفلة تكريم كبرى لأمير الشعراء أحمد شوقي ، تكلم فيها رئيس المجمع والأساتذة شفيق جبري ، فارس الخوري ، خليل مردم بك ، وأخيراً ألقى الأستاذ نجيب الريس قصيدة أمير الشعراء المشهورة في مديح دمشق .

كما أقام المجمع بعد ذلك حفلات أخرى لتكريم الشعراء الشباب ، ثم أقام حفلة لتكريم الشاعر حافظ إبراهيم عام ١٩٢٩ م . وعاد المجمع ليقم حفلة تأبين لحافظ إبراهيم بعد ثلاثة أعوام ، وحفلة تأبين في العام نفسه لأمير الشعراء أحمد شوقي . وأقام المجمع مهرجاناً في العام ١٩٣٦ م لمناسبة مرور ألف سنة على وفاة الشاعر المتنبي استمر أسبوعاً ، وتكلم فيه عدد كبير من أعلام الأدب والفكر العرب والمستشرقين .

وبمناسبة مرور ألف عام على ولادة أبي العلاء المعري ، أقام المجمع مهرجاناً آخر في العام ١٩٤٤ م ، شاركت فيه وفود أدبية وعلمية من مختلف البلاد العربية ، وتنقل المهرجان من دمشق إلى معرة النعمان ومدينة أبي العلاء ، ثم حلب واللاذقية وانتهى في دمشق مرة أخرى .

### مجلة المجمع العلمي العربي

ظهرت فكرة إصدار مجلة خاصة بالمجمع منذ أن تم تأسيسه . إلا أن المجلة لم تصدر إلا في بداية العام ١٩٢١ م حيث ظهر العدد الأول ، حاملاً



★ الباب  
الرئيسي  
للقاعة  
محمد  
كرد  
علي ★





★ القبة الطاهرية ، وتبدو فيها بعض المخطوطات وصورة الشيخ طاهر الجزائري ★



★ مدخل دار المجمع العلمي ★

وبذلك زادت شهرة المجمع في الأندية العلمية ، فصارت الجامعات تهديه بكتبها ومجلاتها .

وكانت المجلة تصدر كل شهر ، ثم صارت منذ العام ١٩٣١م تصدر كل شهرين مرة . . ومنذ العام ١٩٤٩م أخذت تصدر أربع مرات في السنة رغبة في التركيز واتاحة وقت أكثر لمشروعات المجمع وأعماله الأخرى .

### مطبوعات المجمع ومنشوراته

كان من المفروض أن يزاول المجمع العلمي العربي نشاطاً ملموساً في طبع الكتب لأعضائه ، وينشر المخطوطات المفقودة ، التي يقوم كبار الأدباء

اسم « مجلة المجمع العلمي العربي » ، وكان صدورها باثنتين وثلاثين صفحة . وقد تضمن العدد الأول منها عدداً من المقالات والموضوعات بأقلام أعضائه .

صدرت المجلة شهرية ، وجابهت صعوبات مادية حادة ، إذ لم ترصد لها المبالغ الكافية ، كما لم يكن لها العدد الكافي من المشتركين . وكانت ترسل إلى بعض كبار الموظفين بصورة شبه الزامية . وكان ما يطبع منها خمسمائة نسخة ، يرسل منها مئتان إلى الأعضاء المؤازرين ومعاهد الأدب والجامع العلمية . وكان بدل الاشتراك فيها ليرتان سوريتان سنوياً . ويقول رئيس المجمع العلمي في تقرير له : « إن المجمع ربح كثيراً من مجلته من الناحية المعنوية ، فقد كانت المجلة ترسل إلى أشهر الجامعات والمجامع ودور الكتب في القارات الأربع : آسيا وإفريقيا وأوروبا وأميركا .



★ صورة أثرية ، نادرة

تبدو فيها باحة المجمع

بشكلها القديم ،

حيث كانت تلقى فيها

المحاضرات

صيفاً ★



★ المدخل  
الخارجي للمجمع ،  
علقت فوق  
بابه  
لوحة من  
الرخام  
تشير  
إلى  
المدرسة  
العادية  
التي  
كانت  
تشغل  
هذا  
البناء ★



ثم بالمجمع العلمي . ولا زالت يد التطور والتجديد تتناول دار الكتب الظاهرية حتى اليوم ، وأحدثت فيها دائرة لتصوير المخطوطات ، عين لها موظف مختص .

ومن المخطوطات القيمة النادرة التي ضمتها هذه المكتبة على سبيل المثال : « مسائل الإمام أحمد بن حنبل » ويرجع تاريخها إلى سنة ٢٦٦ للهجرة .. « سنن النسائي » ويرجع تاريخها إلى سنة ٣٥٥ هـ .. « الموطأ » رواية سويد بن سعيد بن مالك بن أنس ويرجع تاريخها إلى سنة ٤٣٣ هـ .

وقد بلغ عدد المخطوطات فيها ١١١٩٦ مخطوطة ، وعدد المطبوعات ٥٠٣٨٨ ، منها ٣٨١٤٨ كتاباً عربياً و ١٢٢٤٠ كتاباً أجنبياً ، وعدد المجلدات ٥٧٤٨٧ ، وعدد المجلدات ٣٤٥٠٥ العربية منها ٤٧٧٥٩ والأجنبية ١٥٧٤٦ . وفي المكتبة ستون نوعاً من الصحف .

### رؤساء المجمع

قلنا في سياق الحديث إن العلامة محمد كرد علي أسس المجمع ، واستطاع بلباقته ونفوذه أن يقنع المسؤولين إبان الحكومة العربية ، بإنشاء ديوان للمعارف ، وكان ذلك في مطلع العام ١٩١٩ م ، ولكنه ما لبث أن استصدر قراراً بتحويل « ديوان المعارف » هذا ، إلى « المجمع العلمي العربي » فكان رئيساً له ، وإلى جانبه أعضاءه المرحومون : محمد أمين سويد ، أنيس سلوم ، سعيد الكرمي ، عبد القادر المغربي ، عيسى اسكندر المعلوف ، متري قندلفت ، عز الدين علم الدين ، طاهر الجزائري .

كان محمد كرد علي - رحمه الله - واسع العلم والاطلاع .. وكان يتمتع وهو في سن السبعين ، بحيوية ونشاط ، لا يجاريه فيها كثير من

بتحقيقها . لكن المجمع ، في بداية تأسيسه ، كان عاجزاً عن الاقدام على هذه الخطوة ، لأنه كان ينفق معظم موازنته على عناصر مقوماته الأولية ، كاصلاح البناء ، وشراء الكتب ، واخراج المجلة . من أجل هذا لم يتمكن من الالتفات إلى طبع الكتب ونشر المخطوطات . ولكنه منذ العام ١٩٤٤ م بدأ نشاطه في المطبوعات ، حيث تمكن من طبع مئات الكتب في الأدب والتاريخ واللغة ، أحيا بها مخطوطات قديمة ، وجد بعضها في المكتبة الظاهرية ، وقارنه بالنسخ الشرقية والغربية ، وسلك الطريق الحديثة في تصحيحها والتعليق عليها .

ومن أبرز مطبوعات المجمع ثلاثة أجزاء تحوي عدداً كبيراً من المحاضرات التي ألقى في ردهته ، ودواوين الشعراء علي بن الجهم ، ابن عنين ، وابن الخياط ، وابن حيوس ، وقد حققها رئيس المجمع الراحل خليل مردم بك ، ورسالة الملائكة للمعري ، والمستجدات من فعلات الأجواد ، وكتاب الأشربة ، وقد حققها مؤسس المجمع ورئيسه الأول محمد كرد علي ، وخريدة القصر وجريدة العصر وقد حققه الدكتور شكري فيصل .. ويطول بنا الحديث كثيراً لو رحننا نعدد كل ما طبعه ونشره المجمع في سنواته الأخيرة .

### دار الكتب الظاهرية

هي المدرسة الظاهرية ، وقد بناها الملك الظاهر بيبرس البندقداري عام ٦٢٠ هـ ، لتكون مدرسة وتربية ، وقد استخدمت مدرسة ابتدائية حتى العام ١٩٢٧ م .

في العام ١٢٩٦ للهجرة ، قام فريق من العلماء فجمعوا كتب الوقف والرسائل الموجودة لدى متولي الوقف فوضعت في خزانة في قبة المدرسة الظاهرية . وقد جمعت من مكتبات ووقفية عديدة . وبلغ عدد الكتب المجموعة في المرحلة الأولى ٢٤٦٥ كتاباً . وألحقت المكتبة بديوان المعارف

★ قاعة المخطوطات في المكتبة الظاهرية ★



★ صورة نادرة لقاعة كرد علي رئيس المجمع في شكلها القديم .. وقد وضعت فيها مقاعد مدرسية ★







★ قاعة المحاضرات ★



★ جانب من باحة المجمع وتبدو فيها غرفة رئيس المجمع وقاعة الاجتماعات ★

العربي عامة ، ولغة العربية بشكل أخص ، خدمات جلي ، تذكر فتشكر ، فقد أنشئ المجمع ، وسورية تطوي صفحة الاحتلال التركي ، الذي استمر مئات السنين ، واستهدف ، فيما استهدف ، إضعاف اللغة العربية ، واستبدالها بالتركية ، فجاء المجمع واستبدل جميع الألفاظ التركية الشائعة والمستعملة في أجهزة الدولة ، وفي كل مكان ، بكلمات عربية فصيحة . ونشر المجمع مجلته ، وأقام المحاضرات ، وطبع الكتب ، وحقق المخطوطات ، وكرم عظماء الأدب ، وأمراء الشعر ، ورثى وأبّن الراحلين الاعلام ، وأقام مهرجانات أدبية ضخمة لبعض رجالات لغة الضاد . وكان المجمع - ولا يزال - صرحاً من صروح العلم والأدب واللغة . . . وقد ضم بين أعضائه عدداً طيباً من رجالات الفكر والأدب والشعر العرب ، أمثال شوقي ، وحافظ ، والعقاد ، والمازني ، وطه حسين ، والزيات ، وتيمور ، وأحمد أمين ، والمنفلوطي ، وحمد الجاسر ، والزركلي ، وبشارة الخوري ، وأمين نخلة ، وشكيب أرسلان ، والرصافي ، والزهاوي ، وساطع الحصري ، بالإضافة إلى مؤسسه ورؤسائه وأعضائه السوريين .



الشبان . . . وقد كرس معظم وقته للمجمع ، ووهبه علمه وكفائه وحماسه وصحته إلى أن استطاع أن يقفز به إلى مصاف المجامع الكبرى في العالم ، وظل محمد كرد علي رئيساً للمجمع حتى وفاته في العام ١٩٥٣ م .

بادر المجمعيون بعد وفاة الرئيس المؤسس ، إلى انتخاب شاعر الشام الراحل خليل مردم بك رئيساً للمجمع ، وهو رفيق الأستاذ كرد علي وصفية ونائبه في الرئاسة ، فانتقلت بذلك رئاسة المجمع من النثر إلى الشعر . كان محمد كرد علي نائراً عريقاً ، وكان خليل مردم بك شاعراً محققاً ، فهو الشاعر الرقيق ، والعالم ، الذي ما زالت كتبه ومخطوطاته يتوالى صدورهما ، بفضل عناية ابنه الشاعر المسرحي عدنان مردم بك . ووهب شاعر الشام المجمع ، كل عنايته ، وكل رعايته ، وكل اهتمامه ، فكان يتردد عليه كل يوم ، ليشرف على شؤونه ومجلته ، ويدير أعماله بعلمه الواسع ، وهذونه وصحته ، وظل رئيساً له إلى أن اختاره الله تعالى إلى جواره في العام ١٩٥٩ م .

وانتخب العالم الأمير مصطفى الشهابي رئيساً للمجمع ، عقب وفاة الأستاذ خليل مردم بك ، فحمل المسؤولية . . . وتابع الرسالة ، وبذل في خدمة المجمع نفسه ونفيسه ، وتوج خدماته الجلي باهداء المجمع أنفس ما في مكتبته من مطبوع ومخطوط ، بالإضافة إلى اهداء قاعة استقباله الخاصة في داره ، وظل الأمير الشهابي رئيساً للمجمع إلى حين وفاته في أواخر الستينات ، حيث خلفه في الرئاسة الطبيب العالم الدكتور حسني سبيح رئيس المجمع الحالي .

### أثر المجمع وخدماته

لا ريب في أن مجمع اللغة العربية قد أدى لسورية خاصة ، وللوطن



اليونان الحديثة  
حارس يقف لحماية  
اليونان القديمة  
ووجدنا في المكتبة  
التيكية مصحفاً أثرياً  
وكتاباً في الفقه والحديث



في جزيرة رودوس

# سمعت أصوات الديكة من ساحل الشام

بقلم: عبد الله جفري

● لا شيء إلا هذا المساء ...  
أو كأنني لحظتها أستعيد قطرة من محيط .. من تلك الحكمة المتواصلة التي  
سار بها الفيلسوف «سقراط» ليزجها بإدراك وعاطفة إنسان ذلك الزمان ..  
وكانت القطرة تقول :  
● «إن هناك حقائق عقلية ثابتة يمكن استنباطها من الحالات  
الجزئية المتغيرة .. والانسان إذا أدرك بعقله فضيلة سلك  
بمقتضاها .. فاعلم والفضيلة شيء واحد لا يختلف باختلاف  
الأفراد !!

ومن الحقائق ينطلق المستقرى لتاريخ اليونان الحضاري الطويل ..  
ولا بد أن يطوف عبر هذا التاريخ بالعديد من الأساطير والقصص ..  
فكان اليونان قصة متكاملة تحكي حضارة زمن بكامله .. يحفل بالجد والوعي  
وبالعاطفة وبالتراث الرائع .. وكان اليونان أسطورة ضخمة تجمعت وتآلفت  
من مئات الأساطير التي تشير إلى أن تاريخ اليونان هو : بناء  
وتقوض .. ابتسامة ودمعة لا تنسى .. أغنية وآهة !!  
ويحضن كل هذا التاريخ العريق .. نعمة الجمال التي وهبها الله .. جمال  
الطبيعة .. جمال المخلوقات .. جمال البحر .. جمال النفس التي تقوى على طرد  
الكآبة في عمق الحزن لتجاوز هذه الوهدة ، وترتقي إلى اجتلاء كل ما هو يمنح  
الايحاء بالجمال !

ولعل أم الأساطير عندهم .. هي تلك الأسطورة التي تتحدث عن الهة  
الحكمة عند الإغريق : أثينا ، أو «بالاس أثينا» تلك التي خرجت إلى الحياة  
عذراء من رأس أبيها زيوس بعد أن ابتلع أمها ميتس ، واختار لها الرومان  
اسم «ميرفا» .. راعية السلم والحرب ، وحامية المدن . وأقيم معبد  
البارثون لعبادتها وأقيمت أعياد الباناثينيا لتهجيدها !!  
أما القصص عنها .. فأمها وأبرزها هي : «القصة التي تتحدث عن  
- تيسوس - الذي وحد مدن أتیکا وكوّن دولة واحدة» .. وهي قصص  
كثيرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحضارة اليونانية وتاريخها الذي يرجع إلى ثلاثة

أو كأن هذا المساء الفريد .. قد مُجّعت فيه كل النجوم المنتشرة على  
صفحة السماء في نجمة واحدة تمنح الضياء لروح صديّة ظمأى ، وترسل النغم  
البعيد فيمتزج بالنفس المتعبة من مشاوير العمر المموه في الأخذ والعطاء !!  
وخلف تلك النجمة العروس .. لاحقت نظراتي ذلك اللامدى الممتد ،  
وانفاس الغرب في صدري تركض نحو أبعاد تنوهج بالرؤى ، ونحن في كل  
رؤية !!

كان هو المساء الأول تحت سماء «أثينا» .. كنت فيه أنغم وأطفو على  
صفحة البحر الهادي جدأ في ليالي سبتمبر (أيلول) الهامسة بيوح صيف مترف  
باللقاء ، وأتلفت فيما حولي من الغموض المتشبي بفرح الإنسان القادم إلى  
إجتلاء ما وراء التاريخ من ضوء الفلسفة اليونانية ، وتحمس شعور يتجدد  
بالاغتنال في رحمة الطبيعة .. فكان انغماري وطفوي على صفحة البحر يعيدني  
إلى ما قبل ذلك الزمان .. عندما كانت أشعار «هوميروس» تأخذ الإغريق نحو  
البحر ، وتجدس البحر «جنية» تغزل الحب بهمسها .. فإذا البحر هو  
«عشق» اليوناني منذ بدء تاريخه وحتى الآن !!

في هذا المساء الأول .. جمعت خفقاتي بدون صعوبة ، وتركبتها تفر من  
صدري إلى حفاقي البحر ، ثم تنزلق إلى داخل الماء .. لتزول ملوحة العواطف  
في ملوحة البحر ، أو يمتزجا !

وكانني لحظتها أنقض عن جوانحي غبار التعب ، وترسبات حزن الزمان  
الجديد الذي أخذ إنسانه إلى ماديّات تلوكه وتصهره وتسخره لمزيد من الرغائب  
والآنانيات .. وأنقهر إلى وراء .. حيث ذلك الزمان القديم الذي سطعت  
منه الحكمة ، وأضاء العقل بمنجزات حضارية تبلورت من حصيلتها أم اشرايت  
إلى نماء الحياة من قدرة الإنسان على إنطاق الفضيلة ، والفضيلة في سلوك  
الشعوب هي إدراك العقل لحقائق الحياة ، وهي إحساس الوجدان  
بعاطفة تمنح السلام للنفس الصادية دائماً إلى المعرفة ، وإلى  
التوادد !!





★ في «مهرجان أينا» الذي يقام سنوياً مع بداية شهر يوليو من كل عام ★



★ ثلاثة وجوه من المهرجان في الملابس التقليدية ★

★ منظر  
عام  
للاكروديول



★ من مظاهر الطبيعة في «رودوس» ★



آلاف سنة قبل الميلاد .. وتدل على هذا التاريخ الكبير كل الاكتشافات الأثرية التي حصلوا عليها في: كريت، وميغنس، والبيلو بونيز، وأثينا. واليونان في تقسيمها .. قد شطرها برنخ «كورنثوس» إلى شطرين:

● الشطر الشمالي: يضم العاصمة أثينا، ومينائي بيرايوس وسالونيك، وهو الشطر الذي يكتظ بالسكان ومزدهم ويمتاز سكانه دون الشطر الجنوبي بالرفاهية والثراء. وتعتبر أثينا، أو «أتيكي أثينا» هي البوابة المؤدية إلى منطلقات رحبة وجميلة تجلب لب السائح، فهي تؤدي إلى أجمل جزر اليونان المعروفة وأشهرها: رودوس، وكورفو، وكريت، وسالونيك - العاصمة الثانية لليونان - والمناطق الأثرية في ديلفي وميكينس، وأولبيا وإبيدور!

ومعروف أن اليونان جبلية .. لكنها تحتضن تلك الأنهار القصيرة، والوديان الخصبة، والمناطق المغطاة بالشجر على شكل غابات .. حينما تدخلها فأنها لا بد أن تسليك خارجها .. ذلك العالم المتوتر .. المفجوع بتهديد الحروب .. المهدد بتوتر الإنسان المطحون بمبادئه .. وفي إمكانك أن ترفع يدك إلى الشجرة التي تنحني تحتها لتعبر فقطف ما تشاء .. ولذلك فإن من أهم صادراتهم: العنب، والزبيب، والتين المجفف.

وحيثما كانت العربة تصعد بنا ذلك الطريق الجبلي الممتد في حضن الأشجار والغيوم .. متجهين إلى ما يشبه المنتجع .. أو الغابة المعلقة على رؤوس الجبال وعلى أذرعتها، وتسمى «بترفلايز» في جزيرة رودوس ... كنا نشاهد العربات الكبيرة المحملة بكيات هائلة من العنب، وفي داخل تلك الغابة تستطيع أن تجلس في وسط شجرة، أو على أحد جذوعها العتيقة، وترى أن الزمن قد جوف جسد الشجرة وما زالت أقوى من الزمان تخصب وتطرح وترتوي وتظلل .. وحاولت في صعودي المتواصل لمعرفة نهاية هذه الغابة المعلقة .. أن أعرف أيضاً المنبع الأصلي لتلك الشلالات الهائلة من المياه التي لا تتوقف .. فلم أقدر على المتابعة .. بعد أن بلغت صخرة كبيرة كالجبل ورأيت المياه تنبع من أسفلها وتندفق شلالات حتى نهاية المنحدر، ولا بد أن «هوميروس» كانت له «قعدة» على كف شجرة من أشجار تلك الغابة .. فصاغ ذلك الشعر المخلق في أجواء رحبة بلا مدى!!

### عن التاريخ القديم

● إن الدارس لتاريخ اليونان الكبير .. لا بد أن يتوقف المتصلة أيضاً بالفكر والروح:

● أولاً: تعرضت لحكم ثلاثة جبابرة .. أرققوا ترفها وحضارتها وفتحتها على الحياة والجمال، وأولهم اسمه: «بايسسترانوس»، ومن بعده ابنه: هيبياس، وهيبارخوس (٥٦٠ - ٥١٠) .. حتى جاء «بريكس» الذي يعتبر عصره هو العصر الذهبي ... وفيه ازدهرت الفنون والآداب والعمارة - القرن الخامس ق م - وهو الذي شيد «البارثون» وحتى الآن يتجه السواح إلى «الأكروبول» في أثينا .. حيث يشاهدون أطلال «البارثون»، و«البرويلا» و«الأرخثيوم» .. وهناك تنظم أثينا كل عام وفي فترة الصيف بالذات احتفالات زاهية، وأهمها «مهرجان أثينا» وموعده يأتي مع

بداية شهر يوليو (تموز) وينتهي في سبتمبر (أيلول) ولذلك .. فقد خسرنا في رحلتنا هذه التي ابتدأت مع بداية سبتمبر، أن نشاهد ذلك المهرجان وأن نستمتع بالعروض المتعددة في الموسيقى، والرقص الشعبي، والعرض المسرحي .. وكلها تقدم فوق المسرح الأثري هناك المسمى «أيروديون» أسفل الأكروبول. وفاتنا أيضاً أن نشاهد عرض «الصوت والضوء» في منطقة «دافني»!

■ ثانياً: استطاع فلاسفة اليونان: أفلاطون، وأرسطو، وأريستوفان، وديموسثينس .. أن يحافظوا على أجداد اليونان الأدبية والفكرية، وعندما جاء «برمكيس» بادر إلى نشر فلسفة سقراط أو أعطاه الفرصة لنشرها، وأفسح المجال لكل من «أسخيلوس» و«سوفوكليس» و«يوريبيدس» لإرساء دعائم الدراما الإغريقية!

■ ثالثاً: بعد ١٤٥٨ م عانت «أثينا» من التدهور في عهد الحكم العثماني .. حتى استطاعت أن تقف على أقدامها من جديد، وحرصت على بناء المستقبل .. وفي حرصها أن تحافظ على ملامحها الحضارية التي أهدت للعالم فكراً وفلسفة وجمالاً!

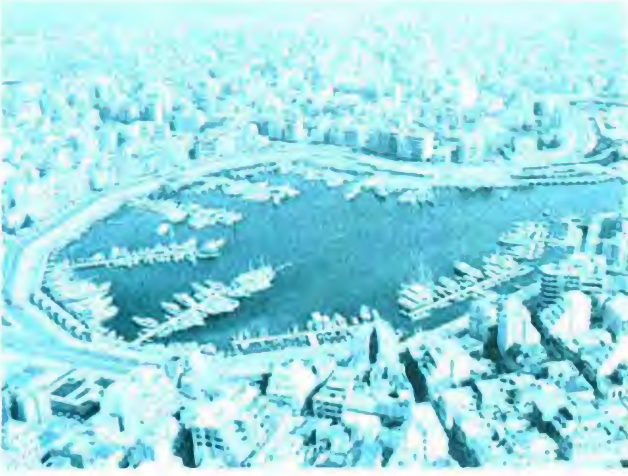
■ رابعاً: في عام ١٩٦٤ م تولى الملك قسطنطين العرش بعد وفاة والده «بول» ولكن حمى القلاقل، والشروخ التي أصابت العالم الحديث استطاعت أن تصل إلى أمان وهدوء اليونان، وخرج الملك من بلاده وهو يعرف أن تجربة حكم القلاقل لن تستمر.

■ خامساً: يشير تاريخ اليونان القديم إلى ما استطاع أن يفعله «أرسطو» ومعه أفلاطون، وهو ما يعرف بنظام «دساتير ١٥٤ مدينة» أو باصطلاح: دولة المدينة ... «بسبب أن اليونان من بدء تاريخها لم تكن دولة تجمعها رابطة الوحدة السياسية وإنما كانت تنقسم إلى عدد كبير من الدويلات أو المدن الحرة ... فجاء نظام أرسطو وأفلاطون ذلك يهدف إلى جعل النظام نجحاً يحقق الاستقرار للحضارة الإغريقية!!

★ جامع سليمان في خلفية الصورة .. ثم بعض محلات البيع المنتشرة ... والتي تروج دافئاً بشدق السباح على الجزيرة ★







★ ميناء بيرايوس ★

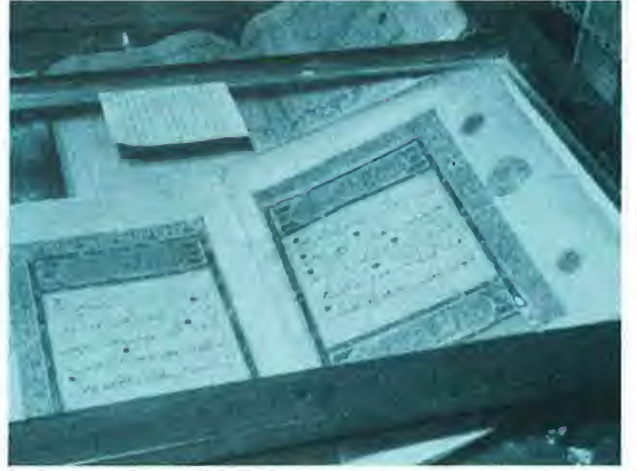
● ثالثاً : ميدان « سينداغما » .. وفيه الازدحام والحركة بلا انتهاء .. لأنه أكبر ميادين العاصمة وأشهرها .

● رابعاً : حي « البلاكا » - بقايا من أثينا القديمة - حي شعبي تبدأ الحركة فيه والضوضاء والزحام بعد الساعة الثامنة مساءً ، ويقبل عليه السواح من أجل طابعه الأثري ، ولأنه مركز للفن الشعبي اليوناني ، وتشاهد فيه الرقصات الشعبية الصميمة ، وتستمتع إلى الأغاني اليونانية الفلكلورية المشهورة . وهي تسمى « البوزوكا » والتسمية مأخوذة من الآلة الموسيقية المعروفة بالعربية باسم « البزق » ، وهي آلة متداولة هناك ، وأغلب الشعب اليوناني يجيد العزف عليها ، ونغمتها تجدها في كل أغانيهم القديمة والحديثة ، وأسطوانة « البزق » هذه تجدها في كل مكان .. حتى في الفندق الذي تسكنه .. فهي تعطي للإحساس اليوناني تعبير الحب والعشق ، وتعكس الذكريات القديمة .. فأنغامها مدعة وفرحة لا ينتهيان أبداً من وجدان المواطن اليوناني ، وأغلب ما يقدم على مسارحهم وفي نواديهم الليلية هي الألحان اليونانية .. إنهم يعتزون بطابعهم كثيراً ، ولا يطربهم إلا « البزق » أو البوزوكا ..

وقد نبهني الصديق الأستاذ « صالح العيسدان » هناك إلى ملاحظة شدتي ، وأخذت أصغي إليها .. ففي بعض أحيانهم تستمع فكأنك تصغي إلى لحن أغنية عربية ، وتساءلت : ما هو اللحن الأكثر قدماً ، أو الذي ظهر قبل الآخر .. هل هو لحن هذه الأغاني اليونانية ، أم هو لحن الأغاني العربية ؟! وقال أحد المصريين الموجودين هناك في اليونان بكثرة : طبعاً .. لقد سرقوا من مصر هذه الألحان !!

ولكن المواطن اليوناني يقول لك : إن التجديد عندنا ينبع من الاحتفاظ الحريص بتراثنا الفني وفلكلورنا .. فنحن لا نأخذ من الغير ولكننا نجد ما توارثناه ، ولو أننا أخذنا من الغير لفقدنا وفلكلورنا ملامحنا الأصلية !!

● خامساً : ميدان « كولوناكي » ويعتبرونه الحي الأرستقراطي .. لأن أغلب الذين يقيمون فيه هم من الأثرياء ، وأصحاب رؤوس الأموال ، والأجانب المقيمين في اليونان من أعضاء السفارات ورجال الأعمال ، وهو حي هادئ .. وكان من الممكن أن يكون منتجعاً للشعراء والفنانين .. لأنه لا يلتئم وقلق أصحاب رؤوس الأموال .. إلا من جاء إليه مستجماً أو هارباً من حياته !!



★ نسخة من القرآن الكريم ، بالكتابة التركية ★

### السياحة

●● تعتمد اليونان بشكل ملحوظ على السياحة ، فهناك مجموعات تصل إليها من أوروبا وأميركا في فصل الصيف ، وأخذ العرب منذ العام الماضي يتدفقون على اليونان .. ففي ملاحها بعض من اللون الشرقي ، وستشعر في بعض مناطق أثينا أنك تتجول في بيروت .. حتى في أشكال عماراتها . والأوروبي يأتي إلى أثينا بحثاً عن الشمس والبحر ، والعربي ... لا بد أنه يأتي إليها الآن لاكتشاف جزرها الجميلة الفاتنة ، ومستوى المعيشة المتوسط فيها ، ولناظرها الخلابة ، ولوسائل الترفيه العديدة الملونة !!

وفي تلك الليالي الأولى من أسياتي في أثينا .. كنت أرى البحر والشمس في ذلك العناق الحميم .. كأنه عشق يتجسد فوق صفحة البحر بين الشمس والمياه .. وكانت المنطقة التي أسكنها اسمها « فولياغميني » وتتماز بنسبتها الحنون ، فإذا كانت « أثينا » البلد حارة .. كانت منطقة « فولياغميني » مآخه الحنان من النسمة ، وتعتبر هذه المنطقة .. من المناطق الراقية في أثينا ، وذات سحر يلمس شغاف النفس ، وتشارك معها في الميزة مناطق : غليفادا ، لاغونيسسي ، أنافيسوس ، وكلها تكتظ بالفنادق والمطاعم والمقاهي ، والمعارض ، وغير ذلك .. وبالشاطئ الجميل الممتد على الطريق الساحلي .

وتشتهر هذه المناطق بروعة المناظر وسحر الطقس .. فهي شواطئ تطل على بحر « سارونيكوس » وعلى بحر « ايفويكوس » وهناك تستطيع أن تلتقي بالعديد من السواح من كل جنسية ولون .. والفنادق ملاءى لا تخف حركتها إلا في الشتاء .

ومن مناطقها التي يرتادها السواح .. ويركضون إليها للاستمتاع بمناظرها وسحرها .. هذه المناطق التي إذا لم يشاهدها السائح فكأنه لم يذهب إلى اليونان :

● أولاً : تل ليكافيتو .. وارتفاعه ثلاثمائة متر ويطل على العاصمة أثينا . ويؤدي إلى تل ليكافيتو .. (تليفريك) يوصل السواح إلى مطعم للعشاء .

● ثانياً : كازينو فندق « المون بارنيس » وهو يتربع على قمة جبل يسمى « بارنيثا » ويرتاده السواح من اللاعبين والباحثين عن الاستمتاع .



للمصليب الأحمر السويدي ، فما الذي كان يشاهده برنادوت في رودوس لحظة وجوده آنذاك ، وهل كان متفائلاً بالوساطة . . وهل كان يعرف طبيعة اليهود ؟! . . لقد قالوا عنه : إنه كان يرى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وتكوين دولتين - عربية ويهودية - واقامة اتحاد فيدرالي بينهما ، ولكن ما كان يراه لم يعجب العرب في حماسهم ، ولم يرض عنه اليهود بأطعامهم ، وفي ١٦ سبتمبر (أيلول) ٤٨ ، قتله اليهود في القدس . واكتشفت أيضاً أن هذا اليوم الذي أجلس فيه في رودوس وأتذكر برنادوت كان تاريخه ١٦ سبتمبر (أيلول) ٧٨ ، ورودوس ما زالت هي الجزيرة الرائعة الموحية بالشعر والجمال والحب ، ولا بد أن أحاول أن أنسى التاريخ الصعب . . ابتداء من «برنادوت» الإنسان المغدور ، وانتهاء بكامب ديفيد .

إن رودوس كما تصفها رؤية اليونانيين لها ، تعتبر لوحة تشكيلية مكونة من مدينتها القديمة الباقية محتفظة بطابع القرون الوسطى عودة إلى عصر الفرسان . . ويحوطها السور القديم الذي يفصل المدينة القديمة عن الجديدة ولا يبعد بينها . . «وترى المدينة القديمة بمجرانها كأنها أبراج القرون الوسطى بفتحاتها المخصصة للقتال ، والخنادق المحيطة بها ، والجسور المرفوعة التي يتم انزاتها لدخول القصر» . .

وهناك مبنى «كاستيلانيا» ويعود بناؤه إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد . . ثم مبنى المركز التجاري للفرسان ، والمكتبة التركية ، وهي رغم صغرها . . الا إنها تضم العديد من المؤلفات السدينية في الفقه والحديث والتاريخ مكتوبة باللغة العربية ، ونسخة من القرآن الكريم في حجم كبير يطابق حجم مصحف سيدنا عثمان الذي قتل أمامه . . حتى السيدة العجوز التي ترعى هذه المكتبة وتخدمها هي تركية الأصل ، وقد فرحت بنا عندما علمت أننا مسلمون . وهناك أيضاً جامع سليمان ، وبعض المساجد التي ما زالت مأذنها مرتفعة . . فكانت تلك المنطقة . . إسلامية بحثة ، وقد كتبت لوحة عند مدخل جامع سليمان دونت عليها تواريخ البناء وفترة تواجد الحكم الاسلامي ، وهناك معبد «أكروبول» رودوس وبه مسرح دائري ، وحديقة «روديني» المميزة بكثرة نافوراتها وبجاراتها الصغيرة ، وكل ذلك تجده داخل سور المدينة القديمة . . وهي مدينة مريحة للنفس كثيراً . . ربما لشعورنا أن طابعها يميل كثيراً إلى روحنا الشرقية ، ويحتفظ أكثر بالمآثر الإسلامية المتعددة والباقية شاهداً على التاريخ ، وعلى صانعي التاريخ !!

وفي رودوس أيضاً . . تذكرت أصوات الديكة التي تسمع على ساحل الشام . . فحضرت معاوية بن أبي سفيان أن يغزوها بذات الصواري !!  
وبعد . . .

فإنك أبنا تنظر ، وإلى أي مكان نذهب ، وفي كل لحظة تشاهد فيها ما حرك وما أملكك في اليونان . . فلا بد أن ترى الماضي والحاضر والمستقبل يتعانقان . . ولا يجد انفصالاً بينهما . . فكانما الحاضر بكل الماضي ، وكأنما الماضي هو قاعدة هذا الحاضر العريض والرائع والمزدهم !!  
ولكنك كسائح ، أو مكتشف ، أو متعرف ، أو مستجم . . في كل أحوالك لا بد أن لا تبقى في وسط أثينا كثيراً ، وإنما هذا البحر يستهويك وتختر عبابه . . وتتجلى الرؤية عندك . . فالمساء له نكهة ومذاق ، والصباح له تباشيره وصفاء طلعه ، وكل جزيرة تدخلها ستجد أنك تدخل إلى تاريخ قديم يذكر بك بما استطاع أن يبني إجماداً هائلة بالفكر والعمل والمضارة ، وأن هذا التاريخ القديم يمشك أن تتفاعل بواقعه ، أو بماضيه . . فالشعوب لا بد أن تصنع المستقبل . . طالما كان لها تراث . وطالما حافظت على أصالتها .

واليونان سياحياً لا تستفيد إلا من اليونان القديمة المسافلة بالمضارة ، والفكر والثقافة والتراث وبالفنون . . أما اليونان الحديثة فهي ليست أكثر من حارس يقف لحراسة كل هذا التراث . . كل اليونان القديمة !!



★ شارع قديم  
حيث تظهر البيوت القديمة  
وقد علقت عليها  
النسوجات الشعبية ★

### جزيرة رودوس

●● عندما وصلنا إلى هذه الجزيرة . . قلنا جميعاً : سبق أسبوعاً ، وكان في تقديرنا أن نشاهدها في يومين فقط . . لكنها جزيرة كبيرة . . أكبر جزر «الدوديكانيز» ومركز التصنيف السياحي ، وإقبال السواح عليها . . من أجل رحلات السفن واليخوت ففيها ميناء كبير لليخوت ، وقد قيل عن شعب اليونان هذه العبارة :

« إنه من الممكن أن تقول عن أي مواطن في أوروبا أو أميركا أو أي منطقة من العالم إنه يمتلك سيارة واثنين ، ولكن عن المواطن اليوناني لا يمكن أن تقول سوى إنه يمتلك يachten اثنين . فعشق اليوناني للبحر جعله من أكبر محبي اليخوت ، ولا أدري ماذا يقال عن الذين يقتنون السيارات !!

وفي رودوس . . كانت الفترة التي وصلنا فيها إلى الجزيرة حامية بأخبار «كامب ديفيد» ، وحاولنا أن نعر على صحف عربية فلم نستطع ، ولكنني وجدت نفسي في لحظة تأمل للبحر أتذكر «الكونت برنادوت» الذي عينه مجلس الأمن في عام ١٩٤٨ م ، وسيطاً بين العرب واليهود ، وكان في «رودوس» عندما طلبوه لتلك الوساطة ، وقالوا له : اترك الآن رئاستك



الوقت المسموح به للكتابة والخطبة  
للاستاذة د. فريدة بنت محمد  
والدكتور د. فريدة بنت محمد  
والدكتور د. فريدة بنت محمد



# بين الضرورة والاحتياج

بقلم: د. صالح رضا

السياسية والمجتمع الإنساني ما زالت بدائية على نحو يبعث على الدهشة ،  
لما زال التحامل والرجم بالغيب والمصالح الخاصة والخواف الوهمية تهدد  
منذ وقت طويل باغتصاب المكان الذي ينتمي للعقل في المسائل  
الاجتماعية .

غير انه حدث في المراحل الأولى لتاريخ الحياة الانسانية أن  
أخذ العقل ( الذكاء ) مكان الاستجابة الحيوانية المجردة . وبدأ  
الفن يوجه الطبيعة من جديد . ولقد كان تحطيم العصا واشعال  
النار واستئناس الحيوان ، وبذر الحبوب وبناء كوخ وحفر مغارة - كلها

قال أرسطو من قديم الزمن انه يمكن ادراك معنى الفن على خير  
وجه إذا قورن بالطبيعة . إن الفن ذكاء إنساني يقوم بدوره فوق مسرح  
الطبيعة ويحركها في صدق وإخلاص إلى تحقيق أهداف إنسانية .

والحضارة الكاملة كما علمنا قد تتلاقى وتتطابق مع الذكاء والعقل  
الكامل ، كما أن الحياة في مثل هذه الحالة قد تناظر الفن ، ويقدر ما  
تكون الحضارة مختلفة النظام ، بقدر ما يكون ذلك دليلا على  
المدى الذي لا تزال الدوافع العشوائية والعادات التي تجافي  
العقل تتحكم في أفعالنا وتدبر حياتنا . على أن فنون الخنكة



كانت تدخلاً من الإنسان في شؤون العالم كله كما وجده . . كانت الأمثلة الأصلية والأساسية لذلك الفن الذي سخره الإنسان في بادئ الأمر للحصول على الغذاء والملأى ، وبمعنى أعم يمكن القول أن الأمثلة الرئيسية للفن يمكن العثور عليها لا في قاعة الموسيقى أو المتحف ، وإنما في الحقل والمرعى والحراث ، وفي عالم مليء بالخطاطر والشكوك .

كان على الإنسان أن يتعلم كيف يعيش قبل أن يتعلم كيف يحيا حياة جميلة ، أو أن يشغل ذاته بخلق أشياء جميلة مثلاً . على أن علماء الانسان الذين تعمقوا في دراسة الحياة البدائية قد أشاروا مراراً إلى أنه ليس واضحاً على الإطلاق أن الضروري سبق الجميل أو أن الأساسي سبق الزخرفي الخالص ويبدو في الأغلب أن الخيلة البدائية - في غمرة الأعمال التي كان على الإنسان أن يؤديها وجدت أو اصطنعت الفراغ لتضيف طلاوة لا تكلفه شيئاً وسحراً لا لزوم له . ومن ثم لم يكتف بصنع الأواني والسلال ، وإنما صممها . ولم يكتف الرجال بأن يحفروا لأنفسهم كهولاً ومغارات ، بل زينوا جدرانها بالرسوم . وبدأ الصانع البشري الذي أغراه ما في الألوان والخطوط من متع محتملة - يحوم حولها متأنياً .

وإذا نحن تأملنا صناعة الخزف والسلال البدائية لتعذر علينا التمييز فيها بين عمل الصانع وعمل الفنان على الإطلاق .

لذلك يعتبر الفخار من أقدم الصناعات اليدوية في العالم ، فنذ نشوء الانسان إلى وقتنا هذا ، كانت أوعية الفخار تعتبر في الغرب وفي الشرق الأوسط من الوسائل المتواضعة للاستعمال اليومي ، ولم تكن - إلا في نطاق ضيق - لوناً من ألوان الفنون غير أن هناك استثناءات لهذه القاعدة مرت خلال بعض العصور وبرزت للعيان عندما أصبح الفخار بمستوى أعلى . وهكذا كان الحال بالنسبة إلى اليونانيين وفي عصر النهضة الايطالي عندما أصبح الفخار مجالاً طيباً لغايات الرسامين .

أما في الشرق وفي الصين خاصة ، فقد كان الفخار يقف على قدم المساواة مع فنون النحت والرسم والشعر والخط . . الخ .

لهذا قدمت الصين مقياساً كلاسيكياً في عصور (تك وسانك) وتركت لنا فخاراً ممتازاً .

وإذا نظرنا إلى الوراثة نجد أن لكل شعب متبقيات من عصوره ، فالعراق ومصر مساهمان كبيران في الخزف في العهود الاسلامية الأولى

وتعد صناعة الفخار أبسط الفنون جميعاً وأكثرها صعوبة في آن واحد . هي أبسط الفنون لكونها أكثر أولية ، وهي أكثر الفنون صعوبة لأنها أكثر تجريداً .

وصناعة الفخار من الناحية التاريخية من بين أوائل الفنون التي ظهرت على الأرض . . وحتى في المرحلة التي سبقت قدرة الإنسان على الكتابة وما زال في إمكان الأواني التي صنعت في ذلك الزمن أن تحركنا

بشكلها المؤثر .

إن فن الحياة إلهام وإبداع وليس تاريخياً أو حقيقة . لقد كان على الفنان بحكم الأمر الواقع أن يعالج قطاعات من التجربة ، ولو أنه قد يوحى بها أو يضمها كلها . والتجربة بغض النظر عن الفن والادراك ، متقلبة ومشوشة . إنها مادة بلا شكل ، وحركة بدون اتجاه فالأصوات العابرة ضوضاء مبهم لا يصغي إليها أحد أو يرغب في الانصات إليها والألوان والأشكال من حولنا تمر دون أن تلحظ أو تستساغ .

والحضارة ذاتها شكل من أشكال الفن ويقدر ما يكون للحياة شكل تكون فناً ، وبالقدر الذي يكون للفوضى الثابتة في الحضارة بعض التماسك تكون عملاً من أعمال الفن ، وكل ما يسمى «عادة» أو كل تطبيق فني Technique أو نظام System هو عمل من أعمال العقل أو ربما تراثه المبدد . وإن دولة الفن تماثل الجمال الذي يعمل الإنسان فيه سيطرته المتبصرة الحازمة على عالم المادة والحركة الذي يتعين عليه أن يتخذ فيه مقامه وعلى عالم الحفقات العشوائية الداخلية والعمليات التلقائية التي تؤلف كيانه الداخلي . إن كسر عصا أو بناء كوخ أو ناطحة سحاب ، أو استعمال اللغة كوسيلة للتخاطب ، وبذر الحبوب ، أو جمع المحصول ، وتربية الأطفال وتعليمهم ، وصياغة شريعة للقانون أو الأخلاق ، ونسج كساء أو حفر منجم - لتتساوى جميعاً في كونها أمثلة للفن لا تقل عن صياغة نقش بارز أو تأليف سيمفونية .

ومن ثم فمن أهم وظائف الفنان أن يجعل التجربة أخذاً بأن يمنحها الحياة ، إن الفنان سواء أكان شاعراً أم رساماً أم مثلاً أم مهندساً معمارياً يتناول الأشياء كما يتناول الشاعر والقصاص الأحداث على نحو يجبر العين على التوقف ونشيدان المتعة في الرؤية ، كما يجبر الأذان على الاستماع بمجرد الاستماع ، والعقل على التلهف بحثاً عن لذة الاكتشاف التي لا تسعى إلى نفع ، أو الحيرة أو الدهشة . عند ذلك لا يصبح المقعد مجرد إشارة لمن يرغب في الجلوس ، وإنما يصبح جزءاً ونقطة في تكوين وبؤرة لون وشكل يتخذ في الرسم مغزى تصويرياً ، وبمعنى آخر يصبح شيئاً حياً . وعند ذاك لا يكون الوجه العابر مجرد شيء يغري أو يسيطر عليه أو ينسى ، بل يصبح شيئاً يستحق أن ينظر إليه ، فقد أصبح موجوداً وموضوعاً ذا أهمية تصويرية يرضي ويثير في آن واحد . إنه يتجرد عن كونه حدثاً أو إدارة . ذلك لأنه ليس دافعاً أو معجلاً للحركة ، وليس إشارة للغضب أو النزوة . إنه لحظة مفعمة بالحياة وتمتلكة بالنظام . إنها معرفة شيء حي ، منظم ، معرفة لذاتها الحلوة . إنها بهية الطلعة - كما نقول - والنظر إليها متعة

إن الفن الجامع (الشامل) - كما سبق أن أئنا - من شأنه أن يجعل الوجود كله ينبض بالحياة وتصبح تفاصيل الفعال والمعاناة اليومية بهيجة سواء في خلقتها المباشرة أو في المعنى الذي انطوت عليه ، كما تتخذ علاقاتنا بالآخرين بعضاً من سمة الصداقة والمحبة . ويصبح ما فعلناه محركاً لنا كما هو محرك ودافع لقاء



للكاتب لأن يكتب ، وللرسام لأن يصور ، حتى يبدو ما لاقيناه وكأنه لقاء مع الموسيقى أو التصوير أو الشعر ، وعندئذ تكون الحياة عملاً له إبداعياً وتذوقاً جمالياً مستمراً ، ويصبح كل ما فعلناه فناً ، وكل ما عايناه تذوقاً وممتعة ، وتصبح الحياة مرتبة وتلقائية لا ادعاء فيها ، وفي نفس الوقت خاضعة لنظام ، وحررة طليقة .

### الخزف ومقتضيات المجتمع الحديث

لا شك أنه عند الحديث عن الخزف - كفرع من فروع الفن ، أن نكون منصفين في القول بأن الخزف يشمل كثيراً من الفروع المتعددة . . . علماً بأن الخزف هو الكلمة أو التعريف العام - فيوجد أنواع كثيرة - مثل الخزف الصناعي والخزف الفني - وهذا الانقسام قد عرف حديثاً عندما انفصل الخزف عن جوهر التعبير الذاتي ( الفردي ) نظراً للتطور الصناعي في بداية القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر - وكان من جراء هذا الانفصام - أو الاختلاف حول تصنيع الفن ودخول عصر الآلة أو عصر الماكينة - الذي أدى إلى تغرب الفنان الخزاف عن احتياجه للآلة - ورأى فيها مساساً بجوهر مكون الطينة ، كأداة تعبير عن الأشكال الجمالية البحتة ( أو أشكال الزينة ) التي ارتبطت بالتطور رغم أن الخزف كان في بدايته الأولى يعتبر من الفنون الحرفية التي كانت لها صفة الانتاج الكمي من حيث تكرار الأشكال الخزفية اليدوية - وكانت اليد هي البديل عن الآلة - أي إنها ابتدأت بالاحتياج الكمي ، نظراً لمقتضيات المجتمع في ذلك الوقت .

والذين يثرون اليوم على تصنيع الخزف كفن وصناعة تناسوا أن الخزف لم يكن الغرض الأساسي منه هو التعبير فقط - بقدر احتياج المجتمع للنفع الناشئة من استخدامه لخامة الطين ، ولم يكن القصد منه التعبير عن رغبة جمالية فقط بقدر ما كان الهدف الحقيقي منه هو استخدامه لهذه الخامة رغبة منه في الاحتياج للشرب وحفظ الماء والمأكولات . إذ لم يكن الغرض هو التعبير بقدر ما كان الغرض هو النفع - وليست الجمالية فقط . ولكن في استخدامه لهذا النوع ارتبط بالشكل الجمالي .

ونظرتنا نحن اليوم لهذه الأعمال على أنها فن بحت نظرة خاطئة ، لاعتبارات كثيرة من أهمها أن نظرة المؤرخ أو الفنان اليوم هي إلى القيمة الجمالية التي يحويها هذا الإناء من شكل ابداعي تتوافر فيه هذه القيمة - متناسياً أنه عندما صنع هذا العمل لم يصنه من أجل الزينة فقط - بقدر ما كان الغرض الأساسي الذي من أجله صنع هو النفع والرغبة في الاستخدام . هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها .

وقد نكون مجافين للحقيقة إذ لم نعترف بوجود الآلة الخزفية في بداية الحضارات الأولى عندما فكر الإنسان الأول في صنع أول عجلة دوارة (دولاب الخزاف) - وهي عجلة الخزاف التي اشتقت منها الحركة الدائرية - وأخذت منها بعد ذلك الحركة الدائرية في صنع عجلات الركوب ، التي تطورت إلى عصرنا هذا - واستخدمت في كثير من

الأغراض الأخرى - فإذا أردنا اثباتات تاريخية فتاريخ الإنسان مليء بالحجج والبراهين المؤكدة لهذا التطور .

وفي بعض العصور عندما استخدمت الآلة في التصنيع الخزفي الكمي انحرف الشكل الخزفي عن وجهة النظر الجمالية ، مضحياً بالشكل الجمالي على حساب الوظيفة ، وهذا لا يعتبر خطأ الآلة بقدر ما كان خطأ الخزاف لعدم معرفته وإدراكه لامكانية الآلة في استخدامها وتطويعها لغرض الشكل الجمالي - وفي بعض الفترات ظهرت فيها نوعيات سيئة من التصميم ليس في فن الخزف فقط بل في العديد من فروع الفن .

ولكن علينا أن نكون منصفين للحقيقة اليوم ، وأن نكون على وعي كامل بالمواجهة الحقيقية لرغبات المجتمع واحتياجاته الأساسية وأن لا ننحرف بالفن إلى طريق آخر عن طبيعته الحقيقية متمسكين في ذلك الأعذار الفنية - بوجهة النظر القائلة بأن فن الخزف هو فن محض ، إذ لم يعرف تاريخ الخزف بكل عصوره وأزماته السابقة واللاحقة - إن كان الخزف فناً محضاً ، وإن الدوافع الدينية والاجتماعية هي فقط ، التي تسببت في وجوده وليس الطين إلا وسيلة تعبير فقط . . إن مثل هذا القول خاطيء من أساسه - وما أثبتته تاريخ الإنسان وأقوال فلاسفة الجمال والمهتمين بأمر الفنون أن الفن في شموله - هو افراز اجتماعي صنع من أجل الإنسان ، ليس فقط للتعبير عن المشاعر بقدر ما كان هو الاحتياج الحقيقي لأغراض المجتمع ، حتى في حالات التعبير بالطين (الفخار) ، إذ لم يكن المقصود بالطين التعبير بقدر ما كان يقصد به كخامة لها غرض أساسي في تواجدها وكشف احتوائها من حيث أنها خامة لدنة ، يستطيع الإنسان بأن يشكل بها أغراضه بالنسبة لعصره فهي الخامة الطبيعية الموجودة .

واعتقد أن الفن ليس هبة خارقة تتسم بالاعجاز ، بل إن الفنون نمت من طرائق ما قبل التاريخ ، القائمة على المنفعة إلى حد كبير ، وإن لم تخل من بعض النواحي الجمالية ، نتيجة عملية متدرجة من التفاضل وإعادة التكمال ، ومن التكيف الاجتماعي ، ومن القوة المتزايدة ، ومما تتسم به الوسائل والغايات من دهاء وحذق وتعقيد .

ويجب علينا أن نسلم في الوقت الحاضر ، بأن هذه القوة المحولة التي يرمز إليها مظهرها ، ويدل عليها ذلك الشيء النحاسي الحديدي الذي نسميه الماكينة ، وقد كبرت بدرجة توجب على الفنان أن يتقبلها ولا يعارضها ، فلا بد أن تسود العبقرية العمل الابتكاري الذي نبذعه .





# مخلوقات غريبة

## البداية

منذ حوالي عشرين عاماً فقط، نشر الدكتور هـ. ليزمان الأستاذ بجامعة كمبريدج الشهيرة بحثاً ممتعاً في المجلة العلمية للبيولوجيا التجريبية، وفيه قدم سمكة من ذلك النوع المعروف باسم سمك المدية أو السكين Knife Fish، وهي من الأسماك التي تعيش في قنوات وأنهار جنوب إفريقيا، وقد تبلغ من الطول حوالي متر ونصف المتر، ويذكر أنه عندما رأى هذا النوع من الأسماك يسبح بالقرب من قاربه، التقط بهدوء مغناطيساً قوياً، ويحرص شديد أخذ يدلّه نحو سطح الماء، حتى إذا ما أصبحت المسافة بين المغناطيس والسمكة حوالي نصف متر، «تسمرت» السمكة في مكانها، وكأنها هناك قوة خفية قد سيطرت عليها وجذبها، وطبعي أن أحداً لا يستطيع أن يترجم لنا شعور السمكة حيال هذا المجال المغناطيسي الذي ملك زمامها، وكأنها هي تأتمر بأمره، بدليل أنها كانت تتحرك يمناً وشمالاً، وإلى الأمام أو الخلف، كلما تحرك المغناطيس في أي اتجاه من هذه الاتجاهات.

لكن .. ماذا يعني ذلك حقاً؟ .. وهل تمتلك السمكة في جسمها مغناطيساً حياً، أو أن هناك حديداً ينتشر في جسمها بصورة أو بأخرى بحيث يتأثر بالمجال المغناطيسي الذي يحركه ليزمان يئنة ويسرة، فيجعل السمكة أسيرته؟

الواقع أن السمكة تمتلك محطة توليد كهربائي، فتنتشر به حولها مجالاً للتخاطب به مع الأسماك الأخرى، وليصبح لها هذا المجال بمثابة عينها التي ترى بها، وأذنها التي تسمع بها، «ورادارها» الذي يوجهها إلى سواء السبيل!

## علاقة الكهربائية بالمغناطيسية

### ● وما دخل الكهرباء هنا بالمغناطيسية؟

لها دخل .. فالمجال الكهربائي يولد حوله مجالاً مغناطيسياً، كما أن المجال المغناطيسي يخلق مجالاً كهربائياً، أي كأنما هذا يرتبط بذلك كارتباط الروح بالجسد، أو الليل بالنهار، فكلاهما ينبع من الآخر أو يخلقه .. فالمجال الكهربائي في الجرس يولد مجالاً مغناطيسياً متقطعاً، فبرن الجرس تبعاً لذلك، كما أن الحركة في الدينامو (به ملفات تولد مجالاً مغناطيسياً) تولد تياراً كهربائياً .. وهكذا.

إذن فالمغناطيس يؤثر في الكهرباء، والكهرباء تؤثر في المغناطيس، ولهذا فعل المغناطيس في يد الأستاذ بالسمكة ما فعل .. فهذا المجال من ذاك بدون ريب!

في تصورات بعض الناس أن المخلوقات القادمة من الفضاء ذات حواس لم يمتلكها البشر على هذا الكوكب، فترى الفنان مثلاً يعبر عن ذلك بتصوير هوائي (ايرال) حي، أو قرن (أو قرنين) من قرون الاستشعار ملتصق بالرأس ليلتقط موجات كهرومغناطيسية، ثم يرسلها إلى أذننا هذه المخلوقات الفضائية، فتفك رموزها، وتعرف مضمونها، ونصبح نحن بجوار هذه الكائنات المتطورة كالصم البكم العمي الذين لا يفقهون!

لكن هذه المخلوقات الغريبة موجودة معنا على كوكبنا، وتحمل في جسمها محطات إرسال واستقبال حية، وتستطيع أن تفهم مع بعضها من خلال مجالات لا نستطيع لها إحساساً، ولا بها شعوراً ... ذلك أننا لا نملك حاسة كهربية حية لتطلعنا على بعض أسرار عالمنا، ومن هنا التزمنا حدودنا، إذ لا نستطيع أن نتخطاها، لقصور في بعض حواسنا، أو لعدم امتلاكنا لحواس امتلكتها كائنات أخرى، لتدرك بها ما لا ندرك! ولا تحسب أن هذه الكائنات «الكهربية» التي تتخاطب بلغة النبضة والفولت والأمبير قد أتت من الفضاء، واختفت في مجاهل الأرض، لترقب حركاتنا، وتدرس سلوكنا دون أن نحس أو ندري، ولا هي من مخلوقات الأطباق الطائرة التي قالوا عنها إنها تأتي بين الحين والحين لتزور أرضنا، فهذه المخلوقات الأسطورية الزائرة إنما هي إحدى خرافات القرن العشرين، لكن ذلك ليس موضوعنا الذي نود أن نقدمه هنا، بل علينا أن نعود لنقول: إن مخلوقاتنا الكهربائية التي «تتحدث» بالموجات تسكن ماء هذا الكوكب، وإنها ظهرت على الأرض قبل أن يظهر الجنس البشري بعشرات الملايين السنين، وإنها امتلكت في أجسامها «محطات إذاعة» من لحم ودم وأعصاب، وبها «تتكلم» فيما بينها بموجات لا يفهمها إلا جنسها أو نوعها، ولقد سجل بعض العلماء لها تلك الموجات، وعرفوا بعض مضمونها!

هذه المخلوقات الغريبة نوع خاص من الأسماك الذي يسكن في بعض أنهار إفريقيا وأمريكا الجنوبية، ولقد ظل سره مطوياً، إلى أن اكتشف علماء الحيوان أمره في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن هنا طوروا معلوماتنا عن الحواس التي ندرسها، ونظن أنها خمس، وما هي بخمس، بل إن هناك حواساً أخرى يجب أن تضاف إلى الحواس التقليدية المعروفة، ومن هذه الحواس تبرز الحاسة الكهربائية المثيرة التي حيرت العلماء أعظم حيرة!



# بمجالات كهربية مشية

بقلم: د. عبد المحسن صالح

الذي اخترعته الحياة من ملايين السنين!

## العلاقة مع البيئة

لكن سلوك هذه السمكة مع مجالها ومع بيئتها التي تعيش فيها يدعو حقاً إلى العجب، وقد يثير هذا السلوك تواضع خبراء الحروب والاتصالات والالكترونيات ومهندسي الإذاعات وما شابه ذلك، لأن السمكة تتلاعب بموجاتها أو نبضاتها بطريقة قد يحسدها عليها الخبراء والمتخصصون، خاصة فيما يتصل بالتشويش أو تداخل الموجات والنبضات.

فلو أن سمكتين ساجنتين قد اقترنا من بعضهما إلى الدرجة التي تتداخل فيها المجالات الكهربائية النابضة لهذه مع تلك، فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى حالة من العمى أو الصمم أو طمس «الرادارات» أو التشويش عليها، ونعني بهذه الرادارات تلك المجالات الكهربائية التي توضح للأسماك ما يجري حولها من أحداث، وما يدور من أخطار، وما يعكس إليها من معلومات توضح لها كيف تقدر لزعتفتها قبل العوم موضعها! لكن مشاكل ذلك التشويش أو التداخل بين مجالات الأسماك قد أمكن حلها منذ زمن طويل، فما إن تحس سمكة بأنها دخلت في مجال سمكة أخرى، فإنها يتوقفان للحظة عن الإرسال، وفي اللحظة التالية تغير كل منهما «موجة» محطة إرسالها بسهولة يحسدان عليها، وبجيت يؤدي ذلك إلى الإذاعة على موجة مختلفة، فلا يحدث تداخل ولا تشويش، وبهذا تعرف كل سمكة كيف تبث، وكيف تستقبل.

★ ★ ★

على أن هذه المجالات العجيبة هي الهادي والمرشد للسمكة في وسط تغم فيه الرؤية، ويطمس السمع، لكنها لا تبتئس لذلك كثيراً، فما إن تدخل بمجالها الكهربى المنتشر حولها في صخرة أو حجر أو نبات أو سمكة أو عدو أو صديق، إلا وترتد إليها «صورة» متقنة لما حدث في هذا المجال من تجمع خطوط القوى أو انفراجها، ففي الوسط المائي تختلف المواد الحية والميتة في درجات تعاملها مع تلك المجالات، فالمواد الرديئة التوصيل تباعد بين خطوط القوى، في حين أن الحسنة التوصيل تضمها، وهذا من شأنه أن يغير في كثافة مجالها، وكل هذا يرتد إلى جهازها العصبي فتميز بالمجالات الكهربائية، ما نميزه نحن بعيوننا المهيأة للرؤية في المجالات الضوئية.. أي كأنما مجالها الكهربى هو «عينها» التي تريها الأشياء.

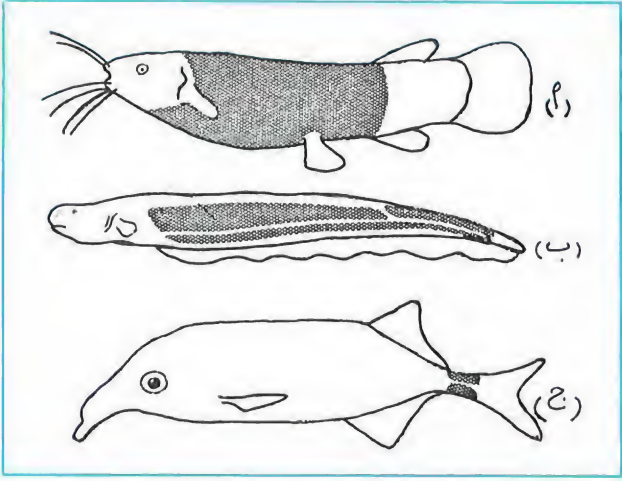
لكن مما لا شك فيه أن سمكتنا هذه قد قدمت لنا زاداً فكرياً وعلمياً جديداً، وكأنما الحياة تضع لنا النقط فوق الحروف، وكأنما هي تشير إلينا أن أفكارها لا تنضب، وأن الحواس التي زودت بها بعض كائناتها أغرب مما نتصور.. فلكل كائن ظروفه وبيئته، فما ينفع معنا، قد لا ينفع مع غيرنا، أو العكس، ولهذا قدمت الحياة لتلك السمكة هذا «التاكتيك» المثير، وطورته وصقلته واستخدمته، فظهرت أصالته ودقته، بدليل أن هذا النوع من الأسماك قد اعتمد عليه -أي على «التاكتيك»- منذ عشرات الملايين من السنين، ولا يزال، وهذا يعني أن الفكرة صالحة وفعالة، إذ لو لم تكن، لانقرضت هذه الأنواع منذ زمن طويل، لكنها لا زالت معنا، لتطور مفاهيمنا، وتضعنا في مكاننا الصحيح!

إذن فالسمكة تمتلك حاسة غريبة لا تعرف أجسامنا عنها شيئاً، وهي -أي السمكة- لا تكتنزها كنوع من الرفاهية أو للتسلية أو ما شابه ذلك، بل هي وسيلتها للحياة في بيئة مضطربة قد لا تصلح فيها الحواس التقليدية، فالمياه التي تعيش فيها عكرة هادرة مندفة في أغلب الأحيان، ولهذا فإن العين أو الأذن أو الأنف قد لا تنفعها في هذه المشاهدات، ولا بد من فكرة جديدة للتغلب على تلك المشاكل، فكانت فكرة محطة إذاعة صغيرة حية تنتشر في جسمها، وتغذيها مولدات كهربية صغيرة على هيئة بطاريات أربع حية تمتد اثنتان منها من نهاية ذيلها إلى الثلث الأخير من جسمها، والثالثة حتى وسطها، والرابعة تمتد حتى رأسها، ويتراوح فرق الجهد فيها ما بين ٣-١٠ فولتات، ويتوقف هذا الفرق -بطبيعة الحال- على حجم السمكة ووزنها.

وكما تنبض القلوب فينا لتدفع الدم في عروقنا، كذلك تنتاب هذه البطاريات الحية نبضات خاصة، لتخلق حولها مجالاً كهربياً نابضاً، إلا أن سرعة هذه النبضات الكهربائية أكبر بكثير من سرعة نبضات القلوب، فحيث تنبض قلوبنا (مثلاً) ما بين ٧٠-٨٠ نبضة في الدقيقة، نجد عدد النبضات الكهربائية في هذه الأسماك تقع في حدود ١٨ ألف نبضة في الدقيقة، أو بمعدل ٣٠٠ نبضة في الثانية الواحدة، وهذه لا تتوقف أبداً، اللهم إذا توقفت الحياة في السمكة.

والواقع أن لكل سمكة مجالها، فإذا سارت، كونت حولها خطوط قوى كهربية تمتد من رأسها حتى ذيلها، تماماً كما يمتد المجال المغناطيسي حول قضيب مغنط، ولقد تبين أن القطب الموجب يكمن حول رأسها، وأن القطب السالب يحيط بذيلها، أضف إلى ذلك أن مجالها الكهربى المصاحب لها أينما سبحت، هو مرشدها الأساسى في عالمها، أو هو بمثابة «رادارها»





\* رسم توضيحي لتوزيع البطاريات الكهربائية الحية في ثلاثة أنواع من أسماك الاتصالات الكهربائية ، أ - سمكة القط الكهربائية ، ب - سمكة النبيان ، ج - سمكة المدية الكهربائية \*

### السر الكبير

الواقع أن السر يكمن في المخ ، فمعظم الجهاز العصبي للسمكة قد تطور وتضخم ليساير هذه الحاسة الجديدة ، أي الحاسة الكهربائية التي تناسب بيئة هذه المخلوقات وطرق حياتها .

لكن السر الكبير لا يزال حتى الآن غامضاً : إذ كيف يتسنى لهذه الأسماك أن تنتج تياراتها ونبضاتها الكهربائية وتغير في شدتها ، ثم كيف تستقبل أحاسيسها الكهربائية من وسطها الذي تعيش فيه ، وتحولها إلى صور أو علامات تعرف بها عالمها ؟

لقد قام دكتور ليزمان بالاجابة على جزء من هذا السر الكبير ، فعندما فحص جسم السمكة فحصاً دقيقاً ، لاحظ وجود فتحات جد صغيرة تتوزع على جسمها ، ولا يفصل كل فتحة عن الأخرى إلا مسافة قصيرة لا تزيد عن المليمترين ، ثم بمزيد من الفحص تبين أن كل فتحة تؤدي إلى أنبوبة قصيرة للغاية ، ولا يزيد طولها عن عشرة ملليمترات ، وبهذه الأنبوبة سائل هلامي تبين فيما بعد أن له تركيباً خاصاً يساعد على توصيل التيار الكهربائي ، ثم تنتهي الأنبوبة بفجوة واسعة (نسبياً) ومستديرة ، وفيها تكمن عدة خلايا حساسة لأي تغير في الجهد الكهربائي أو شدته ، ثم تصب هذه العشرات من ألوف الأجهزة الدقيقة في «كابلات» عصبية تتصل بالمخ ، وتؤثر فيه بإشارات أو نبضاتها ، فيحل رموزها ويعرف مضمونها بطريقة لسنا ندري عنها شيئاً حتى الآن . وما أكثر ما لا ندري !

### أنواع السمك الكهربائي

ولقد أحصى العلماء حتى الآن أكثر من مائتي نوع من

والواقع أن هذا المجال يمتد أمامها وحول رأسها ما بين متر أو مترين ، وبهذا تستطيع أن تحس بكل ما يعترضها بمجرد أن تقترب منه بمثل هذه المسافة . . ثم إنها تستطيع - كما دلت التجارب التي أجريت عليها - أن تعرف الفرق بين قضيب من الزجاج لا يزيد سمكه عن ملليمترين ، وقضيب آخر من الحديد أو الخشب أو الفورمايكا له السمك ذاته ، وعلى مسافة تزيد عن المتر من رأسها !

ثم إن حساسية هذه الأسماك للانخفاض الحادث في جهدها الكهربائي - نتيجة لمروها في عوائق شتى - قد يصل إلى حدود يصعب علينا تصديقه ، فهي تستطيع أن تشعر بنقص في الجهد يصل إلى أقل من ثلاثة أجزاء من مائة مليون جزء من الفولت لكل سنتيمتر واحد لا غير! . . وهذا من شأنه أن يغير شدة التيار الكهربائي إلى أربعة أجزاء من مائة مليون جزء من الأمبير على كل سنتيمتر مربع ، وهذه الأرقام الصغيرة للغاية قد تخلق صداداً لمصممي الأجهزة الكهربائية ولعلماء الأحياء كذلك ، إذ كيف يتسنى للسمكة أن تحس بهذه الفروق رغم أنها تتكون من شحم ولحم ودم ؟



\* ثلاثة أنواع من الأسماك التي تستخدم الحواس الكهربائية كحاسة لتتبعها في أعماقها إلى جدار السيل \*



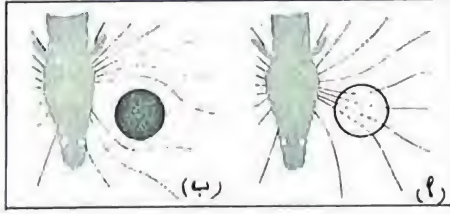
\* زود أسماك الكهربائية ، ٣٠٠ نسخة في القرن الماضي \*



الأسماك التي تستخدم الحاسة الكهربائية إذا ما تأزمت الأمور أمام حواسها الأخرى التقليدية الضعيفة .

في أميركا الجنوبية مثلاً تعيش أنواع من أسماك المدينة ، وهي تختلف فيما بينها - أو عن رفيقاتها الأفريقيات - في الحجم وشدة الفولت والشكل وعدد النبضات . . فنوع منها قد يبعث بتياراته بمعدلات بطيئة قد لا تتجاوز نبضتين في الثانية الواحدة ، في حين أن نوعاً آخر قد ضبط «محطاته» على حوالي ١٥٠٠ نبضة في الثانية ، وما بين هذين الحدين تكون معدلات البث الكهربائي في الأنواع الأخرى .

فبطيئات البث أو النبض لا يوافقها إلا المياه الهادرة في لطف ، في حين أن سرعات البث تستطيع أن تثبت وجودها في كل الظروف الصعبة . . فمهما كانت المياه مضطربة وعنيفة ومندفعة ، فإن البث الكهربائي السريع كفيل بالتغلب على ما يقابلها من عوائق ومآزق . . وكأنما نحن هنا - مرة أخرى - أمام محطات إذاعة حية ، ولكل منها موجة مختلفة ، فمما ما يذيع على الموجة القصيرة أو المتوسطة أو الطويلة . . الخ ، وطبيعي أنه كلما قصرت الموجة ، زادت شدتها ، وارتفع ترددها . . أي كأنما هذه الأسماك قد سبقتنا إلى هذه التكنولوجيا قبل أن نظهر نحن على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين !



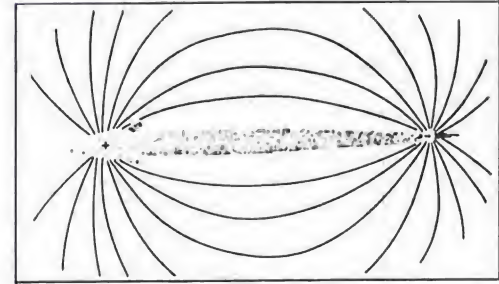
\* تخرج  
المجالات  
الكهربية  
إذا عائلها  
موصول ردي  
كما في دات  
وتجمع وتجمع  
خطوط المجالات  
إذا صادفها  
موصول جيد  
للكهرباء  
كما في دات \*

من الذكر ، لكن معدلات تردد البث تزيد شيئاً فشيئاً ، فلعل أحدهما ينسحب ويترك المكان لغيره ، وقد يصل العناد إلى منتهاه ، إلى أن يصطدم الذكر بالذكر ، وعندئذ يدخلان في معركة حقيقية تشتغل فيها الأفواه عضاً وتقطيعاً ، ولا بد للضعيف بعد ذلك أن يترك الميدان للقوي لكي يصلح فيه ويجول !

وكما تدور المناورات « الحربية » بين الذكور ، وتستخدم فيها هذه النبضات كنوع من إبراز العضلات ، يحدث أن تصبح هذه النبضات لغة لجذب الجنس الآخر ، لكي يحدث التزاوج والمجاذبة الذرية ، كما أن للذكور وإناث النوع الواحد لغة لا يشاركونها فيها أي نوع آخر ، ومن هنا يهتدي طالبو التزاوج كل إلى الآخر دون حدوث خلط أو خطأ في « الأنساب » ، أي كأنما هذه الاشارات أو النبضات أيضاً هي بمثابة صك أو وثيقة زواج غير مسجلة بين أفراد النوع الواحد .

هذا ويشير دكتور ويلهلم هاردر إلى أن بعض هذه الأنواع تستطيع أن تتحكم في مرجاتها إلى الدرجة التي تجذب بها الأسماك الأخرى إلى مجالاتها الكهربائية ، فإذا دخلتها ، أحست كأنما هي سكرى ، وعندئذ يمكن اصطباذها بسهولة ، وتصبح لها لقمة سائغة ، عليها تشبع بطونها الجائعة !

وإلى هنا يسدل الستار على لغة جديدة ، أو حاسة مثيرة ، أو فكرة عجيبة من أفكار الحياة التي لا تنضب ، ووسائلها البديعة التي تجعلنا نراجع أنفسنا في كل ما نستنبط ونبتكر ، رغم أن الابتكار كان لعبة الحياة من قديم الزمن . . ولا جديد تحت الشمس لو كنتم تعلمون .



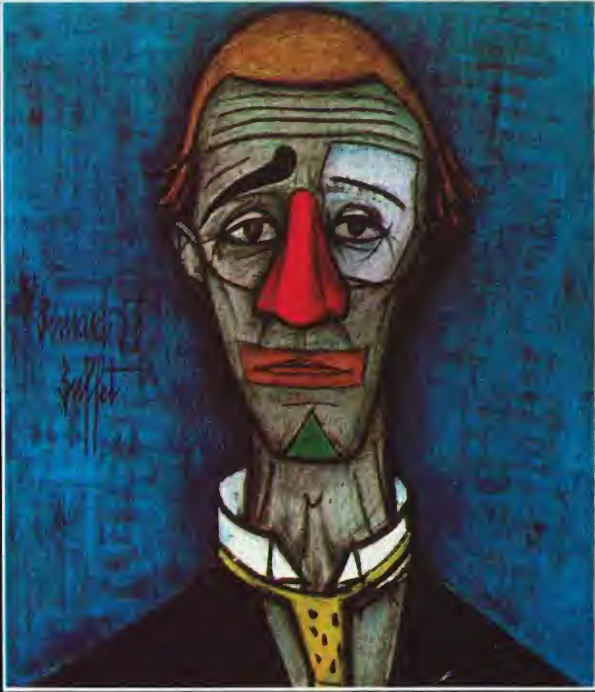
\* توزيع  
مجالات  
القوى  
الكهربية  
بين  
رأس السمكة  
ودورها  
يشبه  
إلى حد بعيد  
توزيع  
المجال  
للمغناطيسي \*

وبمزيد من الدراسة ، تبين أن لكل نوع من هذه الأسماك قوة بث كهربائية خاصة ، وذلك بغرض تيسير الحياة على الأنواع ، فتصبح السرعة المحددة من النبضات للنوع الواحد بمثابة لغة خاصة تؤلف بينها ، أو تجمع شملها .

إلا أن البروفيسور فرانز بيتر موهرز من جامعة توينجن بألمانيا يقدم لنا صوراً طريفة عن استخدام الأسماك لمثل هذه المجالات في المناورات التي قد تقوم بها الذكور بغرض أن يحمي كل ذكر أرضه أو وطنه من أي دخيل تسول له نفسه أن يقتحم « حرماً » غيره ، فيقول :

لو حدث أن دخل ذكر إلى منطقة يسكنها ذكر آخر ، يبدأ هذا الأخير - في تسجيل النبضات التي يبعثها الذكر الدخيل ، وعندئذ يرد عليه بموجات كهربائية أخرى ، وطبيعي أن حدة هذه الموجات تزداد قوة كلما اقترب الذكر





★ ماكس بيكان - بورنوية ، يلاحظ الغرابة في استعمال اللون ★

# لغة "الفن الحديث" وانسان العصر

بقلم: مجدي نجيب

★ إن لغة الأدب .. والألفاظ المتداولة في الحياة اليومية ، جعلت بعض الناس يتعودون على نوع من « التقريرية » في كل ما يحيط بهم في حياتهم الخاصة والعامة .. وفي النماذج التي يشاهدونها من لوحات وأعمال فنية .. أو ما يسمعونها من خلال الكاسيت والراديو .. وأيضاً في أوقات عملهم .. وفي أثناء القراءة .. والحديث مع الغير .. والملاحظة المتأملة العادية ★

نتج بعد هدوء زلزال أو عاصفة أو مذبحة دار فيها القتال بلا هوادة ، حتى هذا لا يستطيع أن يدركه الفنان المبدع :

« أبدأ أحياناً في رسم لوحة بألوان

زاهية ، متوهجة .. ثم أنتهي منها ... »

وقد تحولت الألوان إلى رماديات<sup>(١)</sup> .

وعندما ننأمل رؤية الفنان المعاصر للحياة ، وهي تنعكس على بعض المشاهدين ، فإننا بلا شك نتذكر هذه النظرية القديمة التي تقول بأن الفنان في « عصره » غير مفهوم من قومه أو قارئيه ومشاهدي أعماله ، فهو دائماً يسبق عصره كما يقول « دنكان ف . كامبرون »<sup>(٢)</sup> .

ولذلك فإن الفن الحديث يأتي صدمة عنيفة ، وكأنه عاصفة هادرة قاصدة إلقاء هذه « التقريرية » التي لا تتناسب مع إيقاع العصر .

وهذه النماذج الإنسانية التي تنظر إلى كل شيء في تقريرية مباشرة دون أن تفتح نافذة نافذة للفكر والتخيل والتحليق .. والحلم الذي يستطيع أن يرفرف ، رغم صعوبة الوقوف على أرض الواقع ، إنهم ينظرون إلى الفنان التشكيلي المعاصر على أنه مجرد حامل لـ « علب » كبيرة من الألوان ، يلقي بها عابثاً ، بلا مبالاة على القماش .. وتصبح لطخاً غير متناسقة ، وكأنها هي نوع من الأوساخ التي





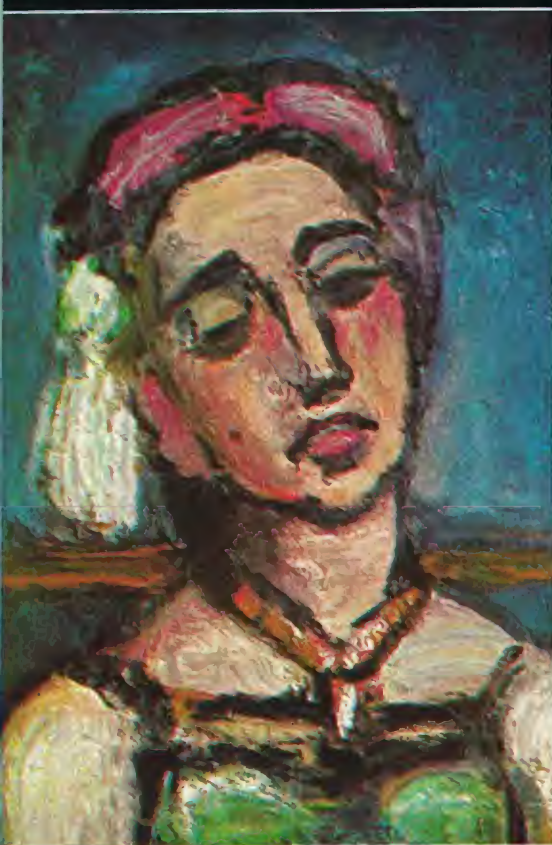
★ «فيكتور برونو» السر ★



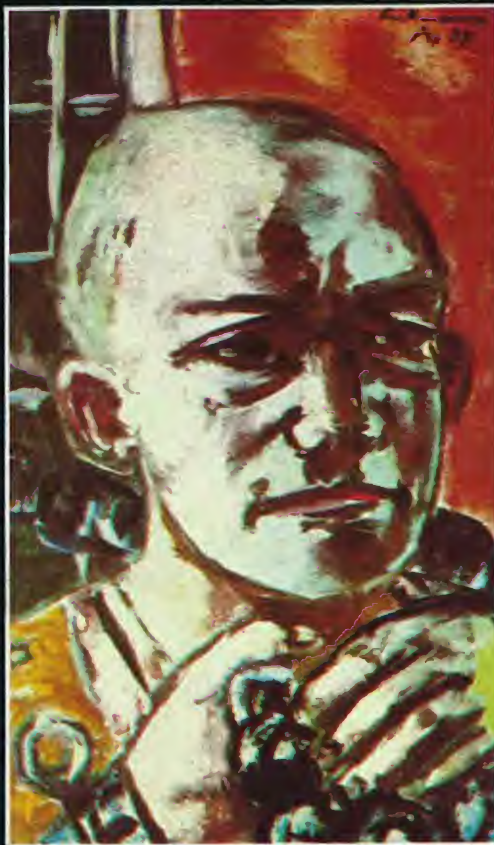
★ «روبير ديلون»  
★ أقراص



★ بول كلي - ، لعبة الشطرنج ★



★ جورج روو .  
رأس امرأة .. وكأنه قطع من الزجاج المشق ★



★ ماكس بيكان . صورة ذاتية ، فيها نظرة إلى المجهول الغامض ،  
ربما هذا المجهول هو تلك اللحظة الواقعية التي يعيشها الفنان ★



★ «بابلو بيكاسو»  
★ رأس امرأة ★



فمن هذا المنطلق .. يبدأ الإنسان في التعاطف مع اللوحة التي يراها تهز مشاعره .. أو تعزف على وتر حساس في أعماقه .. أو تحلق به في آفاق من الدهشة الخاملة دون أن يجد الوسيلة للتحليق .  
إلا أن « القواعد » المتعارف عليها .. أو الأشكال الروتينية المألوفة في حياتنا اليومية ، لا تجد أمامها العوائق لكي يتمكن الإنسان من التخيل :

« القواعد .. لا تعطل تدفق الرؤيا »<sup>(٥)</sup> .

ونحن نلاحظ دائماً في أعمال « بابلو بيكاسو » ، أنه كان دائماً متغيراً .. وكثيراً ما كان يميل إلى « تشويه » الأشكال الطبيعية وتحطيم « القواعد » المنطقية للأشياء والمساحات ، حيث استطاع في الكثير من لوحاته أن يصور عالمنا بشكل ممسوخ ، وكثيراً ما اعترضت عين المشاهد .. ولكن « بيكاسو » مع ذلك ، ظل مسيطراً على عالم الفن الحديث لأكثر من نصف قرن .. ، فراضاً - بفنه - رؤياه الخاصة التي لم ينجل من زرعها على لوحات القماش ، متوهجة بألوانها المتصارعة والمخادعة الجذابة .

#### الفن .. لغة عالمية

ولأننا نعيش في قلب الحضارة .. وفي غمار هذا العالم الحديث المتطور .. أصبح للفن في هذا العصر لغة عالمية واحدة .. وتتضح هذه اللغة بسماتها الواضحة والتي تميزها عن كل اللغات الفنية السابقة .

« يوجد فاصل زمني مدته خمسون عاماً .. بين الابتكارات الخلاقة الجديدة .. وبين تقبل الجمهور لهذه الابتكارات بسنوات عديدة » .

ولكن الفنان لا يمل العمل .. ولا يتوانى في ابتكاراته وافرازاته الفنية رغم ما يقابله من صعوبات واعتراضات المشاهدين لأعماله ومحاولة النظر إليها باهمال ومعاملتها بفظاظة وسلبية .. أو إعلان التمرد على تقبلها بروح المحاولة للفهم .

« سوف نعمل حتى الموت .. فإذا نفعل في الدنيا غير ذلك؟! وسوف تأتي اللحظة التي لا يمكن أن ترتفع فيها الحقيقة إلى مستوى الحلم »<sup>(٦)</sup> .

وهناك موضوعات مختلفة ، يطرحها الفنان التشكيلي الحديث بألوانه على القماش ، يراها الناس مألوفة ، وذلك راجع للتألف النفسي .. بين اللوحة بألوانها .. وبين المشاهد لها .

إلا أن بعض اللوحات تثير الفزع في النفس .. وبعضها يجعل الإنسان يخلق على شراع أجنحته الخاملة .. والبعض الآخر ، المتأمل لها .. يستخرج ما في أعماقه من أشجان وذكريات ، مرة دافئة ، مليئة بالتعبير المدهشة .. وأخرى تفيض باللوعة على ماضٍ شدد روحه بأحلامه الخضراء .. وذهب مختفياً في الزمن .

ولهذا ، فإنه ينطبق هذا القول :  
« الألفة .. تولد الصداقة »<sup>(٧)</sup> .

★ فرانسز  
مارك ،  
دورة  
الجياد  
الزرق ★



★ جوان  
ميرو  
الطائر  
الصاروخ ★







★ «سلفادور  
دالي»  
دوام  
الذاكرة ★



★ «فريدريك كاستيلون» .. شخصية سوداء ★



★ «جان دوبوفيه» .. اللحية الشماء ★

فالإنسان يحيا في قلق متوتر .. يعزف على أوتار حيرته وتردده وهو يواجه غربه في الحياة .. وبالمسافات الشاسعة لانتائه إلى شيء واضح المعالم ، متقن التفاصيل ، مقنع للعقل والروح في بعض الأحيان .. فزعا .. متوترا .. يعبر عن حالته بتلك التماذج التي نراها في إنتاج الفنان المعاصر .

إلا أنه فيما بين عام ١٩٢٢ م ، وعام ١٩٤٥ م ، استطاع «الفن الحديث» أن يحمل لواء المقاومة ضد العدوان والدفاع عن حريات الانسان .. وقد تمثل هذا بوضوح في حركة «المقاومة التلقائية» التي نذكر منها أعمال كل من بيكاسو وهنري مور وبول كلي وشاجال وهنري ماتيس وسلفادور دالي .. وغيرهم .

#### هوامش

- ١ - الفنان البير ماركيه .
- ٢ - المدير الأهلي لجمعية المؤتمر الكندي للفنون ... وهي جمعية تهدف إلى تشجيع الجمهور على تذوق المصادر الفنية والثقافية بطريقة موسعة .
- ٣ - أوجين دولاكروا .. فنان تشكيلي .
- ٤ - دافيد س . أبيسي .. عالم نفساني .
- ٥ - دافيد سوتير .

فنظرة الإنسان إلى الحياة والطبيعة والعلاقات الإنسانية .. والتحول من المجتمعات الزراعية والحرف اليدوية ، إلى حضارة القرن العشرين .. تلك الحضارة الصناعية ، استطاعت أن تحدث انقلابا خطيرا في حياة الشعوب وأفكارها ومعتقداتها وقيمها .. ونظرتها الحديثة من خلال ارتباطها بهذا العصر الصناعي الرهيب .. والتي تركت آثارها على الفنان .. وعلى لغة «الفن الحديث» ، بحيث جعلت ذلك الفنان المعاصر يسعى إلى التعبير عنها وعن تأثيرها وردود الفعل المختلفة في وجدانه .

ولكن ..

المتأمل للفن المعاصر ، تحاصره الحيرة ويرتبك قليلا ... فهو أمام عدد كبير من المذاهب والاتجاهات التي يتميز بها كل فنان .

وقد ذابت الفوارق والفواصل بين فروع الفنون التشكيلية .. وهذه سمة من سمات العصر الحديث .

واستطاع هذا العصر بكل مكوناته الحديثة والتكنولوجيا والصناعة والاقتصاد والسياسة ، أن يلعب دوره الواضح في التأثير على إنتاج الفنان ... فقد أصبحت لغة الرمز ، لغة مشتركة بين جميع الفنانين .. كما أصبحت التجريدية كذلك والسريرية ..



ثَقُلَ الحَمْلُ يا صديق ، والزأ  
 د زهيد ، والدرب وعر طويل  
 وازدهاك الغرور لما (تملینت)  
 فأوشكت لا تعي ما تقول  
 وهوى المال يا أخى بلاء  
 بل وباء تضلُّ فيه العقول  
 فَتَخَفُّفُ . إن الخِفَّ هو النا  
 جى إذا آدَنَ الحسابُ المهول  
 وتذكرُ أن الكفاف هو الخير  
 وكل الذي عداه فضول  
 قد بلونا عسر الحياة زماناً  
 ثم وافى يسارُها المأمول  
 فإذا مرُّها وحلو جناها  
 محض حُلم بقاؤه مستحيل  
 فإلام الشقاء في طلب الوهم  
 وندرى أن المقام قليل  
 ولعمري ما أنت أحوج مني  
 لنصيح يقول لي ما أقول  
 كلنا واردُ السراب وكلُّ  
 يدعي الطبَّ وهو ذاك العليل



.. يا متاع الغرور حسبك ما أسـ  
 لفت بي من جراحة لا تزول  
 زنت لي الضرب في الظلام إلى أن  
 خار عزمي وأرهقتني الكبول  
 وشبابي نزفته في ضباب  
 من ضياع قد حار فيه الدليل  
 فدع الشيب لي أكفره به الما  
 ضي فقد آن أن يثوب الجهول  
 وإذا الشيب لم يزعني عن الغي  
 فما لي إلى النجاة سبيلُ



# يامناع الغرور

شعر: محمد المجدوب





تأليف: أندريه روشان  
ترجمة: فتحي العشري



بمناسبة

عام  
الطفل



# البرج

كل عام كان يصل إلى مارسيليا سيرك « رانسي » ويقم خيمته على الساحة  
الرئيسية بالمدينة والتي كانت تسمى بالسهل . وكان والدي وهو فارس قديم  
يحب الجياد ، وقد كانت هي الفقرة المثيرة في برنامج هذا السيرك والتي كان  
« العجوز نابليون رانسي » يحرص على تقديمها بواسطة ابنه هنري على أعلى  
مستوى .



الرجل مقعداً على المائدة ويقفز فوقه ، ويقدم إليه مقعداً آخر يضعه فوق المقعد الأول ثم يقفز أيضاً فوقها ، بينما الموسيقى تزداد هدوءاً ، ومن مقعد إلى آخر يصل الرجل إلى ارتفاع خفيف تتوقف عنده الموسيقى ليعلو إيقاع الطبل . ويستقر بين يديه مقعد جديد عن طريق خيط رفيع وقد أصبح يقف على عشرة أو اثني عشر مقعداً بحيث لم تعد وقفته ثابتة تماماً فوق هذا البرج من المقاعد . وكان عليه أن يضع هذا المقعد الأخير فوق كل هذه المقاعد ليصعد أيضاً . هذا ما شرحت لي أمي وأنا أنشئت بيدها ولا أتوقف عن سؤالها طوال الوقت مستفسراً عن سير الأحداث وأنا أحس بحلقى ينقبض مع حركات البرج المتأيلة .

سمعت أمي وهي تهمس بصوت منخفض في أذني والذي : « من الغباء عرض ذلك أمام الأطفال . إن يدي الصغير متجمدتان . إنه يموت خوفاً » ، وأضافت بقولها : « وأنا أيضاً أكثر منه » لم أكن أجرو في الحقيقة على النظر إلى أعلى ، وعندما كنت أجازف بالنظر بإحدى عيني في اتجاه البرج ، أراه وهو يهتز بعنف . وفجأة توقف صوت الطبل تماماً واختفى العازفون جميعاً وأخذ الحاضرون يصفقون . ورفعت عيني فرأيت الرجل وهو يحني بقبعته . وبعد أن اطمأن إلى نجاح فقرته ، ألقها بمأثرة أخيرة ، أشاع حركة في عمود المقاعد انتزعت صيحاتنا جميعاً ، فتوقف إيقاع الطبل من جديد ، وانفرد عمود المقاعد في اتجاهنا ، وانطلقت صرخة جماعية . ألقبت وجهي ناحية أمي حتى لا أرى الرجل وهو يصطدم بالأرض ، ولكن أمي همست لي بقولها : « فعل ذلك عن عمد » وركزت بصري فرأيت الرجل الذي لم يصطدم على الإطلاق يقف وسط الحلبة ويلوح بقبعته ميمناً ويسأراً يغمره إحساس كامل بالسعادة قالت لي أمي : « لم يكن يسقط بالفعل ، هل تفهم؟ » .

لا أعرف ما فهمت ، أعرف فقط أن كابوساً ظل يغزو أحلامي لسنوات طويلة : برج يتأيل أمامي ثم يسقط فوقي . كم من أمسيات لم يكن عليّ أن أسهر فيها ! وكم من أمسيات لم تجد معها المهدئات التي تنقذ المرء في العادة من رعب الظلام ! وأتذكر الآن ذلك الملل الطويل في ساعة النعاس ، وقد تجمدت قدمي ويداي خوفاً من هذا البرج الذي جاء في تلك الليلة أيضاً مفتحاً البيت كله وسهادي المروع .

كانت أمي على حق : فقد كان ذلك غباء ومع هذا فخراة السيرك قائمة داخل كل الأسر ، بحيث يصطحب الطفل بمجرد تعلمه المشي لمشاهدة « المهرجين » ، اعتقاداً بأن المهرجين « من أجل الأطفال » . وإلى جانب المهرجين توجد الأسود التي تزار وتطلق صيحات مرعبة ، ثم المروضين الذين يلهون وهم يفتحون أفواه تلك الأسود ويدخلون رؤوسهم فيها ، ويوجد البهلوانات الذين يخاطرون بحياتهم في كل حركة ، ولاعبو المتوازيين الذين يرتفعون فوق أهرامات غير آمنة بعيداً عن الأرض بخمسة عشر متراً ، والسكاكين الحادة الموجهة إلى لوح من الفلين حول وجه سيدة جميلة . فما الفائدة من ارباب طفل ، أي طفل ، بإعطائه جرعة من الكوابيس المربعة يصبح من الصعب التخلص منها بعد ذلك . لكن التقليد مستمر : اصطحاب الأطفال إلى السيرك والتأكد من أنهم سيلهون فيه . « حقاً بالتأكد ، والصغار أيضاً ! فهناك يوجد المهرجون ! » .

كان والذي يصحبنا صباح كل أحد لمشاهدة التدريبات التي كان يسمح للجمهور بمشاهدتها . وكانت هذه الحفلات التي تضم عدداً قليلاً من الهواة ، تعطيني إحساساً بالمتعة ، فلم أكن أشعر بالملل وأنا أقرب الجياد الجميلة السوداء والبيضاء ، بذيولها وأعرافها ، المقيدة بموافها حيث الردف يظهر مربعات منسقة . كنت وقتها في الثامنة أو التاسعة . ولم أكن أبلغ الرابعة أو الخامسة عندما اصطحبت لأول مرة إلى السيرك نفسه مع مجموعة الخميس أو الأحد مساء ، فلم أنس بعد ذكرى هذه العروض ، وبصفة خاصة ذكرى فقرتين إحداهما كانت تصيبني بالهلع وكانت أمي تجد صعوبة بالغة في تهدئتي بعد ذلك . . كانت الفقرة تتعلق باثنين من المهرجين ، يقوم أحدهما ، وهو يرتدي ثوباً فاخراً ، بدور النحلة ويطوف الحلبة بسرعة مذهلة مقلداً بذراعيه جناحي الحشرة المتذبذبة . وهنا يصبح المهرج الآخر بأنفه الأحمر وثنياه الفضفاضة : « أوه ! النحلة ! أنظروا جميعاً إلى النحلة الجميلة التي تفرز عسلًا ! » بينما المهرج الأول بوجهه الأبيض وثوبه الفاخر المزركش يؤدي حركاته الطائفة . فيصبح المهرج الثاني وهو يتابعه : « اعطيني عسلًا يا تحلي الجميلة » وتستمر اللعبة على هذا النحو فترة طويلة فوق سجادة تسحب ببطء تمهيداً لإعداد أدوات الفقرة التالية ، بينما يعلن المهرج الثاني توسلاته الأخيرة : « اعطيني عسلًا » فيستدير المهرج الأول وينث في وجه الآخر وعلى هيئة رذاذ خفيف ، الماء الذي ظل محتفظاً به في فمه أكثر من خمس دقائق . وقد كان هذا السيناريو ، كما هو واضح ، بسيطاً وحيًا . واعتقد أنني لم أضحك في حياتي مثلما ضحك في هذا اليوم ، وأنا المعروف بالضحكات الهستيرية . ولكن كل شيء تغير عندما دخل رجل بالغ الأنافة يرتدي قبعة رفيعة المستوى براقه المظهر وثوباً أسود اللون ينتهي بذيل ، كانت الحلبة تضم مائدة كتلك التي في مطبخنا وعدداً كبيراً من المقاعد .

تناول الرجل مقعداً وبدلاً من أن يجلس عليه ، رفعه ووضع به بإحدى قدميه على ذقنه وأخذ يطوف الحلبة والمقعد على وجهه . ثم تناول عدداً من المقاعد ووضعها على أطراف أصابعه وعلى طرفي حذائه ، وقد بدت تلك المقاعد وكأنها مثبتة بمسامير في أماكنها التي وضعها فيها . وكان يرتنح ولكن لكي يحافظ على توازنها وليس على توازنه هو ، وتحين اللحظة التي يضع فيها

#### أندريه روسان

- ولد عام ١٩١١م ، بمارسييا وعمل بالصحافة اليومية الفرنسية .
- كتب أولى مسرحياته للأطفال بعنوان « أم - سترام - جرام » ونلت في باريس عام ١٩٤٤م .
- عرف ككاتب عالمي لأدب الأطفال بعد صدور قصة « الكوخ الصغير » عام ١٩٤٧م ، وترجمت إلى معظم لغات العالم .
- كتب بعد ذلك « عندما ظهر الطفل » و « بوبوس » و « بيض النعاس » و « هيلينا أو سعادة الحياة » و « نينا » و « العرافة » و « القطار » و « اللعبة الملونة » وكلها قصص للأطفال .
- و « أندريه روسان » من الكتاب الذين يكتبون للطفل من خلال رؤية عاقلة وتربوية وليس من قبيل اللهو والمتعة . . ولكنه لا ينزلق إلى هوة الحرص على التلقين التعليمي والاجتماعي الجاف الذي يفر منه الأطفال هرباً من مضمونه المدرسي وشكله التدريسي . . فهو يعتمد دائماً إلى تغليف دروسه الأخلاقية بورق من السوليفان من خلال شكل أدبي مريح وكتابات متداولة سهلة وعبارات مختصرة ومركزة . . ولذلك نشغل كل قصة من قصصه مساحة صغيرة لا تتطلب جهداً في القراءة ولا تدعو إلى الملل . . ومن هنا أصبح « صديقاً للأطفال » !





بقلم: عبد اللطيف الأرنؤوط

# الشور الجاش

وتحرك سطح الماء الساكن وتكسر وجهها قطعاً كالمشمس،  
ولكنها استطاعت ان تبتل الحاديد الأرض المحروثة فيه .. ارض  
دون عقب .. وفجأة تحول هذا الوجه الى صبية يانعة تبسم،  
رفعت (ام سليم) عينها .. واستدارت الى الوراء .. ها هو ذا ..  
شاب ينبت كما يفعل السحر .. وشعرت بضربات قلبها تحلق.  
واحمرت وجنتاها.

- صباح الخير يا فاطمة
- صباح الخير يا (أنا سليم)
- سيكون موسمنا هذا العام حياً .. وسأشتري البقرة  
الرابعة.

منذ زمن بعيد، منذ أن كانت طفلة، اعتادت ان تبدأ نهارها  
عند أشجار الصفصاف النابتة على شاطئ النهر بجانب البنيوع،  
وكان لون الاشجار يتغير بحسب الفصول وأشعة الشمس .. عندما  
كانت طفلة رمت حصاة الحظ في المياه، فنبت رجل في صباحها  
وهذا الرجل صار زوجها بعد ذلك.

فوجئت هذا اليوم بأغصان الصفصاف المتهدلة الباكية،  
وكانت النسمات الباردة الخفيفة تلامس الاوراق النخيلة، لقد  
سمعت النواح من بعيد، نواحاً متناغماً رقيقاً احسسته ينبت من  
الخشب الحي، فوجئت لانها قبل عشرين عاماً اعتادت ان ترى  
الاغصان كخصلات شعر امرأة جميلة .. تداعب سطح الماء  
ولكن اليوم .. جلست القرفصاء امام طرف النهر لتلاً جرتها ..



تذكرت فجأة أمها انتظرت اربعة اعوام. كل عام كان يشتري بقرة .. وهذا العام سيكتمل مهرها الذي حددته والدها. حادقت بعينها جيداً. لكنه كان قد اختفى. تالتت صور متلاحقة .. وعادت حرارة الشمس تبع رأسها ايام الحصاد الطويلة. وفي ذاكرتها اشياء لا تحصى .. تشقق يديها وسال الدم من الشقوق .. الولادة .. رأس طفل يخرج .. انه صبي .. وتعالى الزغاريد متغلغلة في شعرها .. في حبات العرق المصبوبة بسخاء على وجهها .. سنسميه سليم .. ابنها البكر ولادات اخرى متلاحقة .. عشرة أبناء لم يعيش منهم الا سبعة .. وسليم ترك المنزل دون عودة. الليلة الاولى التي شاركها به امه وامها وامرأة القرية العجوز .. ثلاثة اشخاص وهي على السرير .. ينتظرون دليل الطهارة .. اللحاف الحديد المورد كالربيع .. كان يدفعها .. لم تنزل الى الآن تغطي نفسها به. اضحى مهترئاً ولم تستطع الوقوع والاضافات ان تخفي بعض الثوب فيه .. وو ... و ... عاد الوجه واخاديد الارض الى سطح الماء الجرة لم تمتلئ بعد.

- تعساً لك ياام سليم .. الوقت سيفوت وطفلك الرضيع سيبيكي وسيقوظ أباه بعد لحظات كانت تضع الجرة على كتف مهدودة وتعود شبحاً تتأكله أولى اشعة الشمس الوردية.

\* \* \*

دخلت المنزل المكون من غرفة واحدة وفسحة سماوية كبيرة واصطبل.

- آخ .. ياماما .. يا .. ماما .. ماما .. ما...

- لا تعرف كيف تسكت اخاك يا ابن الملعونة. لقد ايقظني من أحلى احلامي

- وحياتك يا أم نبيل .. لم أستطع الانتظار اكثر .. الا يكني تسعة ثيران؟! وتسللت بدلال وغنج وجلست على السرير وبحركة

مقصودة تركت ثوبها يسقط الى ذراعها معربا كتفا مثقلة.

- ولو .. اترى عشرة ثيران كثيرة علي؟! ..

- مال الدنيا كلها ليس كثيراً عليك .. ولكن ..

- عد اذن الى ام سليم فهي تناسبك اكثر

- قبحها الله لماذا تذكرها ..

واقتربت منه .. وهي تتأيل .. جف ريقه .. وبصعوبة استطاع ابتلاعه.

- كي تعرف الفرق .. بين اربع بقرات وعشرة ثيران .. ولو ..

لكل بضاعة من .. وبقفزة من الحلم هاهوذا ينقلب الى وحش. كان ابنها الذي لا يتجاوز السنوات السبع قد تكوم في زاوية الغرفة كصرة ثياب عتيقة تحت ركلات أبيه تحت هاتين القدمين الكبيرتين جداً ... كان يبدو عملاقاً هائجاً. أما بقية أولادها فقد تكوموا في زاوية الغرفة الاخرى .. ينظرون وهم يرتجفون .. ووليدها بحركة هستيرية وعانقته بتشنج دون أن تحاول أن تنفادى عدة ركلات على جنبها وكتفها. وعلا صوت زوجها:

- انت أم المشاكل .. دليته .. دليته .. يا حبيبي .. يا عين

أمك .. لن يكون أفضل من سليم ... ابنا البكر ..

وزجر وتغود بكلمات لم تعد تفهمها .. لم تعد تعي شيئاً أذناها طافحتان بعويل الطفل .. بنواح الصفصاف .. بلهثات الكتلة التي تضمها .. وتنفس الصعداء وهي تراه يعود الى فراشه .. ويتمدد على السرير الخاص به .. لكنه على حين غرة رفع وسادة ورمائها على الرضيع.

- وأنت الآخر .. ألن تسكت .. إذهبوا الى الجحيم ..

لم تعرف كيف للممت أطفالها وخرجت من الغرفة .. وهناك على المصطبة مضى وقت طويل ساد الصمت .. كانت تنظر خلاله



الى التراب.. الى شجرة التفاح التي لم تعد تحصل الى وجوه  
أطفالها وأقدامهم العارية، وجاءها صوت طفلتها كثغاء خروف  
صغير:

-ماما ألن تخيطي لي ثوبا جديدا

(ثوب جديد.. بالمصيبة) قفزت الفكرة في رأسها لكنها  
تابعت:

-اننا لا نملك نقوداً

واقتربت الطفلة منها وحدقت في اخوتها.. ثم الصقت شفيتها باذن  
أمها وهمست:

-لا يا ماما في جيب بابا الكثير من النقود.

نظرت الى طفلتها نظرة وجلة «كيف لا تعلم هذا وهي زوجته.. لم  
تجرؤ طوال عمرها ان ترى ما إذا كان زوجها يملك نقودا أم  
لا؟»

وتابعت الطفلة ببراءة:

-عندما كان نائما كنت أريد أن أتأكد هل نحن فقراء كما  
يقول دوما.. ولقد وجدت كثيرا من النقود في جيبه.

عبست الأم برهة فتابعت الطفلة بخوف وهي تتراجع مبتعدة عن  
وجه أمها:

-لكنني لم المسها يا أمي.. سمعت صريها فقط...

وفكرت: هل نحن فقراء.. ايه.. الرجل هو الذي يملك فقط..  
وبصقت على الأرض (اذهب وقل للأستاذ ان أبي لا يستطيع  
دفع ثمن الكتب...) جملة كالقدر تفوه بها الأب ذات يوم قبل  
ثمانية عشر عاما فحكم على ابنها الكبير البكر سليم أن يبدأ حياته  
الدراسية بنقل الكتب المقررة كلها على أوراق قديمة.

ثوب جديد.. يا اهي.. ولكن لا بأس هناك ثوب عرسها  
ستخيطه لابنتها، لقد ظلت محتفظة به طيلة السنوات الماضية ولم

تلبسه الا مرة واحدة.. ليلة عرسها.. سرعان ما قفزت الفكرة  
هاربة من رأسها.. لا.. انه سيجر الشؤم على ابنتها.. لن تورثها  
مثل هذا الكفن..

الاولاد جائعون.. أحضرت لهم قليلا من الخبز والزيتون..  
فتجمعوا حوله كخلية النحل يتخاطفون حبات الزيتون وقطع  
الخبز.. وجلست تنظر اليهم.. فجأة أحست بعضة طرية في  
ثديها.. مرت بيدها على قدميه.. آخر العنقود.. نعم.. انه  
لكذلك.. اذ يبدو لها أن عمرها لن يتيح لها أن تأتي بطفل آخر  
بعده.

\* \* \*

وضعت وليدها تحت شجرة تين بجانب الحقل. ووقفت تحزم  
خصرها.. ثم مشت نحو الحقل برفقة منجلها المشحود الذي  
سرعان ما أخذ بالتهام السنبال. كان أطفالها من بعيد يدون كبقع  
ملونة ممسوحة على سطح ذهبي.. وهي منحنية يضج حولها حفيف  
السنبال الجافة وهي تتكسر. أخذ الضجيج يتعالى.. ضجيج  
يشعرها بالجفاف.. كانت الشمس قد توسطت السماء أحست  
بتميع بطي في رأسها.. بعض الطيور البرية تخفق بأجنحتها  
فيترامى اليها الصوت شبيها بلهثات من يختصر رفعت يدها الى  
رأسها وأصلحت من وضع القياط السميك وعادت الى المنجل  
الذي تحسه الآن يحرق أصابعها. لم تعد ترى الا اللون الذهبي  
للسنبال وانعكاس أشعة الشمس عند حد المنجل.. والضجيج  
صار الآن مبهما.. ودون مصدر يتعالى ويغرقها..

من بعيد وفجأة جاءها صوت اعتادت ان تسمعه من عشر سنين  
-يا أم سليم.. يا.. أم.. سليم....

وحل بعد صمت خائق، رمت المنجل جانبا ووقفت وهي تلهث  
وتمسح حبات العرق بيدها الهزيلة فتترك آثار الغبار على وجهها  
الذي سرعان ما يتحول الى لطف سوداء. ومن بعيد كانت



-نعم.. هذا ما عرفته اليوم.. وأهل القرية يقولون أنه سيشتري الثور العاشر اليوم. وكأن أم سليم لم تسمع شيئاً من كلام حميدة الأخير.

-حقاً.. كنت اتساءل لماذا يعتني بالثيران ولماذا يشتريها.. وهي لا تفعل شيئاً سوى التهام العلف.. والله يا حميدة إنها تأكل أفضل من الأولاد ..

-قلت لك من زمان.. اكتبي له عند الحاجة حجاباً..  
-ولكن أنت تعرفين القصة.. لقد طلبت الكثير.. وأخيراً رضيت بصندوق الخشب الصغير كأجر لها.. واعطتني حجاباً مازلت أحمله.. ولكن.. ما الفائدة؟..

-استغفري ربك يا حرمة.. من لا يثق بالله لا يستفيد.. كل أسرة في القرية على ما يرام هي -.. ولو بحثت تحت قبص كل امرأة لوجدت حجاباً معقوداً..

-لن أذهب إليها ثانية ولو قطعوا رأسي.. وليذهب هو وأم نبيل الى الجحيم ..

-تقولين ذلك فقط.. الآن.. ولكن غداً.. عندما يتركك.. الأمر مختلف تماماً.. ثم لا تنسي نظرات أهل القرية.. لا تنسي أطفالك الخفاة العراة ..

-انه لا يفعل شيئاً على الإطلاق على أية حال.. ولكن..

صديقتها/حميدة/تتقدم نحوها.. بقعة سوداء تنمو بسرعة عجيبة في عينيها ..

-أين أنت يا أختي ...

-أهلاً حميدة ..

-وجلست حميدة على الأرض.. ورفعت عينيها الى أم سليم ..

-الله يا أم سليم.. من يصدق انك صرت هكذا.. ايه .. هذا هو العمر ..

-عمر نحس.. ايه... هكذا الرجال.. يمتصون الثمرة ثم يرمونها مسكينة يا أم سليم ...

تمتبت أم سليم في نفسها: الموضوع نفسه.. الاشاعات تدور في القرية حول محاولة أي سليم الزواج من هذه الأرملة ..

-وأنت حتى الآن ساكنة ...

-اياه.. وماذا استطيع أن أفعل؟..

-تغمضين عينيك والاشاعات تكبر ...

اقتربت منها وتابعت.. تريد عشرة ثيران كمهر

تمتبت أم سليم بوجوم: «عشرة ثيران»



انقطع بكاء الطفل منذ فترة ولم تعد تسمع الآن سوى صوته  
الخافت الشبيه بأنين قط ولد حديثاً.

وصلت الى البيت.. وضعت الطفل على المصطبة وذهبت لتسقي  
الثيران ..

وفي الاصل بل جمدت فجأة كان هنالك ثور أسود جديد..  
ولكن.. لا.. لا.. واحد.. اثنان.. خمسة.. ثلاثة واحد.. ولم  
تستطع العدّ.. نسيت تسلسل الأعداد تمتت: ثور جديد يعني  
ثورا عاشرا.

جربت أن تعدها مرة أخرى.. فاختلطت الاعداد بالدموع..  
-محمد..... يا محمد ..

وركض إليها

-ما عدد هذه الثيران يا محمد؟؟؟

وانطلق الطفل بخاس وابتسامة النصر على وجهه. لأول مرة أمه  
تسأله كما يسأله الأستاذ:

-واحد.. اثنان.. ثلاثة..... ثمانية.. تسعة.. عشرة..

عشرة ثيران يا أمي. وتهاوت على الأرض.. ورائحة الزبل والقش  
الجاف تملأ رئتيها.. وأخذت تبكي بصمت.

\* \* \*

حقاً.. الأمر مختلف. ارتفع صوت الطفل بكاء.. ذهبت اليه  
وحملته وهي تهدده.

-ثم ما أدراك أن الملعونة قد كتبت له؟؟

هزت أم سليم كتفيها.. وجلست على الأرض.. ومالت على  
الطفل ولم تنبس ببنت شفة ..

وتابعت حميدة:

-انه كالحاتم في أصبعها.. ويجب أن تدبري أمرك.. فالأمر  
سيكون أسوأ مما هو عليه. تعالى بكاء الطفل.. ولفظ ثديها.  
امتدت يدها ولمست جبينه.. أحست بلسعة.

-يا الله.. يبدو أنه مريض ..

-طبعاً مريض.. نحن الكبار لا نستطيع احتمال هذه  
الشمس.. الله ما اسعد نساء المدن يا أم سليم.. انهن يضعن  
القبعات.. ويركبن السيارات ونحن هنا لا نستطيع ركوب حمار..  
والله لن أزور المدينة مرة أخرى ..

\* \* \*

كانت على موعد مع الشمس. الشمس ساعتها، عندما تقترب  
من التلة الغربية تحزم ما تبقى من السنابل.. وتضعها جانباً.. ثم  
تحمل طفلها وتعود الى المنزل.



جلده... كان حاراً كجبين طفلها، كان ينظر إليها بعينين واسعتين متألفتين، والى عينيها تحول برهة إلى أشعة شمس مجهولة تنعكس على حد المنجل ركضت بحنون.. وكان يتابع الاجترار وينظر إليها.. وهي تركض.. وهي تمشك بالمنجل.. وهي تشعذه تلمس طرفه.. الحصاد.. الحصاد.. وصحكت.. يا للحصاد.. ذهب السنايل يتحول الآن إلى فضة جنازية إقتربت منه فأغتمض عينيها بهدوء.. ثم عاد ففتحها.. لمست قرنيه.. جلده.. عبقه الضخم الذي تحول أمامها إلى سلق سنبلة.. وعاد ضحكها.. ضحكها.. ملأت عينيها مساحته السوداء فلم تعد ترى سواه.. رمت بالمنجل فوق القش.. وجلست تنتحب... ماذا يفعل المنجل أمام هذا القدر الجائم أمامها والذي يجتر؟ القدر الذي لا تراه الآن سوى مساحة سوداء ولا تسمع إلا صوت اجتراره؟؟؟

ركضت.. ولم تعرف أين... داخل الاصطبل كالجحونة... ركضت دون أن تعرف أين... وصارت فضة القمر حولها بحرا هائجا.

\* \* \*

تخاذلت يداها بعد الضربة التي أودعتها قوتها كلها.. وسقط الفأس على الأرض فجأة وتدفق الدم غزيراً فوقها وبين قدميها.. وتخطب الثور الأسود يتشنج ثم همد فجأة بلا حراك وابتعد قرنه عن بعضها لأول مرة.. وانتعدت عيناها لأول مرة.. مسافة طويلة تفصل بينهما خمسة أشبار.. وبدا العظم واللحم ممرغين بالدم.. داخل الشق الذي فصل الرأس كالتفاحة.. ظل عنق الثور سليماً.. وما بين المنخار وقمة الرأس كان الشرخ العميق الذي قسم الجبهة يلخص حياتها أمامها.. حياتها التي لم تكن إلا شرخاً انفتح فجأة... ثم بدأ يتشقق أكثر.. وعلى مهل..

ظلت عيناها مفتوحتين تحديقاً فيها من زاويتين مختلفتين... غاصت قدمها بالدم انها تغرق في هذا السائل الأحمر اللزج.. تغرق.. تغرق...

آ.. وبدأ يعلو صوت ضحكاتها الجحونة.. وانطلقت كشبح مسعور في أزقة القرية تهمهم أحياناً.. تصرخ أحياناً... تغني أحياناً:

لقد كنت شرخاً  
فلتكن أنت الثور العاشر.

في المساء لبس زوجها ثيابه بعد أن غسل وجهه ويديه بعناية.. سرح شاربيه ووضع طربوشه الجديد.. وعلق الساعة الفضية بصداره.. وبالرغم من أنه لا يستعملها إلا في المناسبات الرسمية جداً فهي تعطلت منذ زمن بعيد.. وجمدت عقاربها منذ سنين..

كانت تتأمل بصمت وهي تهدد الطفل الذي لم يعد يبكي..  
-الطفل مريض يجب أن نأخذه إلى الدكتور غداً.  
-ليذهب إلى الجحيم.. ليس معي نقود لأنفقها على أولادك المرضى.

-لقد أثرت حرارة الشمس عليه..

انطلق بضحكة قبيئة وتابع:

-حرارة الشمس أم المثل القائل: القشة لا تثبت زهرة؟

ساد صمت مدمر بعد إغلاقه الباب.

جميع أولادها الآن نائمون متناثرون في أرجاء الغرفة، عيناها فقط مفتوحتان تحديقان في خشب النافذة الصغيرة.. في أعمدة السرير الفارغ..

سيذهب إليها.. سيقضي الليلة عندها.. ترى.. ترى هل يضربها؟؟ وأحست بأعصابها تجف شيئاً فشيئاً.. عشرة ثيران.. وهو سيكون ثورها الحادي عشر.. الثور المدلل الذي يشاركها غرفتها الثنتي عشرة ثيران مستخدمهم في حرارة الأرض... في نقل الماء من السواقي.. إلا يكفها عاها العديدون الذي تشتريهم بثمان بخس وتضيف إليه ابنتها وعينها؟؟؟؟

لم تستطع النوم مطلقاً.. كانت عيناها فقط حومان في العتمة.. وأذناها تسمعان حركة الثيران في الاصطبل وتلمس أولادها.....

-ستفعلها.. ستفعلها أخيراً.. إليها.....

تمتمت بذلك ونهضت من فراشها.. ففك تراءى لها فجأة شروق الشمس.... ومازال سرير زوجها فارغاً عليها أن تذهب برفقة منجلها للحصاد.. لكنها ما أن خرجت من العتبة حتى فوجئت عيناها بعنمة لا حد لها بالرغم من بصيص القس الذي يتأرجح بين أغصان شجرة التفاح الهرمة....

مشت كالمسجورة نحو الاصطبل.. وفتحت بابه على مصراعيه.. وأحست بتدفق النور الفضي على جلود الثيران الملونة وحول فجأة الثور الأسود أمام عينيها إلى ثور فضي مسحور... لا ريب أن أم نبيل تحمل حجاباً، إقتربت من الثور ولمست





# .. وأحلام الجوع

بقلم: د. محمد نبهان سويام

اللازمة ، كما يجب احتواء الوجبات على الدهون والزيوت كذلك تحتوي على البروتينات مثل اللحوم والبيض واللبن حتى يتمكن الجسم من بناء خلاياه الحية ، كل ذلك إلى جانب الماء والفيتامينات والأملاح المعدنية .

وقد استطاعت بعض الدول تحقيق إكفاء مواطنيها من الغذاء الصحي ، بينما حالت ظروف وعوامل متعددة دون تحقيق ذلك الهدف في دول أخرى ، وتداعت الأمور فيها لدرجة أوصلتها إلى حافة الجوع وأحياناً إلى قلب المجاعات ، بحيث لا يتعدى غذاء كثير أو معظم مواطني هذه الدول . . بعضاً من النشويات والحبوب .

إن العالم على هذه الصورة انقسم إلى النقيضين ، شعبى متخمين من الطعام ، وجوعى يتضورون جوعاً . . ولا يندى جبين الإنسانية اليوم - للأسف - من تعاظم أعداد الجائعين يوماً تلو الآخر وسنة بعد سنة ، وكأنه لا بارقة أمل في إنهاء هذه الوصمة .

## خطر الجوع على التوازن الاجتماعي

البطن الجائع . . لا يشك عاقل في ضحائه ، ولا يسد رمق صاحبه ، ولا يكفي متطلبات كيانه الإنساني على مواجهة الحياة . . يتحول صاحبه ، بالضرورة والاجبار الذاتي ، إلى إنسان عاجز عن التفكير السوي ، وعن تقديم نوايا الخير على بوار الشر ، فالغذاء ليس حاجة بيولوجية فقط - بل - أسلوب اجتماعي ينتظم به الفرد في عقد المجتمع ، ومتى تحققت احتياجات الإنسان الأساسية من الغذاء ، فإن الإنسان يعمل وينتج ويمنح ويزاول أنشطته البشرية بكفاءة واقتدار . أما الجائع فلا يحمل على كتفيه وفي أم

الإمام علي كرم الله وجهه سبق الفكر العالمي المعاصر وفلاسفته وعلماء اجتماعه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، عندما أدان الفقر كأحد أخطر الأمراض الاجتماعية المتفشية في كل العصور ، والإمام من خلال نظريته الثاقبة ورؤيته الشفافة وفهمه العريق للمشاكل الإنسانية . . استطاع بلورة جوهر المشكلة في كلمات حاسمة تحمل من المضمون ما تعجز عنه صفحات المجلدات وأمهات الكتب ، ففي بساطة شديدة وفي كلمات موجزة صارمة ، قال الإمام : « لو كان الفقر رجلاً لقتلته » ، وهي قولة صدق ومرادف حق ، فالفقر بلا ريب بؤرة الخطر ، ومنطلق الاغلال النفسي والخلقي والاجتماعي في كل المجتمعات الإسلامية كانت أو غير إسلامية العقيدة .

إن قسوة الفقر وشدة الحاجة تبدو أول ما تبدو في عجز الإنسان على إكفاء نفسه وعائلته مغبة الجوع ، حقيقة لا سبيل إلى نكران استطاعة الفقراء شراء قدر من طعام ، لكن من قال إن كل الطعام يصلح للتغذية السليمة . فالآلة الإنسانية - إن صح التعبير - هي أعقد الآلات قاطبة إذا أعملنا إليها نظرة من زاوية الوقود أو الغذاء التي تستهلكه . السيارة مثلاً تحتاج إلى البنزين ولا سواء ، والطائرة تستهلك نوعاً محدداً من الوقود دون غيره . . وكل آلة اخترعت لها غذاؤها المنفرد ، أما الانسان فإنه يحتاج إلى مائدة متنوعة ، لا يشترط أن تكون مائدة حافلة عامرة بأطيب وأشهى المأكولات ، لكنها على الأقل تحتوي على أنواع مختلفة من الأطعمة حددها علماء التغذية وطالبوا كل الناس بتناولها يومياً بكميات معلومة ، حتى يتمكن الإنسان من تأدية وظائفه الحيوية بما يتناسب مع نوعه . . وعمره . . وعمله الذي يؤديه .

ويفترض علماء التغذية احتواء الوجبات الصحية على مواد الكربوهيدرات مثل النشويات وذلك لامتداد الجسم بالطاقة الحرارية



من وفرة الغذاء إلى الندرة ثم ندرة الندرة ، بحيث تحول فائض الأغذية إلى سلاح في يد من يمتلكونه أشد فتكاً من القنابل والثيران ومختلف الأسلحة .  
وتقص علينا كتب تاريخ الأحداث الكبرى في العالم ، أن مشكلة الجوع ليست حديثة العهد ، ولم تفاجئ الناس ، فقد سبقتها مجاعات في سنوات متعددة ، لكن مشكلة اليوم سعت إلى العالم سعياً حثيثاً حتى أحاطت بالقوم فأصابتهم بلباس الجوع والخوف .

والحق يقال إن قدرة الانحجاب تنطلق اليوم إلى مداها بخطى مسرعة مثلما تنطلق سيارات السباق ، بينما قدرة الإنتاج الزراعي تسير الهولنا مثلما تسير السلحفاة ، ومن هنا لا يجوز بخاطر أي منا أن هناك توازناً آت ، بل على النقيض سيظل الجوع مسيطرأ على دول كثيرة لم تكبح جراح تلك السيارة المتطلقة على هواها حاملة على مقدمتها لافتة « مزيداً من الانحجاب .. مزيداً من الجوع » .

والواقع أن البحث العلمي أثبت بما لا يدع مجالاً لقول آخر أن معدلات زيادة السكان تسعى على هيئة متوالية هندسية تمثلها الأرقام ( ٣٢/١٦/٨/٤/٢/١ ) ، بينما الإنتاجية الزراعية تتبع من تقدمها متوالية عددية بسيطة بطيئة الحركة تمثلها عددياً ( ٦/٥/٤/٣/٢/١ ) ، ويبدو الفارق مريعاً بين الترددين ، ومهما كان القارئ على درجة طيبة من التفاهل ، فلأسف في الهندسة والرياضة لا تبالي الأرقام بحالات النفس الإنفعالية .. ومن ثم سيظل الجوع مطلاً بوجهه المشوه طالما استمرنا سير المعادلتين والمتواليتين .

وننتقل من المتواليات إلى الأرقام وتذكرنا الإحصائيات بأن سكان العالم عام ١٩٣٠ م ، لم يتجاوز ملياري نسمة ، وفي عام ١٩٦٠ م ، بلغ إجمالي السكان ٣,٥ مليارات نسمة ، وفي عام ١٩٧٥ م ، قفز العدد إلى حوالي ٤,٢ مليارات بزيادة ٧٧ مليون فرد عن تعداد عام ١٩٧٤ م ، وينتظر أن يصل عدد سكان الأرض إلى ٧ مليارات نسمة في غضون عام ٢٠٠٠ م . وتذكر إحصائيات منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة أن عالم اليوم لم يحرز تقدماً في الإنتاجية بنفس المعدلات كما أن الإحصائيات تضم بين دفتها

رأسه سوى فكر شرس ، وعقل مشوش ، ولا يرى له في الحياة من هدف سوى الحصول على الطعام مهما سلك من مسالك وعرة ، وطرق من سبل خطرة . إن عقل الجائع وقلبه تغلفها سحابة ضبابية من الحقد الأسود تحيط بهما أيما احاطة ، ولا يقدر على الفكك منها ، لا يرى إلا من خلالها ، ولا يتعامل مع مجتمعه إلا عبرها .. دائماً تسبق يده عقله ممتدة بالاضرار والضرار .. سرقة .. قتل .. عنف .. لا تعقل ، وكيف السبيل إلى التعقل وصرخات بطنه تطارده والصداع في رأسه يكاد يصم أذنيه .

ومأساة الجوع اليوم ليست محدودة الساحة ، بل تنتشر في العالم قاطبة ، وتعمل على تغيير كثير من ركائز الإنسانية الحميدة ومعتقداتها السمحة وأخلاقها الراسخة . وتهب المأساة كريح السموم .. تحمّل الجوعى إلى عصف مأكول ، ويصرخ أهل الجوع في أهل التخمة .. لكن لا مغيث ولا مجيب .. الكل في غيهم يعمهون .

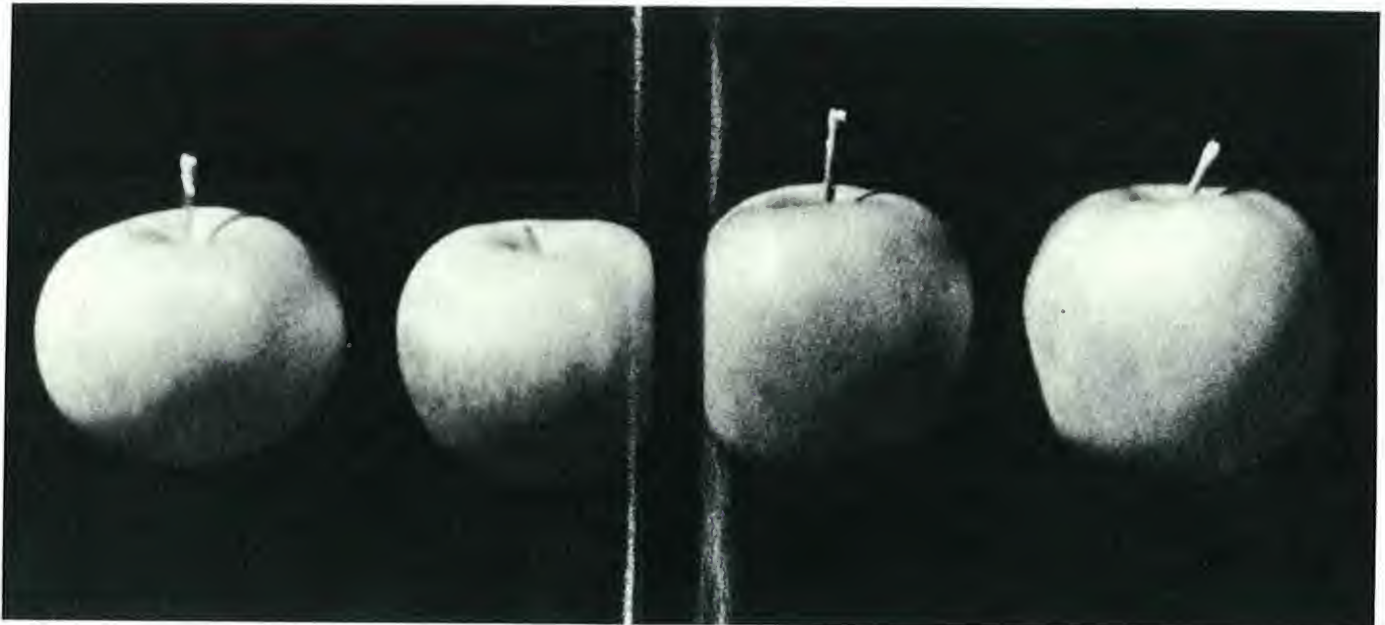
### سبب الجوع العالمي

إن سبب الجوع العالمي أمر ليس سهل تناول ، ويمكن وصفه أو الوصول إليه في كلمات موجزة ، بل الأسباب كثيرة ومتشابكة ومعقدة الجوانب والأطراف . وربما يقع الإنسان في حيرة من أمره عندما يتطلع إلى حال الدنيا وأحوال الجياع .

هل يرجع الأمر إلى سوء توزيع الموارد المتاحة أم إلى سفه الاستهلاك العالمي ؟

فليس من المقبول أو المنطقي في هذه الأيام ، أن حوالي ٦٨٪ من جملة الإنتاج العالمي يستهلكها ترفاً ١٨٪ من سكان العالم ، بينما ٨٢٪ من أهل الأرض لا يتناولون سوى ٣٢٪ من خير هذه الدنيا . أهذه هي المشكلة في نطاقها العام ، أم إنها في جوهرها عبارة عن محصلة الصراع غير المتكافئ بين زيادة السكان وبين قدرة نفس هؤلاء السكان على الإنتاج عامة والإنتاج الزراعي بصفة خاصة ؟ .. وعندما فشلت الجهود في تحقيق نوع من التوازن بين عاملي الصراع طغت مشكلة الجوع ونقص الأغذية المتاحة ، وتحول العالم

★ استخدام هرمون الجيرالين في زيادة حجم ثمار التفاح ★





مفاجآت غير سارة .. وكيف يكون السرور وهناك ٤٥٠ مليون جائع ، وأكثر من ٢٠ ألف إنسان يموتون جوعاً كل يوم !!..

### جغرافية الجوع وسبب جوعهم

يتفرد العالم الثالث دون غيره من بقاع العالم بكونه مركز الجوع في العالم . فبينما استطاعت الدول المتقدمة السيطرة على معدلات الانحباب والانطلاق في الإنتاج مسلحة بالعلم والرغبة على التطوير في مجالي الزراعة والري .. اليابان مثلاً ، رفعت إنتاجية فدان الأرز من ١/٣ طن إلى ٦ أطنان ، دولة صغيرة أخرى في الشرق الأوسط ضاعفت إنتاجها الزراعي في خلال ٢٥ سنة ثماني مرات ، بينما في معظم دول العالم الثالث حدث العكس تماماً ، وأضحى المسألة تعزى إلى اعتماد هذه الدول على الدول المتقدمة لمدادها باحتياجاتها الغذائية .

والحال لم يكن على النحو السابق منذ بضع وثلاثين عاماً ، فقبل عام ١٩٤٠م تولت مزارع دول العالم الثالث امداد الدول المتقدمة بكل ما تحتاج إليه من حاصلات الحبوب . ومنذ عام ١٩٤٨م ، تحولت موافء التفرغ بالدول المتقدمة إلى مراكز شحن للأغذية والحبوب المصدرة إلى دول العالم الثالث ، ففي هذا العام حملت السفن حوالي ٤ ملايين طن من الأغذية ، وفي عام ١٩٦٤م تم شحن ٢٥ مليون طن ، وفي غضون عام ١٩٧٢م تعدى المصدر من الأغذية أكثر من ١٠٠ مليون طن ، مما دعى أحد المفكرين الأميركيين إلى القول : « لقد فقد العالم الثالث قدرته على تغذية نفسه » . ويبقى السؤال الوارد .. هل زيادة النسل هي أم الداء وسبب البلاء .. أم هناك عوامل أخرى تزكي نيران المسألة ؟ والاجابة نعم هناك أسباب نعرضها في تركيز شديد في النقاط التالية :

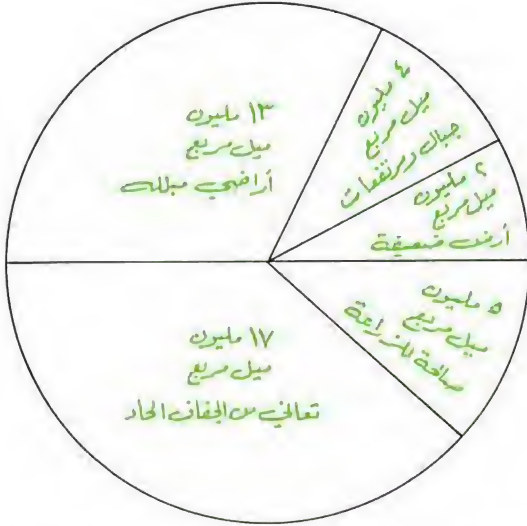
● تقلص الإنتاج الزراعي كرد فعل مباشر نجم عن تفتيت الملكية الزراعية ، وسوء وتحلف أساليب الزراعة المستخدمة مع ما صاحب ذلك من سوء تخزين الحاصلات . وقد قدرت بعض الإحصائيات جملة الفاقد من محصول الأرز في دول العالم الثالث - نتيجة سوء التخزين - بما يكفي تغذية سكان أميركا لمدة عام .

● استمرار مزارعي العالم الثالث في زراعة أنواع رديئة وسلالات سيئة من البذور مع تعرض المزروعات دوماً للآفات الزراعية والمهجمات الحشرية . ● استهلاك غير اقتصادي لمياه الري مع تحلف شديد في وسائل الصرف . ● ترتب على زيادة السكان محاولة بعض الدول للحاق بركب الصناعة على حساب الزراعة ، تحت دعوى تطوير البيئات الزراعية وتصنيعها . وقد استطاعت بعض دول العالم الثالث تحقيق الهدف من خلال خطة واضحة المعالم تهتم بالتفاصيل الدقيقة قدر اهتمامها بالخطوط العريضة ، لكن كثيراً من الدول فشلت في تحقيق الهدف ، وتحول الأمر إلى داء المظهرية - أنكى أمراض العالم الثالث - وأضحى المحصلة اعتداء سافراً على الأرض الزراعية وإقامة مبان ومنشآت تصلح فقط في التصوير الدعائي . وقد صاحب هذه المرحلة هجرة العمال الزراعيين وتركهم الحقول والمزارع ، وتحولوا إلى عمالة دون المدربة في مجالات الصناعة ، مما أثر على إنتاجية الأرض ، وأضحى العمال الجدد عبئاً ثقيلاً على الصناعة ذاتها ولم يحققوا شيئاً ذا بال . ويرجع سبب فشل هذه المشاريع إلى تطلع مخططيها إلى الأحلام أكثر من النظر إلى أرض الواقع ، وتوهمهم مقدرتهم على استعواض الأرض الذبيحة باستصلاح أراض جديدة

من الصحراء - وهو أمر لا تقدر عليه دول كثيرة - ومن ثم تصاعدت أسعار المنتجات الزراعية .

● زحف الصحراء على الأراضي الزراعية في الدول النامية نتيجة عوامل جوية وطبيعية غير مواتية .

● ندرة الأراضي الزراعية عالمياً وعلى الأخص في دول العالم الثالث ، حيث تقع معظم دول العالم الثالث في مناطق صحراوية أو مرتفعة أو بعيدة عن مصادر المياه ، وشكل (١) يوضح توزيع الأرض الزراعية عالمياً .



● مجموع ٤٤ مليون هكتار من الأراضي تقع في المنطقة الحارة التي تلائم الزراعة ● شكل (١)

● غطية الإنتاج الزراعي وعدم اقتحام مزارعي العالم الثالث مجالات جديدة أو صناعات زراعية برغم توصية منظمة الأغذية والزراعة بأنه يتحتم على دول العالم الثالث تغيير العادات الزراعية حتى يتقبل سكانها نوعيات جديدة من الحاصلات .

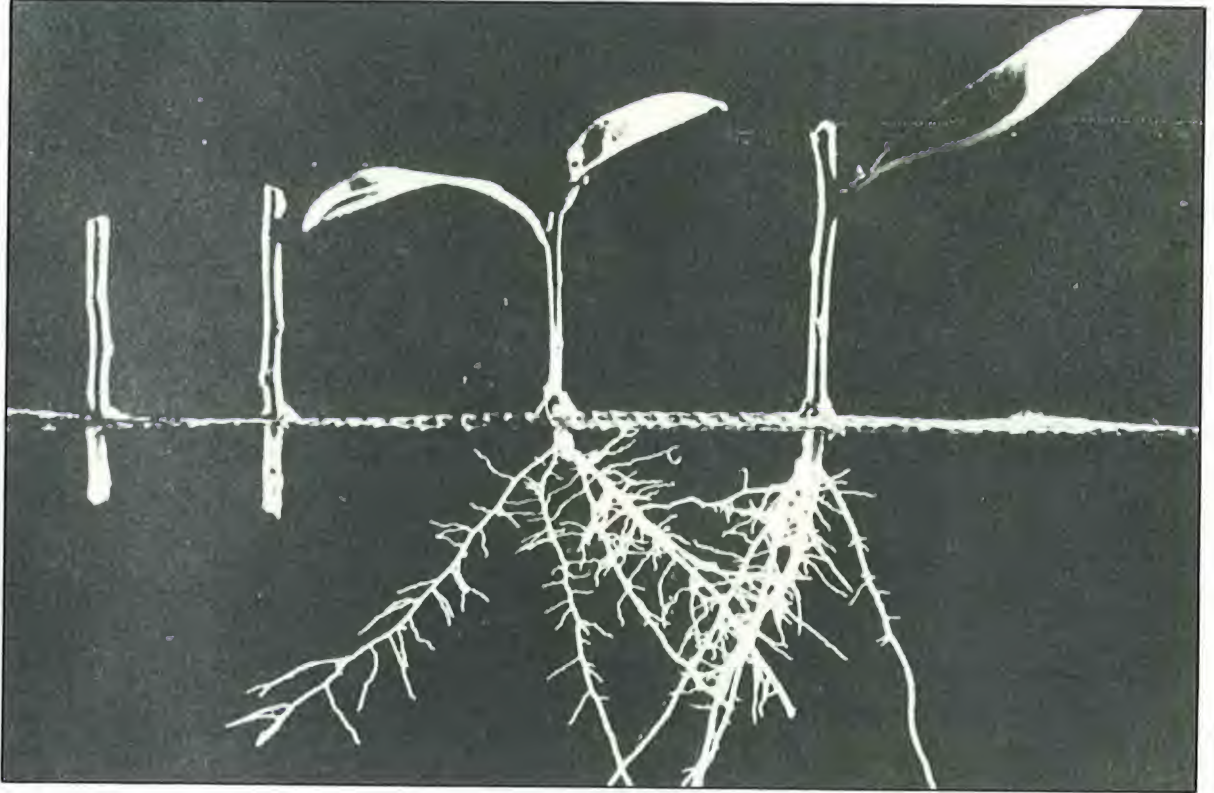
● كل العوامل السابقة بالإضافة إلى عوامل جديدة برز تأثيرها السيء في غضون السنوات الأخيرة ومن هذه العوامل تلوث البيئة ، وعن هذا يذكر المهندس أحمد عبد الشافي البدوي - في دراسته عن التلوث - أن اعتماد الزراع اعتماداً مكثفاً على الكيماويات والمبيدات بالإضافة إلى التلوث المهاجر مع الهواء والماء ، كلها أثرت بشدة على إنتاجية المزارع والحقول .

إن حزام الجوع في العالم الثالث يجب كسر حدته مهما بذل من جهد ، فلا يكفي أن نمضغ القول الذي شاع يوماً بأن جوع العالم الثالث سيؤثر بشدة تأثيرات سيئة على رفاهية الدول المتقدمة ، ولهذا سوف تتسابق الدول المتقدمة على منح مزيد من المعونات والهبات الغذائية ، .. خيالات هذه أم دعوى الأحلام وأفكار الغيبوبة ، وما حدث يناقض تماماً ما تخيله القوم ، فقد أحكت الدول المتقدمة قبضتها على حاصلاتها ، ورفعت من أسعارها ، واعتبرت فائض الغذاء قوة ضغط وسلاح ذو فاعلية في ردع من يعصي لهم أمراً .

ونحمد الله تعالى أن الدول العربية - والتي تقع في قلب العالم الثالث - لا تتخدر بمثل الدعاوى السابقة ، فالأمة العربية تحاول اليوم جاهدة زيادة



★ نجارب  
على  
الزراعة  
بدون تربة  
ونجاح  
الهرمونات  
في  
زيادة  
سرعة  
إنماء  
الجذور  
والأوراق ★



طاقة الشمس تبدأ الصناعة عندما يلتقي الغاز مع ما تمتصه الجذور من ماء الري ، وتبدأ العجائب والغرائب ، وهي لا تتم في مباني شاهقة أو تحت سقوف مصانع ضخمة .. بل وتم من الأوراق أعجب تكنولوجيا في العالم . هناك تلهو الخلايا الحية بالغاز والماء فإذا بالسكر يتكون ، ثم تزداد أعمالاً في جزئياته فإذا بالسكر يصبح نشأ ، وإذا تمادى النبات في غيه تحولت النشويات إلى ألياف مثل القطن أو التيل .

وبعض النباتات هواها العبث بغاز النيتروجين - أسأل عنه كل معارفك سوف يقولون عنه إنه غاز خامل حير العلم وأهل الكيمياء سنوات وسنوات - فإذا بالنبات عندما يمتصه من التربة يدفعه إلى خلاياه الحية ، وهناك يتحرر من خموله ، وي طرح كسله جانباً ، وتندمج ذراته في تفاعلات مبهرة مع ذرات الكربون وعنصري الماء ، وترسب البروتينات النباتية في تسلسل علمي مذهل لم يدرك العلم شأنه إلى اليوم .

وسبحان الخالق الأعظم قولاً وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون .

وهذا التنوع المبهر في الحاصلات الزراعية ما بين غذاء وكساء جعلت كثيراً من العلماء يقولون « إن النبات عباد حياتنا وحياة أولادنا وأسلافنا إلى ما شاء الله .. ربما يجد العلم أغذية صناعية أو بدائل غذائية لكن يبقى عطاء الخالق للإنسانية عبر النبات شيء لا يحارى ولا يقدره حق قدره إلا ذوو الإدراك السليم والإيمان المطلق ، لكن على الإنسان أن يعمل عقله وبذله جهده في تطوير ورعاية ما وهبه الله لعل في ذلك مخرجاً للعالم من أزمتها الطاحنة وابعاد شبح الجوع عن الناس ، وليس للتطوير من أدوات سوى أدوات العلم والعلم ينظر للزراعة » .

الرقعة الزراعية ، في مصر يخططون لاضافة أرض جديدة تقدر بحوالي مليونين وثمانئة ألف فدان ، وفي السودان يمكن زراعة ٣٨٥ مليون فدان ، وفي السعودية تجري عمليات الاستصلاح على قدم وساق في مناطق أبها وجيزان وحول المدينة المنورة ، وفي العراق يمكن زراعة عدة ملايين من الأفدنة والارتقاء بالإنتاجية رأسياً في الأراضي الحالية ، وفي ليبيا وتونس تقام مشاريع زراعية كبيرة . وكفى القول إن ميزانية وزارات الزراعة العربية قفزت إلى أرقام فلكية . فوزارة الزراعة بالمملكة العربية السعودية مثلاً ، زاد الاعتماد المخصص لها من ١٤ مليون ريال عام ١٩٥٤ م ، إلى ملياريين وأربعمئة مليون ريال عام ١٩٧٦ م .

### لماذا نحتاج إلى الزراعة ؟

النبات هو مصدر الغذاء والكساء للإنسانية بكل شمولية المعنى . ومن أجل ذلك الهدف المنتظر خلق الله تعالى النبات متفوقاً على الإنسان والحيوان باستطاعة تكوين غذائه من عناصر بدائية ، مع خزن الفائض عن حاجته في مناطق مختلفة من جسمه مثل الجذور أو السيقان أو الأوراق أو البذور والثمار . ومن هذه المخازن يعد الإنسان أكله وينال الحيوان عليقته معطياً اللحم واللبن أو تقدم أعلافاً للدواجن فتربو لحماً وتنتج بيضاً ، ومنها أيضاً يستمد الإنسان البروتينات الحيوانية والدهون .

وتعتبر صناعة النبات للغذاء إعجازاً ما فاقه إعجاز آخر ، ولولا أنها صناعة تتم بقيس من روح الحق سبحانه لما صدقها العقل أو أجازها العلم برغم عجزه البالغ حيالها . من يتصور أنها تبدأ من نفاية - نعم - نفاية الإنسان في زفراته ، ونفاية عوادم السيارات ، ونفاية غازات الاحتراق .. هذه النفاية يسميها العلم غاز ثاني أكسيد الكربون ، يمتص النبات هذا الغاز ويفضل



## أولاً : النبات يطلب الغذاء

النبات الجائع كالآدم الهزيلة عندما تنجب تعطى وليدأ معتل الصحة ، ضعيف البنیان ، كذلك النبات الجائع لا يحدد منه شيئاً يذكر ، أو محصولاً يقدر ، ولا يدر عائداً ، ولا يطعم أفواهاً .

وصحة النبات وغذائه السليم دفعت العلماء لاقتحام الساحة ، ولم يعامل أهل العلم النبات باعتباره جاداً - كما تقيمه علوم النحو واللغة - بل نظروا إليه كطفل صغير ، وكائن حي ، يجب أن يحظى بالرعاية وأن يحاط بالعناية ، فإلى جانب التربة الصالحة يجب أن تقدم له وجبة غذائية غنية بعناصر معدنية لا يقل عددها عن ٦٠ عنصراً إلى جانب ماء الري .

وقد كشف العلم عن ثلاثة عناصر هي بالقطع الفرسان الثلاثة في الزراعة ، ما استجار بهم زارع إلا هبوا لنجدته ، واصلاح زراعته ، وتقويم نباتاته . والعناصر الثلاثة تتواجد في التربة الزراعية البكر ، ويستنزفها النبات دورة تلو الأخرى ، ويتحتم تعويض الأرض عنها . والفرسان الثلاثة هم عناصر الفوسفور والنيتروجين والبوتاسيم . وبدونهم لا تصلح زراعة ولا تنمو جذور إلا وهناً على وهن ، ولا تحصد ثماراً .

ويؤكد العلماء أن اختيار السباد المناسب - لظروف الأرض الطبيعية والظروف الجوية وحالة ونوعية المزروعات - يؤدي حتماً إلى رفع الإنتاجية بحوالي ٥٠٪ ، وإن أمكن بتحديد أدق للمتطلبات الغنية للسباد الارتقاء بالإنتاجية إلى ١٠٠٪ .

## ثانياً : طرائق علمية في شؤون الري

وقفت مشكلة عدم توفر المياه الصالحة للري حجر عثرة حيال الامتداد الأخضر في العديد من دول العالم الثالث ورغم وجود مساحات ممتدة من الأراضي الجيرية والرملية الصالحة لزراعة أنواع غير نمطية من المزروعات مثل البرسيم الحجازي دائم الخضرة ، ولو توفر الماء لصلحت هذه الأراضي ووفرت أعلاف للمواشي ، وبذلك تدخر الأرض الممتازة في إنتاج نباتات الغذاء والخيوط .

كذلك اكتشفت كثيراً من الدول - نتيجة دراسات التصوير الجوي بالأقمار الصناعية والتصوير الإشعاعي والحراري - توفر مساحات ممتدة من الأراضي الزراعية الجيدة ، ومن أجل استزراع هذه المساحات أحكمت الدراسات على توفير ما يمكن توفيره من الماء الصالح ، وجرت محاولات جادة لادخال النظرة العلمية على الري والصرف للمحافظة على كل قطرة ماء .

ولم يبخل العلم بالجهد واقتربت عديداً من البدائل منها تحلية ماء البحر ، وهي طريقة عرفها العرب القدماء ومارسوها طويلاً ، وعن هذا يقول سمو الأمير محمد الفيصل ، في حديثه لمجلة العربي عدد ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٦ م :

«لقد عرف العرب القدماء تحلية ماء البحر منذ فجر الدولة الأموية ، فقد جاء في مخطوطة بتاريخ ابن عساكر : كان خالد بن يزيد عند عهد الملك بن مروان فذكروا الماء ، فقال منه من في الساء ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعد به الرعد والبرق ، فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات ، وأما النبات فما كان من الساء . وقال إن شئت أعدبت ماء البحر . قال : فأمر بقلال من ماء ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب» .

وتحلية ماء البحر واستغلالها في الري طورها العلم تطوراً كبيراً ، وأوضحت تكنولوجيا متقدمة تفرشها على أرضها اليوم عديد من دول العالم وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية ، حيث ينشئ بها شبكة ضخمة من محطات التحلية تتكلف عدة بلايين من الريالات . وفي مصر تجرى الدراسات اللازمة لإنشاء محطة تحلية ضخمة لامتداد الساحل الشمالي بماء الري اللازم لمشروعات الأمن الغذائي بهذه المنطقة في محاولات لد الخضرة الدائمة على أراض قليلة الجودة .

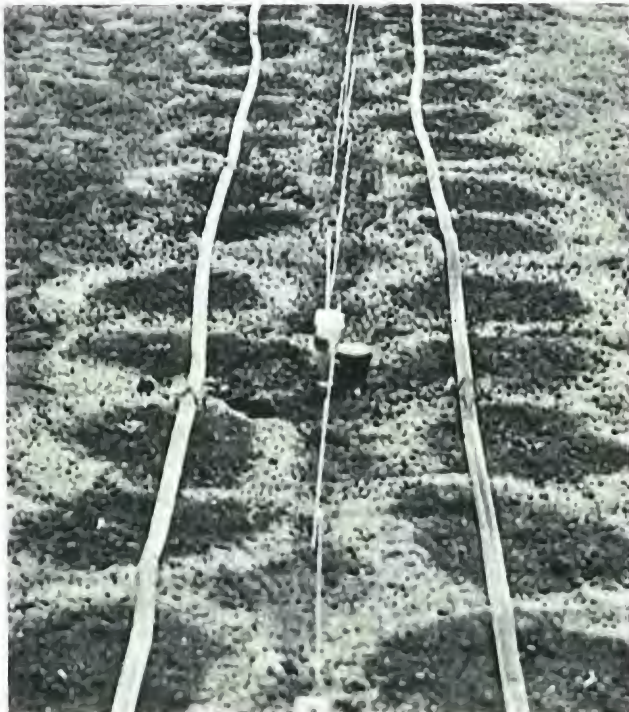
ومن أهم الحلول التي اكتشفها العلم بمحض الصدفة منذ حوالي ٤٠ سنة ، ثم شذبتها قوانين العلم وضوابطه وعرفت عالمياً بالري قطرة قطرة ، وبدأت دول كثيرة في تنفيذها على مساحات تجارية في بادئ الأمر ، ثم اتسع نطاق التجارب وشملت ألوفاً من الأفدنة كما يتضح من الجدول التالي ، الذي استقيناها بتصرف عن مجلة العلم الأمريكية :

الدولة	المساحة في عام ١٩٧٥ م	الحاصلات والزراعات القائمة
الولايات المتحدة	١٣٤,٠٠٠	الفواكه - الخضرة - الليمون المكسرات
استراليا	٤٣,٠٠٠	الفواكه - الخضرة - الليمون
جنوب إفريقيا	١٨,٠٠٠	الفواكه - الخضرة - الليمون
المكسيك	١٤,٠٠٠	الفواكه - الخضرة - الليمون الزيتون
إنجلترا	٤,٠٠٠	الخضروات - الزهور
فرنسا	٣,٠٠٠	الخضروات - الزهور
إيران	٢,٠٠٠	الزهور - الفواكه
الدول العربية*	-	-

\* لم تذكر الدول العربية في الجدول المنشور بالمجلة الأمريكية .

والري قطرة قطرة تتلخص فكرتها في تمديد مجموعات من الأنابيب

\* مزراعة نسق بطريقة ، قطرة - قطرة \*





★ تأثير بعض  
الهرمونات  
على سرعة  
إنحاء  
نبات الفاصوليا ★

★ دائماً تنجح الهرمونات في زيادة النمو ★



إمكانية الري بماء البحر ، والثانية إمكانية استزراع الأراضي المالحة . وكانت ومضة ذكية برقت في عقل الرجل فلم يتركها تمر ، وتفزع الدكتور ع . ايبيشتين لهذا الحلم تفرغاً كاملاً ، واستطاع استنباط ١٢ نوعاً من الشعير استطاعت أن تصمد في مواجهة الظروف الملحية الشديدة ، والشعير المستنبط هو حصيلة التجارب على ٦٠٠ نوع من الشعير تم استيرادها من كل أنحاء العالم .

وتشير النتائج المنشورة إلى نجاح محدد في زراعة الطياطم ( البنادورة ) ونجاح شبه مؤكد في زراعة القمح . . وبهذا فتح العلم باباً للري لينهل الإنسان من ماء البحر ما شاء ليروي زراعته الجديدة التي أفصدها العلم ، أضف إلى ذلك احتواء ماء البحر على عناصر التغذية اللازمة للنبات مثل البوتاسيم والكالسيوم والمغنسيوم والكبريت وكثيراً من العناصر النادرة .

### ثالثاً : العلم والنبات ومحاولات جادة

والعلماء في جهدهم الدائب للكشف عن أسرار النبات بغية التحكم فيها لم يصابوا بالملل أو الكلال . . فقد اكتشفوا أن للنبات نوعاً من الضوابط الذاتية . وهي عبارة عن مجموعة من الكيمائيات الحيوية تأمر النبات بأن ينال غذاءه ، أو يظل من التناول ، وأن ينمو ، أو يثمر ، وإلى أي حد تسمح هذه الكيمائيات للثمار بالنمو .

ومن النقطة الأخيرة بدأت أبحاث مضنية وشاقة وخرجوا على العالم بما يهر وبأخذ بالعقول .

البلاستيك على سطح الحقل ، ويتفرع من كل أنبوبة أنابيب فرعية تتوزع بانتظام تحت جذور النبات ، والشبكة تتصل جميعها بخزان رئيسي للماء ، حيث تنساب وتتساقط على هيئة قطرات صغيرة عند جذور النبات . وتقلل هذه الطريقة من الفاقد نتيجة البخر والتسرب بين حبات الترى ، كما يعمل الانتشار الغشائي بين المنطقة المبللة والمنطقة الجافة حولها على طرد الأملاح الزائدة من حول الجذور . ويمكن إمداد النبات بالأمدة بكميات محسوبة بدقة مع ضمان وصولها إلى الجذور مباشرة مما يحقق وفراً لا يستهان به . وأثبتت الدراسات زيادة الغلة الزراعية بحوالي ٣٠٪ عن نظيراتها التي تروى بالري التقليدي . والري قطرة قطرة ذا جدوى طيبة عندما تقل مصادر المياه العذبة أو تضيق الرقعة الزراعية وعندما تتوافر الأراضي الجيرية والرملية .

وإن عاب الطريقة ارتفاع تكاليف المنشآت الثابتة واحتياج العاملين إلى تدريب مكثف حتى يمكن إدارة المزارع بالحداثة الاقتصادية .

وليس الري قطرة قطرة الحل الأوحده فهناك الري بالرش والري المركزي وكلها حلول جاء بها العلم . . لكن ، هل سأل أحدنا نفسه وهو يقطع الطريق الساحلي بين جدة والمدينة المنورة ، أو يقف قبال شاطئ البحر بالإسكندرية . . من أين يرتوي هذا النبات الأخضر الملائق لمياه البحر مباشرة . . وقد جرت الأعراف فيما تعلمناه على أن النبات لا يرتوي إلا بالماء القراح .

نفس الخاطر مر في عقل بعض علماء جامعة كاليفورنيا ، وقد صرح أحدهم يوماً بقوله : « إذا كشف الإنسان المحاصيل التي تتحمل المستوى العالي للملح فإنه بذلك يكشف عن فرصتين ذهبيتين للامداد بالغذاء ، الأولى



## دائرة المعارف

### فلسفية

#### أكاديمية :

مدرسة أنشأها أفلاطون عام ٣٨٧ ق.م. على أبواب المدينة ، في أبنية تطل على بستان أكاديموس ، فسميت لذلك بالأكاديمية . أما أكاديموس فهو اسم بطل إغريقي قديم ، صار علماً على هذا المكان ، ومن اسمه اشتقت هذه التسمية ، وأكاديمية أفلاطون قد يطلق عليها اسم الأكاديمية القديمة ، في مقابل الأكاديمية الجديدة التي أنشأها أرفاسيلاس .

#### براجماتية :

اصطلاح فلسفي يطلق على المذهب القائل بأن الحقيقة في صميم التجربة الإنسانية ، وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة ، وأن صدق قضية ما هو في كونها مفيدة ، وأن الفكر في طبيعته غائي ، أي له غاية . ومعنى هذا أن التاريخ البرجماتي معناه الكشف بالاستناد إلى معرفة الماضي ، وكلمة براجماتية كلمة قديمة ومستعملة بمعان مختلفة ، إلا أنها تعرف الآن مقترنة باسم الفيلسوف الأميركي تشارلس ساندرز بيرس رافع أسس المذهب البراجماتي .

#### تحصيل حاصل :

في المنطق .. غلط منطقي عبارة عن تكرار شيء واحد ، في صيغ مختلفة كأنها ترق للفكر ، وفي المنطق الرياضي ، جميع قضايا المنطق والرياضة تحصيل حاصل لأنها لا تنبئ بشيء أبداً عن العالم الخارجي ، وإنما هي وضع ما نعرضه في صياغة جديدة ، أو تكرار لفظ بما يساوي هذا اللفظ .

#### ثانوي :

هي الكيفيات الثانوية مثل اللون ، والصوت ، والرائحة ، والطعم ، في مقابل الكيفيات الأولية مثل المقدار ، والحركة ، والسكون .

#### جدل أو (ديالكتيك) :

يستمد اسمه من الفعل اليوناني الذي يعني «بحاور» وكان معناه في الأصل فن

#### الحتمية :

تدعي الحتمية على وجه الإجمال ، أن كل حادثة أيما ما كانت ليست إلا حالة جزئية من حالات ينطبق عليها أحد قوانين الطبيعة ، وقد ظهر هذا اللفظ في الفلسفة الألمانية ، في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حيث استخدم كلود برنار عام ١٨٦٥ م ، في كتابه المشهور «مدخل إلى الطب التجريبي» .

#### خير :

الخير بالجملة هو ما ينشوقه كل شيء ، ويتم به وجوده ، وقد يقال أيضاً خير لما كان نافعاً ومفيداً لكالات الأشياء ، والخيرات منها ما هي شرفية ، ومنها ما هي ممدوحة ، ومنها ما هي بالقيمة كذلك ، وما هي نافعة فيها ، وعند الفيلسوف الألماني كانط أن الخير ينقسم إلى طبيعي محسوس ، وخلق معقول ، والخير الخلق هو الخير الأعظم ، وهو يتخلو من الإلزام بعكس الواجب .

#### ديكارت : رينيه

١٥٩٦ - ١٦٥٠ م ، فيلسوف فرنسي وعالم رياضي ، استطاع بعبقريته الرياضية أن يعالج الجذور السالبة ، وأن ينسق مجموعة رموز الجبر ، وأن ينشئ الاحداثيات المعروفة باسمه . ابتكر الهندسة التحليلية ، ثم حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة ، ورفض الأخذ بالتقليد الفلسفي المدرسي فأقام فلسفته على الشك المنهجي ، فشك في معارفه جميعاً ، حسية كانت أو عقلية ، لاحتمال أن يكون غدوعاً فيها ، لكنه وجد أن ثمة شيئاً لا يقبل الشك ، وهو حقيقة كونه يشك ، ولو لم يكن يشك لما استطاع أن يكون موجوداً ، إذن فهو موجود لأنه يشك ، ولما كان الشك تفكيراً ، فهو موجود ، لأنه يفكر ، وبهذا انتهى ديكارت إلى عبارته الماثورة : «أنا أفكر .. إذن فأنا موجود» !

#### ذرائعية :

مذهب الذرائع أو الذرائعية ، وهو ضرب من البراجماتية ، اصطنعه الفيلسوف



الأميركي جون ديوي للدلالة على أن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة ، وهذا ما عبر عنه جون ديوي بقوله : « إن المعرفة العقلية ضرب من الآلة ، لضبط الأشياء عندما تصادفنا عقبة من العقبات » .



#### الرازي :

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ولد بالري وتوفي عام ٩٢٣ ، أو ٩٣٢ م ، ودرس العلوم والرياضة والطب والفلسفة ، وعني بدراسة المنطق ، وكان الرازي يعظم دراسة الطب وما يتصل بها من دراسات ، وهو يفضل النتائج العلمية القائمة على أساس التجارب ، لا تجارب الفرد الواحد فقط ، ولكن التجارب التي تصافرت عليها القرون ، يفضلها على نتائج الاستدلالات المنطقية التي هي وليدة العقل المحض .



#### زينون الايلي :

فيلسوف يوناني ، واحد أتباع بارمنيدس ، ازدهر في اليونان حوالي ٤٥٠ ق . م ، ألف كتاباً دافع فيه عن الوجود الواحد الثابت الذي قال به أستاذه بارمنيدس ، وذلك بإظهار أن الكثرة والحركة تؤديان إلى نتائج متناقضة من الناحية المنطقية .



#### سفسطائية :

تطلق السفسطائية ، على معنيين ، الأول تلك الحركة الفكرية التي ازدهرت في بلاد اليونان عامة وفي أثينا بوجه خاص ، في خلال الخمسين سنة الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد ، والمعنى الثاني ذلك النوع من الفلسفة القائمة على أقاويل لفظية خالية من الجدد والرصانة . أما السفسطائي ويقال باليونانية «سفطيس» فعناه الحرفي الرجل الحاذق أو البارع في أمر من الأمور ، ولكنه يطلق بشيء من الزرابة على من كان دأبه أن يستعمل الأقاويل الخلاب والمغالطة في الكلام . ومن بين السفسطائيين ذوي الأسماء المعروفة ، بروتاجوراس ، وجورجياس ، وهيباس ، وبروديقوس ، وإيزوقراطس .



#### شجرة فورفوروريوس :

عند الفيلسوف اليوناني فورفوروريوس والمناطقة الذين جاءوا بعده ، شكل بين تبعية التصورات بعضها لبعض ، وعددها خمسة ، بينها هي عند أرسطو أربعة ، والخامس هو النوع ، ولم يكن أرسطو يعتبره واحداً من الكليات وإنما كان يعتبره الموضوع نفسه ، من حيث أن الأحكام العلمية صادرة على الأنواع لا على الأفراد ، والنوع لا يضاف للفرد مثل قولنا سقراط إنسان .



#### الصدق :

أهم الفلاسفة أساساً بمسألتي خاصتين بالصدق ، المسألة الأولى تتعلق بمعنى كلمة «صادق» وتعلق المسألة الثانية بالمعيار أو بالمعايير التي نستطيع بواسطتها أن نفصل في صدق العبارات أو بطلانها ، ولقد أخفق أغلب الفلاسفة في التمييز بين هاتين المسألتين ، وقدموا لإحداهما حلاً كان يمكن اعتباره حلاً للمسألة الثانية ، بيد أنه من اليسير أن نرى مثل هذا التمييز ، إذا وضعنا في اعتبارنا آراء فيلسوف رأى هذا التمييز ، وميز

على أساسه ، وذلك هو ف . س . شيلر ، الذي ذهب إلى أن كلمة صادق في معناها هي لفظ تقييمي ، ولكنه باعتباره براجماتياً ذهب إلى أن المنفعة هي معيار الصدق .



#### ضد :

اصطلاح في المنطق ، والضدان كما جاء في تعريفات الجرجاني صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد ، يستحيل اجتماعهما كالسود والبياض ، والفرق بين الضدين والنقيضين أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود ، والضدين لا يجتمعان ولكن يرتفعان كالسود والبياض . والمتضادات عند أرسطو هي التي بعدها بعضها من بعض غاية البعد ، ويجمعها جنس واحد .



#### طباع (علم) :

علم الطباع هو العلم الذي لا يقتصر على دراسة ما هو دائم في نفس الفرد ، وإنما يبحث كذلك في الطريقة التي يستفيد بها الفرد من استعداداته الفطرية ، ومن هذا الوجه ، يعتبر علم النفس الفردي لأدلة من أقسام علم الطباع ، هذا وعلم الطباع حسب تعريف لوسين ، هو العلم الذي يدرس الطبع من حيث هو مجموعة من الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان .



#### الظواهر (مذهب) :

يدل مذهب الظواهر بمعناه الواسع على الفلسفة الوصفية للخبرة ، واسم الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل هو أكثر الأسماء ارتباطاً بهذا المصطلح في فكر القرن العشرين . ولقد عرف ش . س . بيرس النظام الوصفي الذي هو علم الظواهر ، ولكن علاقة ما لم تقم بينه وبين هوسرل كما أن هوسرل في علم الظواهر ، لا يمت تاريخياً إلى فكرة هيجل عن «علم ظواهر الروح» ومع ذلك ، فإن علم الظواهر بمعناه عند هوسرل مدين لكثيرين وخاصة برتراند وجيمس ، وديكارت ولينتيبر وكانط .



#### العقد الاجتماعي :

نظريات عدة تحاول أن تفسر واجب الولاء نحو القوانين ونحو السلطة المدنية ، وذلك بالرجوع إلى عقد أو عهد أو وعد بالطاعة يقدمه الفرد في مقابل المنافع التي يكتسبها من المجتمع المدني الذي يقوم بناء على ذلك التعاقد ، وهناك صيغ كثيرة مختلفة لنظرية العقد ، منها الصيغة التي لم يرض عنها أفلاطون ، والتي قدمها في الكتاب الثاني من الجمهورية ، أما الصيغ الحديثة الشهيرة فهي تلك التي قال بها هوبز في كتابه «لوايثان» ، دلوك في كتابه «رسالة ثانية في الحكومة المدنية» وروسو في كتابه «العقد الاجتماعي» .



#### الغزالي ، أبو حامد محمد :

(١٠٥٩ - ١١١١ م) فقيه ومتكلم وفيلسوف ومصلح ديني واجتماعي ، ولد بطوس من أعمال خراسان ، ودرس علوم الفقهاء وعلم الكلام على إمام الحرمين ، وعلوم الفلاسفة وبخاصة الفارابي وابن سينا ، اشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية ، وارتحل إلى بلاد كثيرة منها دمشق وبيت المقدس والقاهرة ومكة والمدينة . أثر علوم الصوفية فانقطع إلى العبادة وذكر الله ، كما أحيا علوم الدين إحياء يقوم على الكتاب والسنة ، ودافع عن تعاليم الإسلام بحجارة وإيمان ، فلقب بحجة الإسلام وزين الدين وعالم العلماء ، له مصنفات كثيرة منها علم الكلام «الجامع العوام عن علم الكلام»



وفي الفلسفة «مقاصد الفلاسفة» و«تهافت الفلاسفة» وفي التصوف «إحياء علوم الدين» و«المنقذ من الضلال» .



الفارابي، أبو نصر محمد :

(٨٧٠ - ٩٥٠ م) سمي بالفارابي نسبة إلى فاراب ببلاد الترك، وهو فيلسوف المسلمين، وهو من كبار مترجمي الفلسفة اليونانية، اتصل ببلاط سيف الدولة الحمداني وعمل لديه، شرح كتب أرسطو المنطقية والطبيعية والأخلاقية، فلقب بالمعلم الثاني، ومن مؤلفاته «إحصاء العلوم» و«رسالة في معاني العقل» و«آراء أهل المدينة الفاضلة» و«الجمع بين رأيين الحكيمين».. أفلاطون وأرسطو، هذا وللفارابي كتاب الموسيقى الكبير، الذي يعد أعظم مؤلف للعرب في الموسيقى .



قياس :

في المنطق، قول مؤلف من أقوال، إذا وضعت لزماً عنها بذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها اضطراراً، فاهمية القياس تقوم في لزوم النتيجة من المقدمات هذا اللزوم الضروري، وقد دعاه أرسطو «سولوجسموس» أي الجامعة، لجمع النتيجة بين المعنيين اللذين لم تكن نعلم إن كانا يتوافقان أم يتخالفان، وقد ترجم اللفظة إلى العربية بلفظ قياس .



الكندي، أبو يوسف يعقوب بن اسحق :

(٨٠١ - ٨٦٥ م) نسبة إلى كندة من بني كهلان وبلادهم باليمن، وهو فيلسوف العرب وأول من فلسف منهم، أخذ بمذهب المشائين، وتأثر بفلسفة أرسطو مصطبغة بالأفلاطونية الجديدة، ولد بالكوفة وكان أبوه أميراً عليها، ودرس في البصرة ويغداد علوم الدين واللغة والأدب، بدأ حياته العقلية متكلماً، وشارك المعتزلة بمحنتهم في العدل والتوحيد لم يعلم الرياضيات والطبيعية والفلك والطب والجغرافيا والموسيقى، انصرف عن علوم الكلام إلى التفلسف النظري، وكان أول من حاول التوفيق بين الفلسفة والدين، وجمع في تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات، واتخذ من التأويل منهجاً للتوفيق بين العقل والنقل، أو بين الحكمة والشرعية، له مصنفات في علوم كثيرة ذكرها ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة وابن نباتة المصري .



لوغوس أو الكلمة :

هرقليطس الفيلسوف اليوناني القديم، كان أول من قال باللوغوس، ويقصد به القانون الذاتي الضروري الذي بمقتضاه يحدث الدور التام أو السنة الكبرى، واللوغوس في الفلسفة الرواقية يحوي جميع الأجسام وجميع بذور الأحياء منطوية بعضها على بعض، أو كامنة بعضها في بعض، بحيث أن كل حي مزيج كلي من ذريته جمعاء، وعند ابن العربي أن الكلمة من الناحية الميتافيزيقية هي العقل الأول، كما يفهمه أفلاطون أو العقل الكلي كما يفهمه الرواقيون، أي إن الكلمة هي القوة العاقلة السارية في جميع أنحاء الكون .



مسكوية، أبو علي بن مسكوية :

الفيلسوف والطبيب واللغوي والمؤرخ، الذي توفي عام ١٠٣٠ م، وله مذهب فلسفي

في الأخلاق، هو مزيج من آراء أفلاطون وأرسطو وجالينوس بالإضافة إلى أحكام الشريعة الإسلامية، ومؤدى مذهبه في الأخلاق أن الخير هو كمال الوجود، وأن الإنسان إنما يسعد بتجربته إذا صدرت عن طبيعته الإنسانية الأصلية، ألا وهي العقل . على أن الخير الأسمى لا يمكن تحقيقه على يد فرد واحد، بل لا بد أن يتعاون في سبيله أفراد كثيرون، ويترتب على هذا أن حب الإنسان للإنسان هو رأس الفضائل وأول الواجبات، وعند ابن مسكوية أن الشريعة الإسلامية لو فهمت فهماً صحيحاً لكانت أساساً خلقياً يعني حب الإنسان للإنسان، فالدين كله رياضة للنفس على الحد من ذواتها في سبيل الآخرين .



نقدي (مذهب) :

الزعة النقدية في عمومها تفيد التساؤل عن قيمة أية قضية، إما من حيث مضمونها فيسمى نقد باطني، وإما من حيث مصدرها ومبداها فيسمى نقد خارجي، أما المذهب النقدي في الفلسفة، فهو المذهب الذي وضع أسسه الفيلسوف الألماني كانط ومؤداه أن الفكر حاصل بذاته على شرائط المعرفة، وهي المكان والزمان والمقولات .



هيوولي أو مادة أولى :

لفظ مرادف للمادة، وقد رد أرسطو الأشياء إلى مبدئين، الصورة والهيوولي، فكل شيء هو جزء من المادة الأولية، اكتسب صفات معينة حددت طبيعته ووظيفته وهي صورته، والهيوولي لا تكون أبداً بغير صورة، إلا في التحليل العقلي، وهي مستعدة لأن تكون أي شيء حسب الصورة التي تنعكس عليها، ويعبر عن هذا بأن الهيوولي تكون أي شيء بالقوة، فإذا حلت بها صورة معينة، أصبحت شيئاً معيناً بالفعل .



الوضعية المنطقية :

اسم أطلقه بلومبرج وفايجل عام ١٩٣١ م، على الحركة الفلسفية الصادرة عن جماعة فينينا، يستخدم هذا الاسم في كثير من الأحيان بمعنى غامض، بصدد الحديث عن الفلسفة التحليلية عامة، والأفضل أن يقتصر استخدامه للدلالة على معناه الأصلي، حين يكون مرادفاً لما يسمى بالتجريبية المنطقية أو العملية .

وقد نشأت جماعة فينينا في أوائل العشرينات من هذا القرن، بوصفها جماعة للمناقشة غير الرسمية بجامعة فينينا يرأسها مورتس شليك، ومن أعضائها البارزين روهولف كارناب، وفردريك وايزمان، وهربرت فايجل، وأوتو فرانك، وهانز هان، ومهما يكن من أمر فإن التأثير القوي المباشر يرجع إلى فتجنشتين الذي وإن لم يكن عضواً في الجماعة، إلا أن كتابه «رسالة منطقية فلسفية» ١٩٣١ م، كان أكبر نصير لها، كذلك كان كتاب شليك «المعرفة العامة» ١٩١٨ - ١٩٢٥ م، وكتاب كارناب «البناء المنطقي للعالم» ١٩٢٨ م .



ياسبرز، كارل :

(١٨٨٣ - )، فيلسوف ألماني من أنصار الفلسفة الوجودية، تدور فلسفته حول الفرد، فهي ذاتية يتم بالجانب اللامعقول، وتبرز الفرق بين حقائق الواقع، ومواقف الفرد وأفعاله، بإزاء هذه الحقائق، والحقيقة عند ياسبرز هي في محاولة الفرد تفسير خبراته، وحرية الإنسان تتركز في القدرة النامية على تكوين أحكام أخلاقية ذاتية، وعنده أن الحب أسمى تعبيرات الحياة، والدين هو وسيلة القضاء على الشر وتحقيق الخير .



### هل «الجن مخلوق مزعوم»؟

هكذا قال الأب لويس اليسوعي مؤلف المعجم المعروف (المنجد في اللغة) <sup>(١)</sup>، وهكذا أراد أن يفهمه الناس وأن يتجرعوا هذا المعنى وإن كانوا لا يستسيغونه، وهكذا دس السم في الدسم. ولا أدري ما الذي دفعه إلى أن يقول قولته هذه ويدس من عندياته كلمة «مزعوم» في معجم لغوي صرف ليس هذا موضع بحثه؟ ولا أدري أيضاً ما الذي دفعه دفعاً إلى انكار وجود الجن وهو مسيحي؟ كما لا أدري ما الذي جعله بتفسيره هذا يخرج مئات الملايين من المسلمين في صميم معتقداتهم؟

هلا كان ثقة في الرواية فينقلها عن المعاجم وكتب اللغة بأمانة وإخلاص ثم يعلق عليها بما شاء كما يشاء؟

هلا كان عدلاً في نقل معنى الجن فيرويه من مظانه بسنده ويثبت كما هو؟ ليته لم يقل «مخلوق مزعوم». إن كلمة الزعم أكثر ما تستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب وهو القائل نفسه في «منجده»: «إن من قال كلاماً وكان عندهم كاذباً يقولون فيه (زعم فلان)». وعلى هذا فصاحب المنجد يؤمن بأن الجن لا وجود له وإذا كان هو نفسه أو المسيحيون أنفسهم لا يرون أن الجن مخلوق من مخلوقات الله فليتبع قوله «مخلوق مزعوم»، الذي زج به زجاً وأقمعه اقحاماً بسوء نية في معجم لغوي بحث بكلمة (كما أعتقد أو كما يعتقد المسيحيون). أما أن يفرض عقيدته بالقوة على القارئ في كتاب لغوي ويجبرهم شرب المعنى الذي يفرضه رغم مرارته وزيفه على أنه حقيقة لا ريب فيه فهذا تحجج وزيف وبهتان وامعان في التيه وعمه في الطغيان وتغادي في الضلال وايغال في الحماية وتدقق في الباطل.

إن الجن مخلوق موجود بنص الكتب السماوية وبنص كتاب الله تعالى

(القرآن العظيم)، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لقد آمن البعض من الجن برسالة محمد سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، واستمعوا إليه، وهذا مما لا ريب فيه، ولا يخالغ المسلم فيه شك ولا ريب كما كفر الآخرون.

والجن في التعريفات الفقهية مخلوقات مجردة من المادة تمثل عالماً بذاته يختلف عن عالم الانس، وقد وردت كلمة الجن في القرآن الكريم في ٢٢ موضعاً تضمنت أوصافهم وأحوالهم، ويستدل منها على أن الجن مخلوقات مريدة، منهم المؤمنون ومنهم الفاسقون، وأن لهم قدرة على التشكل وأنهم يثابون ويعاقبون، وأن الله قد أرسل النبي بشيراً ونذيراً إلى الإنس والجن على السواء، وتشير بعض الآيات إلى صلة الجن بسيرة بعض الأنبياء لا سيما نبي الله سليمان، الذي قيل إن الله تعالى منحه سلطاناً عليهم. قال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾، وقال تعالى: ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً﴾، وقال: ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾.

عبد الله بن يحيى العلوي - القاهرة

### هوامش

(١) المعجم المعروف المسمى بالمنجد في اللغة من أحسن المعاجم توبياً وتنسيقاً وتصويراً وتشكيلاً، ولكن يؤسفنا جد الأسف أن ثبت هنا بأن المعجم دخلته معاني فاسدة بل أدخلت عليه بسوء قصد ونية هجوم قاتلة الأمر الذي لو ترك المعجم وشأنه لأصيب الناشئون من قرائه بانحراف في العقيدة، ولو كان الأمر لحناً مطعماً أو عن حسن نية، وكان محصوراً في بضع كلمات لمكان الأمر، ولكنه نحن تعدد عن عمد. لقد تعمد واضعوا المنجد أن يضلوا وجهة الأمر وأن يستحكموا على القارئ كلامهم فتجاذبه الطنون والشكوك.





## مناقشات و تعاليمات

### مشكلة الغذاء

طرحت مجلة «الفيصل» في ندوتها في شهر شوال ١٣٩٧ هـ، مشكلة تناقص الغذاء، أو العجز فيه، أو اضطراب موارده، أو غفلة المسؤولين عن توفيره، أو عجز القائمين على إنتاجه، أو عدم توافر الوسائل العاملة على وفرة.

واشترك في الندوة أخصائيون علماء من شتى البلاد، وقد عرضوا الوسائل التي من شأنها إذا توفرت ضمن كل منا غذاء وكساء وبذلك أدوا رسالتهم، نحو إخوتهم وأدت «الفيصل» رسالتها نحو المواطنين العرب.

واقاماً لهذه الرسالة، وحتى لا تكون نتائجها هباءً منثوراً أرى : أن توجه «الفيصل» الدعوة إلى وزراء الزراعة في الدول الإسلامية ليجتمعوا في أي بلد عربي، أو في مقر الجامعة العربية بالقاهرة ليضعوا الخطوط الواضحة العملية والسريعة للبدء في مشروعات الأمن الغذائي وتكون قراراتهم ملزمة لكل دولة.

فكل مشكلة تحل بالأعمال لا بالأقوال، فإذا كانت الأقوال للعرض والتوضيح فيجب أن يتلوا العمل وإلا أصبحت أمورنا كلها تدور في بوتقة الأمان، وهو ما نلمسه جميعاً في ندواتنا واجتماعاتنا.

إذا لم نعالجها علاج الطبيب للمريض فلماذا نجح في اكتشاف مرضه ثم صرفه دون دواء أو علاج، فقد خرج عن دائرة الأطباء إلى دائرة العائنين. وعلاج مشكلة نقص الغذاء في عالمنا الإسلامي يخرجنا منها سالمين وضع الحلول العملية السريعة وسأعرضها كالتالي :

١ - تشترك الدول الإسلامية في إقامة مؤسسة تسمى مؤسسة الأمن الغذائي مهمتها :

(أ) اصلاح الأراضي القابلة للزراعة في مصر والسودان والصومال واليمن والعراق وزراعتها بما يتناسب مع جودتها .

(ب) بيع المحصول للبلاد المؤسسة تبعاً لحاجتها، ويصدر الباقي .  
(ج) يجوز أن تمول المؤسسة أي مشروع زراعي في أي بلد شقيق على أن تحصل على جزء من المحصول تمد به البلد المحتاج إليه .

(د) يجوز أن تفرد كل دولة إسلامية بمشروعاتها الممولة من المؤسسة على أن يكون للمؤسسة نصيب من المحصول . والمهم هو تأمين الغذاء للاخوة في عالمنا الاسلامي .

٢ - حل آخر : تشتري قطر مثلاً أرضاً في السودان، وتصلحها وتزرعها بما تشاء، ويكون للسودان الحق في شراء جزء من المحصول، وهكذا تفعل السعودية، والامارات والكويت .

وكما فعلوا في السودان يفعلون في مصر واليمن والصومال لنضمن تنوعاً في المحصول .

٣ - ويجوز أن تنشأ شركات رأسمالها مشترك بين مصر والسعودية وبين الكويت والسودان، وهكذا ويتفق على كيفية توزيع المحصول .

المهم أن تحرك الودائع العربية من مصارف العالم إلى مشروعات ناجحة تقينا مغبة أزمة جوعية مميتة لا شك في قربها ووقوعها .

٤ - تشتري المؤسسة سفناً للصيد بجبالها الشواطئ العربية وتوزع حصيلها على أنحاء الوطن .

٥ - تنشئ المؤسسة بحيرات صناعية لتربية الأسماك .

٦ - تلحق بمزارع المؤسسة مصانع لتعليب الخضار والأسماك والفواكه واللحوم .

٧ - تخصص مساحات واسعة لتربية سلالات جيدة من الماشية، ومفرخات للدواجن والبط والوز .

٨ - تستعمل الوسائل الحديثة في أعمال الزراعة والري والتصنيع .

بهذا سوف نوفر الآتي :

قمحاً من سوريا .. ذرة وقطناً وفولاً وسكراً وزيتاً وبقولاً من السودان .. موزاً ولemons وجوزهند ومانجو وغيرها من الصومال .. خضراً وفاكهة وقطناً وسكراً وبقولاً من مصر .. زيتوناً من دول المغرب .. فاكهة من سوريا ولبنان والعراق .. لحوماً من السودان .. سمكاً من كل الشواطئ العربية .. دواجن من مصر .

هذه أمثلة فقط، إذ إن الوطن الإسلامي واسع الأطراف، متعدد المحاصيل .

هذه عجالة .. وكل ههنا منها أن نبدأ العمل السريع، وأن ينشط الممولون إلى الدخول في الموضوع والبدء فوراً في العمل لتكون النتائج سريعة، فيقبل من كان يحجم، وننتخلص من داء الندوات إلى مجال العمل الجاد .

ولاني على عجل فلم أوف الموضوع حقه لأن خطورته تتطلب عناية أكثر وتركيزاً وإلماً بعناصره وإيضاحاً لمعانيه وتحذيراً من التهاون في علاجه . فعذرة، فقد أشرت ورمزت وبلغت، ومفتاح الأمانة في أيدي القادرين والحريصين على خير الأمة وهم والحمد لله كثيرون .

نبه خليل البدرائي

سيدي بشر - بحري

ج ٢٠ ع ٠



## عن الأحساء

★ أود أن أرسل إليكم بعض المعلومات عن «الأحساء» التي تبعد ١٦ كم عن مدينة المنوف، حتى أقرأ موضوعاً عنها في مجلتكم الغراء.

جاسم محمد القريرع  
الأحساء - السعودية

المجلة : شكراً لاهتمامك وسوف تقوم المجلة برحلة إلى «الأحساء» وتصوير معالمها في باب «مدينة وتاريخ» شأنها شأن مدن المملكة الأخرى ومدن الدول العربية والإسلامية أيضاً.

## الاقتراحات

★ دائرة المعارف على هذا الوضع غير مجدية فلو جعل في كل عدد حرفان لكان أفضل.

★ الاهتمام بالدراسات عن البيئة السعودية.

★ الاهتمام بالدليل السياحي كالتراث مثلًا بالنسبة للمدن في باب «مدينة وتاريخ».

سمود العيد العريز  
القصيم - السعودية

المجلة : دائرة المعارف في سنتها الثانية تم كل مرة بموضوع متخصص لا يمكن تقسيمه على أعداد متتالية.. ومن سياسة المجلة رفض مبدأ «التسلسل» حتى في الموضوعات والدراسات والأعمال الأدبية.. أما عن الموضوعات الخاصة بالبيئة السعودية فنعتقد أن المجلة تغطيها على التوالي.. وبقى اقتراحك الخاص بإضافة التراث إلى باب «مدينة وتاريخ» وهو اقتراح مفيد وهذا ما اهتمت به فيما بعد كما نلاحظ.

## ملاحظات

★ أرى أن تكون قسيمة المسابقة غير متصلة بالمجلة وأن تكون منفصلة.

★ لا أرى سبباً للسواد الكثيف الذي تكتب به بعض الكلمات والعناوين.

★ المجلة أفاضت في الدراسات الأدبية والتاريخية.

محمد السعيد مصيلحي  
الدقهلية - مصر

المجلة : سوف ينظر في جعل القسيمة منفصلة.. ولكن كيف يمكن كتابة العناوين إن لم تكن باللون الأسود إلى جانب الألوان الأخرى؟.. وكيف تكون مجلة ثقافية متخصصة إن لم تهتم بالموضوعات الأدبية والدراسات التاريخية؟.. أما بعض الكلمات التي تقول إنها سوداء فهي ضرورة لابرار فكرة هامة أو عبارة قيمة أو جملة، أو معلم من المعالم أو اسم علم من الأعلام.

## زيارة للأردن

★ استفسر عما إذا كنتم تنوون زيارة الأردن لتقدموها للقارئ العربي تاريخياً وحاضراً.. كما قم بزيارات عديدة لتونس وسورية ومصر وغيرها؟!

صالح أحمد أمين  
إربد - الأردن

المجلة : سوف تقوم المجلة بالفعل وفي أقرب وقت بزيارة للأردن وتصوير معالم مدنها للكتابة عنها في باب «مدينة وتاريخ» وإجراء لقاءات مع أدبائها وعلمائها.

## ضوابط النقد العربي

★ ألا يمكن التوسع في مجال النقد الأدبي بالكتابة حول «ضوابط النقد العربي» حسبًا للخلافات الدائرة حول هذا الموضوع والتي لا تسفر عن نتائج واضحة.

محمود الجميل  
الرشيد - سورية

المجلة : فيما يتعلق بموضوعات النقد الأدبي فالمجلة تهتم بنشرها باستمرار، ولكن ما المقصود بعبارة «ضوابط النقد العربي» نرجو تفسير ذلك.. ومع هذا فلا توجد أحكام قانونية أو شبيهة بتلك الأحكام القاطعة التي تنطبق على النقد، فهناك مدارس عديدة وجهات نظر مختلفة وآراء قد تكون متناقضة ولكنها واردة في مجال النقد.. لأنها تختلف باختلاف ثقافات النقاد وأذواقهم وتفاوت هذه الثقافات والأذواق.

## إعلانات وليست دعاية

★ أراكم في الفترة الأخيرة يبدأن تضعون الدعايات في داخل الصفحات وفي

الصفحات الأخيرة، واعتقد أن هذا ليس من حق مصمم الريبورتاجات خاصة أن الدعايات تجمي. بعد المقالات وهذا لحرصي على المجلة وأهدافها.

شيوخو بنهاده العلي  
حلب - سورية

المجلة : إنها إعلانات وليست دعايات.. والإعلانات شيء ضروري ويكاد يكون أساسياً في الصحافة مجلات كانت أو صحف.. وبمقدار الإعلانات في صحيفة أو مجلة كثيراً ما يقاس نجاحها.. ومع هذا فنحن نتحفظ كثيراً في نشر نوعية الإعلانات.. ولا علاقة بين الإعلانات والمقالات ولا تناقض.. وشكراً على حرصك واهتمامك بالمجلة.

## لا ننشر المسلسلات

★ لي اقتراح هو نشر قصة أو رواية طويلة مسلسلة كما تفعل بعض المجلات العربية الأخرى.

محسن نوح عبد ربه  
القاهرة - مصر

المجلة : إننا لا نؤيد مبدأ نشر المسلسلات، حتى ولو كان ذلك بهدف ربط القارئ بالمجلة.. فاللغز المستقل والدراسة المتكاملة والقصة القصيرة أو المسرحية القصيرة هي التي تناسب.. في رأينا.. المجلات الشهرية. أما الأعمال الطويلة فهي تصدر في كتب تستوعبها وتقدمها للقارئ وجبة واحدة دسمة.. فالفاصل الزمني بين عدد وآخر في مجلة شهرية لا يساعد على الربط.

## طبيب خاص.. ومشاكل اجتماعية

★ أترجح تخصيص باب بعنوان «طبيب المجلة» يعني بالرد على أسئلة القراء الطبية، وباب آخر بعنوان «مشاكل اجتماعية» لحل مشاكل القراء.

محمد حامد الغامري  
الظهران - السعودية

المجلة : كما قلنا من قبل فإن المجلة ثقافية متخصصة وليس من سياستها أن تقدم مثل هذه الأبواب التي تعنى بها المجلات المتخصصة في مثل هذه الموضوعات أو

المجلات الأسبوعية والصحف اليومية.. ومع ذلك فهناك باب في المجلة بعنوان «سؤال وجواب» نحاول أن نرد من خلاله على كل ما يصلنا من أسئلة جديرة بالرد.

## أدباء الجاهلية

★ نرجو نشر موضوعات عن شعراء وأدباء الجاهلية مع قصائد من الشعر القديم، فهي جميلة ومشوقة.

يحيى السيد درويش  
حلب - سورية

المجلة : إننا نهم بالفعل بنشر موضوعات عن الأدب والشعر في الجاهلية ولعلكم تلاحظ ذلك بانتظام في الباب الجديد «قصيدة وقصة» على سبيل المثال.. وغير ذلك من الدراسات المطولة.

## عن اجابات المسابقة

★ هل تفرز الاجابات الصحيحة عن الاجابات الخطأ قبل اجراء القرعة عليها. أم أن الاجابات تخلط مع بعضها الصحيح منها والخطأ كما هي الطريقة المتبعة في التلفزيون وعند اجراء القرعة عليها إذا خرجت الاجابة الخطأ تلتفى ويؤخذ غيرها حتى تكون القرعة على إحدى الاجابات الصحيحة وحينئذ تكون هي الفائزة بالجائزة الأولى، هل تتبع مجلة الفيصل هذه الطريقة أم لا مع شكري وتقديري.

لؤلؤة صالح العلي  
مكة المكرمة - السعودية

المجلة : جميع الرسائل الخاصة بالمسابقة تفتح وتقرأ بعناية طالما وصلت في موعدها المحدد، ثم تفرز الرسائل التي تضم الاجابات الصحيحة، فإذا تساوت أكثر من رسالة في الحصول على أعلى الدرجات تجرى القرعة لاختيار الفائز الأول ثم الثاني وهكذا.. نرجو أن نطمئني لدقة الفرز وموضوعية التقييم وسلامة القرعة.







رحلة خطوط الطيران السويسرية الإفتاحية الرسمية، إلى جدة

# خطوط الطيران السويسرية تقرب بين أوائل المراكز المالية

وتكون مدينة جدة المحطة الثالثة والتسعين للطيران السويسري الوطني . وستؤدي هذه الخدمات الجوية الجارية بين المملكة العربية السعودية وسويسرا الى توثيق العلاقات بين الدولتين وخاصة في المجال الاقتصادي ذلك انها توفر لرجال الاعمال السعوديين اختيارا اوسع للرحلات الجوية بدون توقف الى قلب اوربا ومدنها الرئيسية ، ومن هناك الى جميع انحاء العالم ايضا . وبمزيد من الاتصالات فانها توفر لاوربا والولايات المتحدة جزء كبير من افريقيا ، طريقا سهلا الى المملكة العربية السعودية . هذا وترعى مصالح "سويس إير" سواء فيما يتعلق بحجز التذاكر او تسهيلات اجراءات الاقلاع من المطار والهبوط فيه ، مؤسسه "الزومان" (اجنحة فالكون للسفر والسياحة) وقد افتتحت المؤسسه خصيصا لذلك ، مكتبا فائرا للسفريات في شارع طريق المدينة شمالا (جده) ينولى خدمة العملاء وخاصة رجال الاعمال خدمة بالغة الكفاءة .

وللمزيد من المعلومات نرجو الاتصال هاتفيا بمؤسسة : اجنحة فالكون للسفر والسياحة .

تلفون : (جده) ٥٦٢٣٣ - ٥٦٢٣٤ - ٥٦٢٣٥ .

في اليوم الخامس من ديسمبر عام ١٩٧٨ هبطت في مطار جده الدولي طائرة قادمة من سويسرا تقوم بالافتتاح الرسمي للخطوط الجوية السويسرية رابطة بذلك بين اعظم مركزين ماليين في العالم . وكانت الطائرة تقل ثمانية وعشرين من اعظم المشتغلين بالصناعة ومن رجال الاعمال في سويسرا ، ومن بينهم رئيس الخطوط الجوية السويسرية السيد "آرمين بالتزوايلر" . وستقوم الخطوط الجوية السويسرية برحلتين كل اسبوع من جده الى زيورخ احدهما بدون توقف والاخرى عبر جنيف . ففي كل يوم ثلاثاء سوف تطير من جده الى جنيف ثم الى زيورخ ، طائرة من طراز دي سي - ٨ ، وتقوم بالرحلة الثانية ، والتي ستكون بدون توقف ، طائرة ضخمة من طراز دي سي - ١٠ في يوم السبت من كل اسبوع (وستبدأ هذه الرحلة من دار السلام عاصمة تنزانيا) . اما الرحلتان من زيورخ الى جده ، فستقوم بهما الطائرة من طراز دي سي - ٨ في يوم الاثنين من كل اسبوع ، والطائرة من طراز دي سي - ١٠ في يوم الخميس ثم تواصل الطائرة رحلتها الى دار السلام عاصمة تنزانيا . وبهاتين الخدمتين الجويتين الجديدتين ، فضلا عن الخدمات الاسبوعية الثلاث الاخرى التي تربط بين الظهران وسويسرا ، تصبح هناك خمس رحلات اسبوعية تقوم بها الخطوط الجوية السويسرية الى المملكة العربية السعودية



# مسابقة مجلة الفيصل

## شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١- قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب- الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

ج- الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة ( ٥٠٠ ريال سعودي )

١- أسئلة هذا العدد كلها من مجلة « الفيصل » .. وهي من السهولة بحيث يستطيع الاجابة عليها الذين تابعوا أعداد السنة الأولى من المجلة ( ١-١٢ ) . لهذا فإن قيمة الجائزة المقررة للمسابقة المقررة وقدرها عشرة آلاف ريال سعودي شهريا سوف توزع على عشرين من الفائزين الذين يجيبون على كل الأسئلة بحيث يحصل كل فائز على جائزة مالية قدرها ( ٥٠٠ خمسمائة ريال ) وذلك رغبة منا في إعطاء الفرصة لأكبر عدد ممكن من القراء .. وهذا التغيير في توزيع قيمة الجائزة خاص بمسابقة هذا العدد فقط .

٢- المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣- ترسل الاجابات على العنوان التالي :

( الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب . ( ٣ ) المسابقة ) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤- أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥- ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦- من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



● السؤال الأول :

ماهي ألوان « قوس قزح » ؟

● السؤال الثاني :

أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - الآثار الباقية عن القرون الخالية - التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم - الأوائل - البيان والتبيين . (العدد الأول من هذه المجلة)

● السؤال الثالث :

أول معركة بحرية أحرز فيها المسلمون بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح النصر على البيزنطيين تحت قيادة قسطنطين الثاني ابن هرقل . . ما اسمها . . ومتى حدثت ؟

● السؤال الرابع :

عرفت المدينة المنورة تاريخياً بعدد من الأسماء . . أذكر خمسة منها . (العدد السادس)

● السؤال الخامس :

حركتا المد والجزر . . ما هما . . وما سببها ؟ (العدد الرابع)

● السؤال السادس :

كيميائي . . وفيزيائي إنجليزي . . أول من أنشأ النظرية في الذرة . . وضع قانون « النسب المتعددة » في الكيمياء ، وقانون امتزاج الغازات في الفيزياء . . إليه ينسب مرض عمى الألوان « الدالتونيسم » . . من هو ؟  
(نيوتن - جون دالتون - فاسكو دي جاما - بيرون) .

● السؤال السابع :

إحدى الغزوات الإسلامية . . لم يشترك فيها الرسول الكريم ﷺ . . اسمها ارتبط بعين ماء بالقرب من المدينة المنورة . . كانت الغزوة بقيادة عمرو بن العاص بعد إسلامه ، قاتل فيها المشركون من قبيلتي « بلي » ، و« عذرة » . . ما اسم هذه الغزوة ؟ (العدد الثاني)

● السؤال الثامن :

مشرع أثيني (نهاية القرن السابع ق.م) ، سن القوانين الأولى للمدينة . . اتصفت تشريعاته بالقسوة . . من هو ؟

● السؤال التاسع :

أقدم كتابة عربية في التاريخ بالخط المسند اليمني وصلت إلينا في ثلاثة أنواع من نقوش متقاربة عثر عليها ما بين المنطقة الممتدة من دمشق إلى العلا . . أذكر هذه الأنواع الثلاثة . (العدد الثالث)

● السؤال العاشر :

ما هي الأسماء الحقيقية لأصحاب الألقاب التالية :  
زرقاء اليمامة - ذو الإصبع العدواني - ذو القرنين - الحيص بيص - الدارقطني .



تسليمية  
مسابقة مجلة  
الفيصل

● العدد ٢٠ ●

الاسم : \_\_\_\_\_  
المهنة : \_\_\_\_\_  
العنوان : \_\_\_\_\_  
\_\_\_\_\_



# ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE  
PUBLISHED BY  
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To :  
Riyadh-Saudi Arabia  
Al-Faisal Magazine  
P.O.Box 3  
Tel.: 41968

# الفصيل

مجلة ثقافية شهرية  
تصدر عن  
دار الفصيل الثقافية

المراسلات  
الرياض - المملكة العربية السعودية  
مجلة الفصيل  
ص.ب ( ٣ )  
هاتف : ٤١٩٦٨

## في أوروبا.. وأمريكا.. وآسيا

١,٢٥ جنيه استرليني	بريطانيا وإيرلندا
١٠ فرنكات	فرنسا
٧,٥ فلورن هولندي	هولندا
١٠٠ فرنك بلجيكي	بلجيكا
٧ فرنكات سويسرية	سويسرا
٧ ماركات ألمانية	ألمانيا الغربية
٢٠٠٠ ليرة إيطالية	إيطاليا
١٠٠ بيزيتا إسباني	إسبانيا
٨٠ اسكودو	البرتغال
١٠٠ درخا	اليونان
١٥ كرونا	الدانمارك
١٥ كرونا	النرويج
١٥ كرونا	السويد
١٥ كرونا	فنلندا
٢,٥٠ دولاران ونصف	الولايات المتحدة الأمريكية
١٠ روبيات	الباكستان

الإعلانات :  
يتفق عليها  
مع الإدارة

## أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

٦ ريالات	المملكة العربية السعودية
٣٠٠ فلس	الكويت
٥ دراهم	الإمارات العربية المتحدة
٥ ريالات	قطر
٤٠٠ فلس	البحرين
٣٠٠ بسة	سلطنة عمان
٢٥٠ فلساً	الأردن
٣ ريالات	ج.ع. اليمنية
٤٠٠ فلس	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية
٢٠٠ ملم	مصر
٢٥٠ ملجاً	السودان
٤ دراهم	المغرب
٤٠٠ ملم	تونس
٤ دنائير	الجزائر
٣٠٠ فلس	العراق
٣٠٠ قرش	سوريا
٣٠٠ قرش	لبنان
٤٠٠ درهم	ليبيا

## أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي  
لغير الأفراد ٢٠٠ ٥٥ ٥٥  
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفصيل